



دولة ليبيا

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

الأكاديمية الليبية – فرع مصراته

قسم الدراسات الإسلامية

رسالة بعنوان:

” البدر المنير المخلص من تفسير ابن كثير ”

تأليف:

أبي المحامد عفيف الدين بن سعيد بن مسعود الكازروني (ت 785هـ)

من سورة الحجرات حتى سورة التحريم

دراسة و تحقيق

مقدمة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الإجازة العالية (الماجستير)

إعداد الطالب:

عبد الهادي الصديق مصطفى الفيتوري

رقم القيد (15170)

إشراف الأستاذ الدكتور:

مختار بشير عبد السلام العالم

العالم بجامعي

هـ (1437 – 1436)

م (2015 – 2016)




قرار لجنة المناقشة للطالب
عبد الهادي الصديق مصطفى علي الفيتوري

للحصول على درجة الإجازة العالية (الماجستير) في قسم الدراسات الإسلامية

قامت اللجنة المشكلة بقرار السيد/ رئيس الأكاديمية الليبية / فرع مصراتة رقم (310) الصادر بتاريخ 2015/12/27 م بمناقشة الرسالة المقدمة من الطالب / عبد الهادي الصديق مصطفى علي الفيتوري لنيل درجة الإجازة العالية (الماجستير) في قسم الدراسات الإسلامية وعنوانها:

(البدر المنير المخلص من تفسير ابن كثير لأبي الحامد عفيف الدين بن سعيد بن مسعود الكازروني المتوفي سنة 785 هـ من أول سورة الحجرات إلى نهاية سورة التحريم) دراسة وتحقيق

وبعد مناقشة الرسالة علنياً على تمام الساعة (11:00 صباحاً) يوم الخميس الموافق 2016/01/28م بقاعة المناقشات بالأكاديمية وتقويم مستوى الرسالة العلمي والمنهج الذي اتبعه الطالب في بحثه قررت اللجنة ما يلي:
قبول الرسالة ومنح الطالب : عبد الهادي الصديق مصطفى علي الفيتوري درجة الإجازة العالية (الماجستير) في قسم الدراسات الإسلامية.

التوقيع	الصفة	أعضاء اللجنة المناقشة
	مشرفاً ومقرراً	السيد/ د. مختار بشير العالم
	عضواً	السيد/ د. الهادي المبروك الرياني
	عضواً	السيد/ د. عبد الله محمد النقرات

يعتمد

د. محمد المهدي اشتوي

د. إبراهيم مفتاح الصغير

رئيس الأكاديمية الليبية / فرع مصراتة

رئيس قسم الدراسات الإسلامية بالأكاديمية

التوقيع:

التوقيع:

التاريخ: 2016 / 3 / 17 م

التاريخ: 2016 / 3 / 17 م

إقرار الأمانة العلمية

أنا الطالب: **عبدالهادي الصديق مصطفى علي الفيتوري** المسجل بالأكاديمية الليبية/ فرع مصراتة بقسم الدراسات الإسلامية تحت رقم قيد (15170) أقر بأنني التزمت بكل إخلاص بالأمانة العلمية المتعارف عليها لإنجاز رسالتي المعنونة بـ **(البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير)** لنيل الدرجة العلمية (الماجستير) وأني لم أقم بالنقل أو الترجمة من أية أبحاث أو كتب أو وسائل علمية تم نشرها داخل ليبيا أو خارجها إلا بالطريقة القانونية واتباع الأساليب العلمية في عملية النقل أو الترجمة وإسناد الأعمال لأصحابها، كما أنني أقر بعدم قيامي بنسخ هذا البحث من غيري وتكراره عنواناً أو مضموناً.

وعلى ذلك فإنني أتحمل كامل المسؤولية القانونية المترتبة على مخالفتي لذلك إن حدثت هذه المخالفة حالياً أو مستقبلاً بما في ذلك سحب الدرجة العلمية الممنوحة لي.

والله على ما أقول شهيد

الإسم: **عبدالهادي الصديق مصطفى علي الفيتوري**

التوقيع:

التاريخ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا

الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿١١﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْعِزَّةِ الْعَظِيمَةِ

سورة المجادلة الآية (11)

الإهداء

إلى من كان سبباً في وجودي وحرص عليّ ..

”أبي وأمي أدخلهما الله الجنة“

إلى من أسهم في تزويدي بالمعلومات، وأخذ من وقته وجهده من أجلي ..

” أستاذي الفاضل الدكتور: مختار بشير عبد السلام العالم “

إلى أنسي وأصدقائي ورفاق الدرب الذين وقفوا إلى جانبي فجزاهم الله عنّي كل خير.

إلى زوجتي وأولادي الأعزاء ..

أهدي ثواب هذا العمل ..

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه وكرمنا بالعقل دون سائر المخلوقات، وفضلنا بالإسلام دون سائر البشر، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأبرار.

فإن الشكر لله أولاً وآخرًا الذي أنعم عليّ بنعمة الصبر والمثابرة حتّى أتممت هذا البحث، وبعد

فإن من المروءة أن أعبر في بدء عملي هذاعن جزيل الشكر وعظيم التقدير إلى أستاذي الفاضل الدكتور (مختار بشير عبد السلام العالم) الذي تفضل بقبول الإشراف على هذه الرسالة، بالتوجيه والإرشاد فقد كان الأب الحنون والأخ المعين والصديق الوفي، فله الفضل والثناء بعد الله تعالى.

كما أتقدم بخالص الشكر والاحترام إلى الأساتذة الفضلاء أعضاء لجنة المناقشة الذين بذلوا جهداً ووقتاً في مراجعة هذه الرسالة، وأتوجه بالشكر والتقدير إلى الأكاديمية الليبية فرع مصراتة وأخص قسم الدراسات الإسلامية بها.

كما أتقدم بالشكر والتقدير أيضاً لكل من ساعدني في هذه الرسالة فلهم مني كل احترام وتقدير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب قيماً؛ ليكون للناس بشيراً ونذيراً، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله بعثه للناس سراجاً منيراً وعلى آله الأطهار، وصحبه الأبرار، ما تعاقب الليل والنهار، ومن تبعهم إلى يوم الدين. أما بعد:

فقد سطع علم التفسير منذ نزول القرآن الكريم؛ إذ بين النبي - صلى الله عليه وسلم - للصحابة - رضي الله عنهم - ما يحتاجون من بيان، ولما كان الصحابة من ذوي اللسان الفصيح والبيان الصريح، فقد غدوا من أعلم الناس بالتفسير، ثم تلاهم تلاميذهم من التابعين الذين أخذوا هذا العلم عن الصحابة، وكتبوه عنهم فحازوا قصب السبق بكتابة التفسير، وقد انتشر علم التفسير مع انتشار الإسلام في الأرض، وكان التابعون عند فتوحهم البلدان لدخول الناس في دين الله - تعالى - يرفعون نداء الحق لإقامة الصلاة، وقراءة القرآن الكريم، والبيان لفهمه والعمل به.

إن هذا العلم والعمل أفرز جيلاً من العلماء المفسرين من أتباع التابعين، لعلمهم أن أفضل ما اشتغل به المشتغلون من العلوم، وأفنيته في الأعمار وكدّ فيه أصحاب القرائح هو كتاب الله - تعالى -، إذ فيه العلم الذي تعقد عليه الخناصر وتفنى في تدوينه الأقلام والمحابر، اشتهر كثير من المفسرين منذ القرون الأولى من الصحابة والتابعين كابن عباس وابن عمر - رضي الله عنهم - ثم قتادة، ومجاهد، والحسن البصري، ثم صار العلماء إلى التصنيف في التفسير، فظهرت كتب التفسير وفي مقدمتها تفسير الطبري وظهرت مدارس ومناهج متعددة في التفسير، اعتمد بعضهم على التفسير بالأثر من تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وأقوال الصحابة وأقوال التابعين، اعتمد بعضهم على التفسير بالرأي وفق الاجتهاد في معاني الآية، من خلال اللغة وفقهها، ودلالة الألفاظ ومعانيها، واعتمد بعضهم الآخر على الجمع بين المذهبين من التفسير بالأثر والتفسير بالرأي، ففي القرن الثامن ولد الحافظ ابن كثير وحتى حظي بنشأة علمية راقية، أهله أن يكون أحد مشاهير علماء ذلك القرن،

فألف كتابه الشهير (تفسير القرآن العظيم) ولأهمية هذا التفسير فقد اختصره كثير من العلماء، ومن أولئك الذين اختصروه: عفيف الدين سعيد بن مسعود الكازروني - رحمه الله - (ت 785هـ) في كتابه البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير.

أهمية الموضوع:

تتلخص أهمية هذا الموضوع في أمور منها:

1. الأهمية العلمية لتفسير ابن كثير، وما وقع عليه من مختصرات.
2. العناية بالتراث الإسلامي، وبتراث عفيف الدين بن سعيد الكازروني حتى لا يضيع كما ضاع بعض تراث علماء المسلمين.
3. أن هذا المخطوط لم يسبق أن حُقق من قبل فيما أطلعت عليه من مصادر.
4. تحقيق جزء من المخطوط يعتبر إسهاماً في بناء المكتبة الإسلامية.
5. المخطوط متعلق بتفسير القرآن الكريم وعلم التفسير، وهو من أجل العلوم وأشرفها.
6. معرفة طريقة أسلافنا الأقدمين في البحث والكتابة والتأليف والإفادة منها .

أسباب اختيار الموضوع:

أما اختياري لتحقيق هذا الجزء من المخطوط فإنه راجع للأسباب الآتية:

1. رغبتني الشديدة في دراسة المخطوطات وتحقيقها.
2. إن هذا المخطوط لم يسبق أن حقق من قبل.
3. أهمية الكتاب لما فيه من تراث علمي يشمل الفقه وتفسير معاني القرآن، وعلوم الحديث، وعلوم التاريخ، والتعريف بعلماء التفسير.
4. التعرف على معاني كلمات القرآن، واختلاف العلماء الساعين في تأويلها.

هيكلية الرسالة:

قام بتحقيق هذا المخطوط مجموعة من الطلاب أخذت جزءاً منه فقسمت هذه الرسالة إلى مقدمة وقسمين وخاتمة تحتوي على أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث والفهارس العامة للرسالة، وقائمة بالمصادر والمراجع التي استعنت بها،

وخصت المقدمة إلى الإطار العام للدراسة، وأهمية الموضوع، وسبب اختياره، وهيكلية الرسالة، وبعد المقدمة أفردت قسمين الأول القسم الدراسي والثاني القسم التحقيقي كما يلي:

- **القسم الدراسي:** نبذة عن حياة مؤلف تفسير ابن كثير الذي حققت جزءاً من مختصره، ودراسة لحياة المؤلف وتشمل، اسمه، ولادته، وشيوخه، وتلاميذه، ومؤلفاته، وفاته، واسم الكتاب، ونسبته للمؤلف، وسبب تأليف الكتاب، ومنهجه في هذا الكتاب.
- **وأما قسم التحقيق:** فقد قدمت فيه الجزء الخاص به محققاً وفق قواعد التحقيق، الذي يبدأ من سورة الحجرات إلى نهاية سورة التحريم ويشتمل على اللوحات من رقم (477) إلى (527) وبذا يكون عدد اللوحات (51) لوحة.

منهجي في التحقيق:

1. كتبت النص وفق القواعد الإملائية المتبعة اليوم.
2. قمت بضبط الآيات القرآنية وتخريجها مع ذكر السور ورقم الآية، مع مراعاة الرسم القرآني لما يوافق رواية حفص عن عاصم ووضعها بين قوسين ﴿﴾.
3. حاولت أن أخرج النص في أقرب صورة أرادها المؤلف، والتزمت المنهج العلمي المعتمد في تحقيق النصوص التراثية .
4. وثقت النقول التي صرح بها المؤلف من الكتب التي نقل عنها، فإذا لم أجد الكتب التي نقل عنها فإنني أوثق النقل من بعض المصادر، فإذا لم أجد أشير إلى عدم الوقوف عليه.
5. نسبت القراءات القرآنية إلى مصادرها وذكرت من قرأ بها.
6. قمت بتخريج الأحاديث الواردة في المخطوط، فإذا وجد حديثاً في الصحيحين أو أحدهما اقتصرته على تخريج الحديث منهما، أما إذا كان في غير الصحيحين فأخرجه من كتب الحديث الأخرى، مع بيان الحكم عليه من حيث الصحة والضعف.
7. قمت بضبط الكلمات التي تصعب قراءتها أو فيها لبس.
8. شرحت الكلمات التي تحتاج إلى شرح، ووثقت ذلك من المصادر الأصلية.

9. نسبت الأبيات الشعرية إلى قائلها مع عزوها إلى دواوين أصحابها أو من مصادر كتب اللغة والأدب.
10. عرّفت بالكتب الوارد في الكتاب.
11. قمت بترجمة الأعلام عند ورود العلم لأول مرة، سوى الأنبياء - عليهم السلام - وأعلام الصحابة ممن لا تخفى معرفتهم.
12. أضفت عبارة (صلى الله عليه و سلم) وعبارة (رضي الله عنه) عندما يذكرها المؤلف وأضعها بين شرطتين هكذا - رضي الله عنه -.
13. وضعت الإشارات، وعلامات الترقيم، والأقواس، والرموز، كل في مكانه.
14. جعلت في نهاية التحقيق خاتمة ذكرت فيها ما توصلت إليه من نتائج في هذا البحث.
15. وضعت فهرس؛ ليسهل تناول البحث، وهي على النحو الآتي:

فهرس الأحاديث النبوية.

فهرس الآثار.

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس الكتب الواردة في الكتاب.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات العامة.

ملاحظة: الطلاب الذين قاموا ويقومون بدراسة هذا الكتاب المسمى (البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير) لأبي المحامد عفيف الدين بن سعيد بن مسعود الكازروني وتحقيقه. هم كالاتي:

1. الطالب محمد شكلاوون، وقد أخذ جزءاً من المخطوط وهو تفسير سورة الفاتحة والبقرة.
2. الطالب هشام أبو قرين، أخذ جزءاً من المخطوط وهو تفسير سورة آل عمران والنساء والمائدة.
3. الطالب وليد الشاوش، أخذ جزءاً من المخطوط سورة الأنعام، والأعراف، والأنفال والتوبة .
4. خالد الشاوش، أخذ جزءاً من المخطوط من بداية سورة يونس إلى نهاية سورة الإسراء.
5. الطالب سالم ضوء، أخذ جزءاً من المخطوط من بداية سورة الكهف إلى نهاية

- سورة النور.
6. الطالب محمد الشريف، أخذ جزءاً من المخطوط من بداية سورة الفرقان إلى نهاية سورة فاطر.
7. الطالب خالد إسماعيل، أخذ جزءاً من المخطوط من بداية سورة يسن إلى نهاية سورة الفتح.
8. الطالب عبد الهادي الفيتوري، أخذ جزءاً من المخطوط من بداية سورة الحجرات إلى نهاية سورة التحريم.
9. الطالب بشير قليصة، أخذ جزءاً من المخطوط من بداية سورة الملك إلى نهاية سورة الناس.

القسم الأول

نبذة عن ابن كثير

ودراسة لحياة المؤلف

- اسمه و نسبه .
- ولادته .
- شيوخه و تلاميذه .
- مؤلفاته .
- وفاته .

نبذة ابن كثير - رحمه الله -

من هو الحافظ ابن كثير؟

هو فقيه المفسرين، ومفسر المحدثين، وأديب المؤرخين، وخطيب الشاميين، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي⁽¹⁾ وصفه الحافظ ابن حجر فيما نقله الإمام الذهبي بقوله: "الإمام المحدث البارع فقيه متفنن محدث متقن مفسر"⁽²⁾.

ولادته ونشأته وعائلته:

ولد الحافظ ابن كثير في مطلع القرن الثامن سنة (701هـ) على الراجح في منطقة بصرى قرب دمشق، وقد نشأ في عائلة علمية، إذ اتسمت عائلة الحافظ ابن كثير بقيادة المنابر، ورفع لواء العلم، فقد تسلم أبوه أحد منابر العلم، إذ كان خطيباً⁽³⁾ ومن عائلته الذين تأثر بهم: أخوه الأكبر عبد الوهاب الذي أخذ عنه الحافظ، وحظي برعايته، والاستفادة من علمه بعد وفاة أبيه، وخصوصاً أن أباه توفي مبكراً سنة (703هـ) وعمر الحافظ سنتان.

طلبه للعلم:

قضى الحافظ ابن كثير ست سنوات في بصرى ثم انتقل إلى دمشق سنة (707هـ)، وبدأ الحافظ ابن كثير طلبه للعلم بحفظه للقرآن الكريم، وأتم حفظه ولم يبلغ العاشرة من عمره؛ إذ ختم القرآن الكريم سنة إحدى عشرة وسبعمئة على الشيخ المقرئ المحدث أبي عبد الله محمد بن حسين بن غيلان الحنبلي (ت730هـ)، وقد ذكره ذلك الحافظ ابن كثير في تاريخه، ووصفه بالشيخ الصالح العابد الناسك الخاشع إمام مسجد السلالين⁽⁴⁾.

(1) ينظر: البداية والنهاية (33/4، 34).

(2) الدرر الكامنة (574/1).

(3) ينظر: البداية والنهاية (31/14، 33).

(4) ينظر: البداية والنهاية (118/14).

وتتجلى جوانب أخرى من شخصية الحافظ ابن كثير بالنظر في إنتاجه العلمي من المصنفات المتميزة في موضوعاتها النافعة، ومنهجيتها البارعة، وموسوعيتها الجامعة وعلى سبيل المثال نرى في تفسيره القيمة العلمية العالية، وكذا بقية كتبه فكتابه جامع المسانيد حاول فيه جمع حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكتابه البداية والنهاية أرخ فيه من بدء الخلق إلى زمانه ويعتبر من التواريخ المعتمدة والمعتبرة في منهجه وموسوعيته، وقوة مصادره وسهولة أسلوبه⁽¹⁾.

وإذا تفحصنا مؤلفات الحافظ ابن كثير نراها ذات طابع موسوعي في كثير منها، كالتفسير، والسيرة النبوية، وجامع المسانيد، والبداية والنهاية، وطبقات فقهاء الشافعية، وغيرها.

أما عن عدد مؤلفات الحافظ ابن كثير فقد أحصاها ووصفها محمد بن عبد الله بن صالح الفالح وقد ذكر أنها بلغت (69) مؤلفاً.

(1) ينظر: البداية والنهاية (294/14).

دراسة لحياة المؤلف

اسمه:

محمد بن محمد سعيد بن مسعود بن محمد بن مسعود بن محمد بن علي بن أحمد بن عمر بن إسماعيل بن الأستاذ أبي علي الدقاق هو الحسن بن علي بن محمد بن إسحاق بن عبد الرحيم بن إسحاق أو أحمد العفيف أبو المحامد بن سعيد الدين أبي محمد بن الضياء البلياني النيسابوري ثم الكازروني الشافعي⁽¹⁾.

نسبه:

نسبة إلى كازرون وهي إحدى بلاد فارس خرج منها جماعة من العلماء والفضلاء وأهل الخير⁽²⁾.

وقد وقع خطأ في اسمه في بعض المصادر، ف قيل: سعيد بن محمد بن مسعود، وقيل: سعد بن مسعود، ومحمد بن مسعود، وسعيد الدين، وسبب الخلط يقع بينه وبين ابنه: (سعيد بن محمد بن مسعود، عفيف الدين، أبو سعد)؛ حيث أوردت بعض المصادر في بعض كتب الأدب تحت اسم الابن مما يوقع المراجع في ترجمة الأب في حيرة⁽³⁾ وفي بعض الكتب أن اسمه هو محمد بن سعيد بن مسعود بن محمد بن علي بن أحمد بن عمر بن إسماعيل بن الحسن بن علي بن محمد بن إسحاق بن عبد الرحيم بن أحمد أبو عبد الله نسيم الدين بن سعد الدين النيسابوري الكازروني الفقيه الشافعي نشأ بكازرون وأنه من ذرية أبي علي الدقاق⁽⁴⁾.

مولده:

ولد في ثاني عشر ربيع الأول سنة سبع وعشرين وسبعمائة من بلاد فارس بكازرون، ونشأ بها، واشتغل فيها على أبيه بالعلم وسمع منه بها⁽⁵⁾.

(1) ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (21/10)، وهديّة العارفين (535/1)، واللوحه 2/ب من المخطوط.

(2) ينظر: الأنساب للسمعاني (14/5).

(3) ينظر: جهود العلماء في تصنيف السيرة النبوية في القرنين الثامن والتاسع (55/1).

(4) ينظر: أنباء الغمر (230/1).

(5) ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (21/10).

شيوخه:

أجازه بعض مشايخه وهم الحفاظ المزي⁽¹⁾ والبرزالي⁽²⁾ والذهبي⁽³⁾ والعلائي⁽⁴⁾ وأبو حيان⁽⁵⁾ وابن الخباز⁽⁶⁾ والميدومي⁽⁷⁾ وابن غالي⁽⁸⁾ وابنة الكمال⁽⁹⁾ وابن كثير وقرأ على أبيه كتباً جمّة ذكره العفيف الجرهني⁽¹⁰⁾ في مشيخته⁽¹¹⁾.

(1) هو يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك بن يوسف بن علي بن أبي الزهر الإمام العلامة الحافظ الكبير شيخ المحدثين، الدمشقي المزي ولد في ربيع الآخر سنة 654هـ، من تصانيفه كتاب تهذيب الكمال، والأطراف، طبقات الشافعية (76/74/3).

(2) هو القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف البرزالي علم الدين بن بهاء الدين الدمشقي الحافظ ولد في جمادى الأولى، سنة 665هـ، ومات ذاهباً إلى مكة في رابع ذي الحجة سنة 739هـ ودفن بخليص، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (279/277/4).

(3) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ابن الشيخ عبد الله التركماني الفارقي الدمشقي الشافعي المقرئ المحدث ولد سنة 673هـ وأجاز له أبو زكريا ابن المصري، والقاسم الأربلي، وابن أبي الخير، معجم المحدثين (97/1).

(4) هو خليل العلائي صلاح الدين أبو سعيد ولد سنة 694هـ وصنف التصانيف في الفقه و الأصول والحديث، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (215/212/2).

(5) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي أثير الدين أبو حيان الأندلسي ولد في أواخر شوال سنة 654هـ توفي 28 صفر سنة 745هـ، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (65/58/6).

(6) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن سالم بن بركات بن سعد الدمشقي الأنصاري العبادي من ولد عبادة بن الصامت المعروف بن الخباز ولد في رجب سنة 667هـ مات في ثالث شهر رمضان سنة 756هـ، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (120 - 119/5).

(7) محمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم بن عنان الميدومي صدر الدين أبو الفتح، ولد في شعبان سنة 664هـ مات في شهر رمضان سنة 754هـ، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (419/5).

(8) هو محمد بن غالي بن نجم بن عبد العزيز الدمياطي، شمس الدين أبو عبد الله القاهري مولده سنة 650هـ مات ليلة الثالث من شهر ربيع الأول سنة 741هـ. الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (393/5).

(9) هي زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسية المعروفة ببنت الكمال، ولدت سنة 646هـ من أهل بيت المقدس شيخة عالمة بالحديث، ماتت في تاسع عشر جمادى الأولى سنة 740هـ، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (249/248/2).

(10) هو نعمة الله بن محمد بن عبد الرحيم بن عبد الكريم بن نصر الله بن سعد الله بن أبي حامد الشرف، أبو الخير بن العفيف القرشي البكري الجرهني بفتح الجيم والراء الشيرازي الشافعي، ولد في صفر سنة خمس عشرة وثمانمائة بشيراز، سمع الكثير من أبيه، وجماعة بمكة وحبب إليه الطلب، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (108/5).

(11) ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (21/10).

تلاميذه:

سمع منه: إبراهيم بن محمد بن مبارز بن محمد بن أبي الحارث عفيف الدين وتقي الدين بن شمس الدين بن كافي الدين الخنجي الشيرازي مات يوم الجمعة سادس عشر جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وقيل خمس وثلاثين⁽¹⁾ أحمد بن عمر ابن محمد بن عمر بن محمد بن أبي طالب جلال الدين أبو الفتوح ابن فخر الدين الكازروني البليائي⁽²⁾، عبد الرحيم بن عبد الكريم بن نصر الله بن سعد الله بن الخطيب أبو حامد بن أبي الطاهر بن كمال القرشي البكري الجباني ولد ليلة الخميس ثالث صفر سنة أربع وأربعين وسبعمائة بشيراز⁽³⁾.

مصنفاته:

للكازروني تصانيف عديدة ؛ منها ماكتب بالعربية، ومنها ما كتب بالفارسية، ثم ترجم بالعربية، ومن مصنفاته بالعربية كتاب ((النجم من كلام سيد العرب والعجم)) لأبي العباس أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل التجيبي الأندلسي الإقليشي (ت 550هـ) رتبه على عشرة أبواب، وجعل الباب العاشر مختصاً بأدعية مأثورة عن النبي - صلى الله عليه و سلم- في مجلد⁽⁴⁾، والبدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير.

وله كتاب ((شرح المشارق)) وهو كتاب ((مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية)) للإمام رضي الدين حسن بن محمد الصاغانى (ت 650 هـ) وعدد الأحاديث الموجودة فيه تقارب 2246 حديثاً⁽⁵⁾.

ومن مصنفاته بالفارسية كتاب ((مناسك الحج)) و((المنتقى في سير مولد النبي المصطفى))⁽⁶⁾، وقد رتبه على أربعة أقسام وخاتمة، أوله: الحمد لله الذي خلق

(1) ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (21/10).

(2) ينظر: المرجع نفسه (21/10).

(3) ينظر المرجع نفسه (21/10).

(4) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (1920/2).

(5) ينظر: المرجع نفسه (1689/2).

(6) ينظر: هدية العارفين في أسماء المؤلفين (161/2).

نور محمد - صلى الله عليه و سلم- قبل الأشياء، القسم الأول فيما كان من أول خلق نوره إلى زمان ولادته وفيه ثمانية أبواب، الثاني: فيما كان من أول ولادته إلى نبوته، وفيه تسعة أبواب، الثالث: فيما كان من نبوته ومدة إقامته بمكة المكرمة، وفيه تسعة أبواب، الرابع: فيما كان من سنة هجرته، وفيه أحد عشر باباً، والخاتمة في أنواع شتى، وهذا يعود إلى تعظيم النبي - صلى الله عليه و سلم- وقد عرّبه ولده المسند عفيف الدين، وترجم الأصل عبد العزيز بن قرّه جلبي زاده (ت 1068هـ)⁽¹⁾.

وفاته:

توفي - رحمه الله - في أواخر جمادى الآخرة سنة 785هـ⁽²⁾.

(1) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب الفنون (1851/2).

(2) ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (7/6).

دراسة للمؤلف

- اسم الكتاب .
- نسبته للمؤلف .
- سبب تأليف الكتاب .
- منهجه في هذا الكتاب .

اسم الكتاب:

نصَّ المؤلف على تسمية الكتاب في المقدمة فقال: "وسميته البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير".

نسبة الكتاب للمؤلف:

لم أقف على نسبة الكتاب لمؤلفه إلا في مقدمة الكتاب، حين ذكر اسمه في مقدمة الكتاب " أبو المحامد عفيف الدين سعيد بن مسعود بن محمد بن مسعود الكازروني"، وبعدها قال: سميته البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير، وهذا دليل على أن نسبة الكتاب للكازروني مؤكدة⁽¹⁾.

سبب تأليف الكتاب:

أشار المؤلف في المقدمة إلى سبب تأليف هذا الكتاب فقال: " اقترح عليّ بعض إخواني في طريق العلم والدين، وخِلَّاني من أهل المعاني واليقين أن ألخص منه مقاصده، وأمَيِّز لَبَّه من مبانيه، وأبَيِّن لهم ما هو المراد من مقاطعه ومعانيه" فقلت: في تحرير الجواب، ما للتراب ورب الأرباب من أين وكيف لي وأتَى أن أرشف ريقه المهني، فلم يزد هم إلا المبالغة في الإلحاح، فأجابهم بقوله: " فلَمَّا لم يكن لي بدُّ من تلقيهم بالإجابة، والله الكريم ولي الإصابة" فاستخرت الله تعالى واستوقفته ورغبني دواعي الشكر إلى غوص ذلك البحر العميق، فتركت فيه الأسانيد والمكررات، وسميته البدر المنير الملخص من تفسير ابن كثير، ومن هذا القول نفهم أن المؤلف ألف الكتاب بطلب من أخلائه فقام بتلخيص ابن كثير⁽²⁾.

منهجه في كتابه:

سلك الكازروني منهجاً علمياً دقيقاً في إيراد التفسير فتناول جميع ضروب البيان، ونلاحظ أن منهجه لم يخرج عن منهج شيخه ابن كثير وأذكر منهجه مرتباً حسب أهميته، وهي كالاتي:

(1) ينظر: اللوحة رقم/5/ب.

(2) ينظر: اللوحة رقم/5/أ/ب.

أولاً- الاستدلال على تفسيره بالقرآن:

1. حرص المؤلف على أن يصدر تفسيره بالبيان القرآني، وهو منهج مثالي قد رسمه الإمام الشافعي في كتابه القيم ((الرسالة)) وجعله البيان الأول من أنواع البيان، وقد أخذ بهذا المنهج في بداية كل تفسيره فكلما وجد آية مبينة للآية التي يريد تفسيرها فإنه يوردها ويصرح بها، بل ويذكر مرادفاتها؛ ليوضح المعنى بالآيات القرآنية، وقد يشير إلى تفسير القرآن بالقرآن كما في تفسير قوله - تعالى - : ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ فهذه إشارة إلى الآيات التي فيها إطلاق، مثل قوله تعالى ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾⁽¹⁾.
2. حرص المؤلف على تسمية السور على طريقة شيخه ابن كثير وأماكن نزولها مدنية كانت أم مكية باستثناء سورة القمر فقد خالف فيها شيخه ابن كثير وقد سماها (سورة اقتربت)⁽²⁾.
3. من منهج المفسر أنه يهتم أحياناً بتفصيل الأحكام الفقهية عند تفسيره لبعض آيات الأحكام ويتوسع في بيان تلك المسائل ويورد عليها الأدلة ويبسط القول فيها من ذلك حديثه عن الغيبة والنميمة، وبيان الموضع التي تشرع فيها الغيبة.
4. يتعرض المفسر إلى الجانب العقدي وذكر آراء علماء المسلمين وبيان آراء المذاهب والاختلافات والاحتجاج لأهل السنة يثبت رؤية الله - تعالى - في الجنة ومن الأدلة على ذلك، عن ابن عباس " أنه رآه بفؤاده مرتين " وعن ابن مسعود وغيره أنه رآه مطلقاً، وهو محمول على المقيد بالفؤاد، وقول البغوي في تفسيره وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، واستدل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية تلك الليلة لم تقع؛ لأنه قال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ عَائِتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ ﴿ ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك ولقال ذلك للناس⁽³⁾ .
5. أسلوب الكتابة لبعض الكلمات رسمت بالرسم القرآني، كما في كلمة الزكاة، والملائكة، والتوراة، والصلاة، فكانت ترسم: الزكوة، والملئكة، والتورية، والصلوة،

(1) ينظر: ص (37) من هذه الرسالة.

(2) ينظر: ص (123) من هذه الرسالة.

(3) ينظر: ص (106) من هذه الرسالة.

- ومن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم-: « أرجع فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكوة فمن استجاب لي جمعت زكاته»⁽¹⁾.
6. ومن منهج المفسر أنه فرق بين الإيمان والإسلام، وذلك من خلال ما ورد من آيات تشير إلى الاختلاف بين حقيقة الإيمان والإسلام، ومنه قوله - تعالى-: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ الأحاديث التي استدلت بها المؤلف، وفي الآية دليل لأهل السنة أن الإيمان أخص من الإسلام، ويدل عليه حديث جبريل حين سأل عن الإسلام ثم عن الإيمان فرقى من الأعم إلى الأخص ثم الأخص منه. وقد فرق النبي - صلى الله عليه وسلم- بين المؤمن والمسلم فدل على أن الإيمان أخص من الإسلام، وأن هؤلاء الأعراب المذكورين في الآية ليسوا منافقين بل مسلمون لم يستحکم الإيمان في قلوبهم، وذهب الإمام البخاري إلى أن هؤلاء كانوا منافقين يظهرن الإيمان، ولكل وجهة⁽²⁾.
7. يعتمد المؤلف على التفسير بالمأثور ولا يعتمد على الاسرائيليات وأكاديبهم، ومن خرافات بني إسرائيل واختلاف زيادتهم اضلالاً للناس، وقد أكثر كثير من المفسرين من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن وليس لنا احتياج لذلك بحمد الله.
8. لا يذكر المؤلف الآية التي يستشهد بها كاملة وإنما يأتي ببعض منها في كثير من الآيات وذلك في مواضع كثيرة كقوله: ﴿التَّيِّبُ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾⁽³⁾ وتارة يأتي بها كاملة، وذلك في مواضع كثيرة، كقوله - تعالى-: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁽⁴⁾.
9. أحياناً يذكر المؤلف أحاديث وأثار يبين فضل السورة التي يريد أن يفسرها ومن أمثلة ذلك سورة (ق) و (اقتربت) و (الصف)⁽⁵⁾، وأحياناً يبدأ بالسورة مباشرة

(1) ينظر: ص (40) من هذه الرسالة.

(2) ينظر: ص (53) من هذه الرسالة.

(3) ينظر: ص (40) من هذه الرسالة.

(4) ينظر: ص (67) من هذه الرسالة.

(5) ينظر: ص (56، 123، 272) من هذه الرسالة.

- ومن أمثلة ذلك سورة (الحجرات) و (المتحنة) و (المنافقون)⁽¹⁾.
10. يشير المؤلف في بعض الآيات التي سبق تفسيرها، إلى اسم السورة وليس الآية ومثال ذلك قوله سبق في سورة البقرة، وذلك في مواضع كثيرة عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿يُضَعِفُهُ لَكُمْ﴾ كما سبق في سورة البقرة، ﴿فِيضَعِفُهُ لَهُ وَأَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾⁽²⁾.
11. ينسب المؤلف الأقوال إلى أصحابها من باب الأمانة العلمية التي اعتبرها علماؤنا من بركة العلم فإن كان القول لواحد تارة يصرح به، وتارة لا يصرح به، وكلاهما كثير في البحث، فأما إن كان لأكثر من واحد فإنه يستعمل عبارة (وغير واحد) كما في قوله: "قال ابن عباس وغير واحد ﴿لَهَا طَلْعٌ تَضِيدٌ﴾ أي: منضود"⁽³⁾ وتارة يستعمل وغيره كما في قوله: "ههنا أن المراد بحر السماء وبحر الأرض، كما قال مجاهد وغيره؛ لأن اللؤلؤ يتولد من السماء"⁽⁴⁾.
12. عند ذكره للأقوال ينسبها إلى مصادرها، وذلك في مواضع قليلة، كما في قوله: "قال: يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة" رواه البغوي في تفسيره⁽⁵⁾.
13. كثيرا ما يشير إلى أسماء المؤلفين دون ذكر كتبهم وذلك كقوله: (قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «الولد ثمرة القلب، وإنهم مجبنة منجلة محزنة» رواه الحافظ البزار⁽⁶⁾) وقوله: ﴿عَاخِذِينَ مَأْتَانَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ قال ابن جرير (أي عاملين بما آتاهم الله من الفرائض)⁽⁷⁾ وقوله: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى» رواه الطبراني⁽⁸⁾.
14. ينقل أقوال أهل العلم في مسائل الفقه والأحكام والمعاملات موثقة بالأدلة وقوله:

(1) ينظر: ص (33، 256، 292) من هذه الرسالة.

(2) ينظر: ص (306) من هذه الرسالة.

(3) ينظر: ص (58) من هذه الرسالة.

(4) ينظر: ص (141) من هذه الرسالة.

(5) ينظر: ص (153) من هذه الرسالة.

(6) ينظر: ص (305) من هذه الرسالة.

(7) ينظر: ص (75) من هذه الرسالة.

(8) ينظر: ص (165) من هذه الرسالة.

﴿يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: هذا الذي أمرناكم به من الإشهاد وإقامة الشهادة إنما يأتى به من يؤمن بالله، ومن ههنا ذهب الشافعي في أحد قوليه إلى وجوب الإشهاد في الرجعة، كما يجب عنده في ابتداء النكاح، وبه قال طائفة من العلماء فلا يصح الرجعة إلا بالقول والإشهاد عليها⁽¹⁾.

15. يستشهد المؤلف عند تفسيره لبعض الآيات القرآنية بالأبيات الشعرية في كتابه، وذلك في مواضع كثيرة، كما في تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ والأبيات هي:

من لا يزال دمه مقلعاً * فإنه لا بد مرة مدفوق⁽²⁾

ثانياً - الأحاديث الشريفة:

اعتنى المؤلف بالاستدلال بالحديث النبوي من مسند الإمام أحمد والكتب الستة والموطأ وغيرها من الكتب المسندة.

1. الأحاديث التي استدل بها المؤلف في أغلبها صحيحة، وأحياناً يكشف علل الروايات الضعيفة، فساق روايات صحيحة متواترة، وروايات ضعيفة متناثرة، وذلك من كتب الصحيحين والسنن والمسانيد⁽³⁾.

2. أحياناً يسوق حديثاً واحداً؛ لبيان الآية كقوله - تعالى -: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَرَزَقْنَاهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ عن أنس - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «الإسلام علانية، والإيمان في القلب» - قال: ثم يشير إلى صدره ثلاث مرات - ثم يقول: التقوى ههنا» رواه أحمد⁽⁴⁾.

وأحياناً يسوق أكثر من حديث؛ لبيان الآية كقوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وعن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إذا دخل المؤمن الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده. فيقال له لم يبلغوا

(1) ينظر: ص (310) من هذه الرسالة.

(2) البيت لابن الأثير (115/4).

(3) ينظر: ص (77) من هذه الرسالة.

(4) ينظر: ص (41) من هذه الرسالة.

درجتك، فيقول: يارب قد عملت لي ولهم فيؤمر بإحاقهم به» رواه الطبراني وقوله: "فقد روى أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يارب أنى لي هذه؟» رواه أحمد بإسناد صحيح"⁽¹⁾.

3. يذكر المؤلف في بعض الأحاديث كتب الصحيحين، والسنن والمسانيد قبل المتن، كقوله: وفي النسائي عن عبد الله بن عمر أن رسول - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن المقسطين في الدنيا على منابرم نور»⁽²⁾ كما جاء في الصحيح: «يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل»⁽³⁾.

4. يذكر المؤلف لفظ (انفرد به أو تقربه) في كثير من المواضع وذلك كقوله: - صلى الله عليه وسلم - «أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض» تفرد به أحمد⁽⁴⁾ وقوله: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه فإن ذلك يحزنه» انفرد به مسلم⁽⁵⁾.

5. المؤلف يشير في بعض الأحاديث إلى الحديث بلفظ (حسنه وصححه) وذلك عندما يكون الحديث قد رواه الترمذي كما في قوله: "قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن تغفر اللهم يغفر جمًا، وأي عبد لك ما ألما» رواه الترمذي وصححه"⁽⁶⁾. وقوله قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «قال الله ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك» رواه أحمد والترمذي وحسنه"⁽⁷⁾ وأحياناً لا يشير إلى ذلك كقوله: " أن رسول الله

(1) ينظر: ص (81) من هذه الرسالة.

(2) ينظر: ص (44) من هذه الرسالة.

(3) ينظر: ص (88) من هذه الرسالة.

(4) ينظر: ص (211) من هذه الرسالة.

(5) ينظر: ص (223) من هذه الرسالة.

(6) ينظر: ص (115) من هذه الرسالة.

(7) ينظر: ص (84) من هذه الرسالة.

- صلى الله عليه وسلم - ردّ ابنته زينب إلى أبي العاص وكان إسلامها قبل إسلامه بست سنين على النكاح الأوّل، ولم يحدث شهادة ولا صداقاً" رواه أحمد وأبوداود والترمذي⁽¹⁾.
6. المؤلف في بعض الأحاديث لا يذكر فيها السند ولا الرواة، وإنما يذكر فيها المتن فقط فمثلاً يقول: كما في الحديث (إذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها أخرى). وفي رواية (ما قطعت من ثمار الجنة إلاّ أبدل الله مكانها ضعفين).
7. ينسب الحديث لأكثر من راوي بالرواية نفسها فمثلاً يقول كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (يصلي على أثر كل صلاة مكتوبة ركعتين إلاّ الفجر والعصر) رواه أحمد وأبوداود والنسائي⁽²⁾.
8. وقوله أن النبي - صلى الله عليه وسلم - (كان يقرأ في العيد بقاف واقتربت) رواه مسلم وأهل السنن الأربعة⁽³⁾.
9. من مصادره في الأحاديث التي اعتمد عليها مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي وسنن أبي داود وكثير ما يجتمع بينها وذلك كقوله: - صلى الله عليه وسلم - فقال: (اكتب فو الذي نفسي بيده ما خرج مني إلاّ حق) رواه أحمد وأبوداود⁽⁴⁾ وقوله: (قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «للسائل حقّ وإن جاء على فرس» رواه أحمد وأبوداود⁽⁵⁾ وقوله: "أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا يحل أن يفرق بين اثنين إلاّ بإذنهما» رواه أحمد وأبوداود والترمذي⁽⁶⁾.
10. كثيراً ما يأتي بالأحاديث بأكثر من لفظ في نفس سياق الحديث فمثلاً يقول: كما في الحديث «إذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها أخرى». وفي رواية «ما قطعت من ثمار الجنة إلاّ أبدل الله مكانها ضعفين»⁽⁷⁾.

(1) ينظر: ص (264) من هذه الرسالة.

(2) ينظر: ص (71) من هذه الرسالة.

(3) ينظر: ص (56) من هذه الرسالة.

(4) ينظر: ص (102) من هذه الرسالة.

(5) ينظر: ص (77) من هذه الرسالة.

(6) ينظر: ص (225) من هذه الرسالة.

(7) ينظر: ص (165) من هذه الرسالة.

11. أحيانا يقدم الصحيحين قبل السنن والمسانيد وذلك كقوله: "أن النبي - صلى الله عليه وسلم - «كان يقرأ في العيد بقاف واقتربت» رواه مسلم وأهل السنن الأربعة"⁽¹⁾ وأحيانا يقدم غيره على الصحيحين وذلك كقوله: "انتهيت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يقول: «ألهاكم التكاثر، يقول ابن آدم مالي مالي فهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟» رواه أحمد ومسلم"⁽²⁾.

12. كثيراً ما يأتي بلفظ (ثبت في الصحيحين أو في الصحيح) وذلك كقوله: (وثبت في الصحيح أنه - عليه الصلاة والسلام - قال لجبريل: لما سأله عن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك»⁽³⁾ وقوله (وقد ثبت في الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة قال: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه»⁽⁴⁾، وتارة يقول (هكذا في الصحيحين) وذلك كقوله: "قال - عليه الصلاة والسلام -: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم إلى قيام الساعة» وفي لفظ «حتى يأتي أمر الله تعالى وهم على ذلك» هكذا في الصحيحين⁽⁵⁾، وتارة يذكر اسم المؤلف كقوله: «كان رجلاً يلت للحجيج فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه» هكذا في البخاري"⁽⁶⁾.

13. يقدم رواية الإمام أحمد عن رواية أهل السنن الأربعة في كثير من الأحاديث فمثلاً يقول: "إنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «سيكون في هذه الأمة أقوام يكذبون بالقدر» رواه أحمد وأبو داود⁽⁷⁾ وقوله: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «ردّ ابنته زينب إلى أبي العاص، وكان

(1) ينظر: ص (56) من هذه الرسالة.

(2) ينظر: ص (190) من هذه الرسالة.

(3) ينظر: ص (189) من هذه الرسالة.

(4) ينظر: ص (305) من هذه الرسالة.

(5) ينظر: ص (162) من هذه الرسالة.

(6) ينظر: ص (110) من هذه الرسالة.

(7) ينظر: ص (134) من هذه الرسالة.

- إسلامها قبل إسلامه بست سنين على النكاح الأول، ولم يحدث شهادة ولا صداقاً» رواه أحمد وأبوداود والترمذي⁽¹⁾.
14. استخدم المؤلف لفظ محيي السنة عدة مرّات وذلك في قوله: "ما روى أبوهريرة مرفوعاً: «تفكّروا في خلق الله، ولا تفكروا في الخالق فإنه لا تحيط به الفكرة» رواه محيي السنّة في تفسيره⁽²⁾ وقوله: فقال: رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «يا أبا بكر إن الله يقرأ عليك السلام، ويقول لك: أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم ساخط» فقال: أبوبكر - رضي الله عنه- أسخط على ربي؟ إني عن ربي راض" رواه محيي السنة في المعالم⁽³⁾⁽⁴⁾.
15. المؤلف في بعض الأحاديث لا يذكر السند كاملاً وإنما يقتصر على بعض من رجال السند وذلك كقوله: (عن زر أن رجلاً قال إني أقرأ المفصل، ولم يذكر ابن مسعود⁽⁵⁾).

ثالثاً- تفسير الصحابة - رضي الله عنهم -:

- بما أن الصحابة - رضي الله عنهم - هم أعرف الناس بالتفسير بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - فقد اعتمد المؤلف على تفاسيرهم، وأكثر النقل عنهم في الروايات، ومن أوجه أهمية تفسير الصحابي:
1. أن أقوالهم في أسباب النزول لها حكم الرفع، وكذلك أقوالهم في الأمور الغيبية لها حكم الرفع.
 2. وقد نزل القرآن بلغتهم، فلهم القدرة على فهم القرآن، واستنباط الأحكام.
 3. حجية قول الصحابي في التفسير وخصوصاً إذا لم يعارضه صحابي آخر أعلم منه في التفسير، وهذه الحجية متفاوتة بتفاوت علمهم بالتفسير، ففي المرتبة الأولى الخلفاء الأربعة، والمرتبة الثانية: المكثرون كابن عباس، وابن مسعود،

(1) ينظر: ص (264) من هذه الرسالة.

(2) ينظر: ص (120) من هذه الرسالة.

(3) ينظر: قوله معالم أي كتاب معالم السنن.

(4) ينظر: ص (193) من هذه الرسالة.

(5) ينظر: ص (137) من هذه الرسالة.

- وأبي هريرة، وعائشة - رضي الله عنهم أجمعين-.
4. بعض الصحابة بل الكثير منهم حظي بكتابة الوحي، وهذا يساعد على بيان الناسخ والمنسوخ وبيان المشكل، والمكي والمدني، وتخصيص العام.
5. خلو تفاسيرهم من التأويل المذموم.
6. قوة منهجيتهم، ومنها النقد المبكر والتثبت من الرواية .

إضافة إلى اهتمام المؤلف وعنايته بإيراد تفاسير الصحابة من أقوالهم، فهو تارة يسوق قول الصحابي مسنداً مختصراً بذكر الطريق كطريق الضحاك عن ابن عباس، وطريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وطريق العوفي عن ابن عباس، وذلك لبيان نقد السند، وأحياناً يذكر طريقاً ضعيفاً عن الصحابي ثم يردفه بشاهد من الشعر كما في تفسير سورة النجم. عن ابن عباس في قوله ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ قال: جنة يأوي إليها جبريل قال الشاعر:

رأى جنة المأوى وما فوقها ولو * رأى غيره ما قد رآه لتأها
وبهذا فقد سلك المؤلف مسلكاً في اختصار السند وذكر الطريق كي يتبين درجته من الصحة وهذا من المنهجية التي اتبعها المؤلف في جانب تفسير الصحابة.

رابعاً- تفسير التابعين:

إن طبقة التابعين من المفسرين أخذت التفسير عن الصحابة - رضي الله عنهم - فمثلاً روى التفسير عكرمة ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وهؤلاء كلهم روى التفسير عن ابن عباس وغيره من الصحابة، وأيضاً أبو العالية أخذ التفسير عن أبي بن كعب ومنهم من أخذ التفسير عن ابن مسعود - رضي الله عنهم - وقوة تفسيرهم تأتي بعد الصحابة من حيث القوة والتقدم ولهذا اعتمد المؤلف الكازروني على تفاسيرهم وأكثر النقل عنهم، وذلك للقيمة العلمية التي انتهجها المؤلف في تفسيره ومن أوجه هذه القيمة ما يلي:

1. قول النبي - صلى الله عليه وسلم - «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ...» (1).

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد (2- 938)، حديث رقم (5209).

2. أن التابعين لهم روايات في أسباب النزول لها حكم الرفع، وذلك إذا جاءت روايات بأسانيد ثابتة عن أكثر من تابعي، فإنها تقوي بعضها بعضاً، ويكون لها حكم الرفع.
3. إذا وردت الرواية الضعيفة عن الصحابي، فإن الرواية الصحيحة عن التابعي تقويها، وتكون كالشاهد لها إذا كان التابعي قد تتلمذ على الصحابي.
4. غزارة أقوالهم في التفاسير وخاصة في التفاسير كبيرة الحجم مثل تفسير الطبري حيث يحتوي على كثرة الروايات من أقوال المفسرين من التابعين.
5. أكثر الأقوال الذين ينقل عنهم ينسبها إلى ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي وابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم.
6. عندما يفسر آية يأتي بآية أخرى من القرآن يستشهد بها ثم يأتي بحديث، ثم يأتي بقول صحابي، أو أثر من المفسرين، وهذه الطريقة سائدة في أغلب تفسيره، وهذا مسلك شيخه الحافظ ابن كثير.

خامساً - التفسير اللغوي:

إن الاستفادة من التفسير بالقرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين أغنت المؤلف عن التفسير اللغوي في مجال غريب القرآن، فبعض غريب القرآن يروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، وأغلبهم من قبائل عربية فصيحة، ولهذا يظهر أثر البيان اللغوي في تفسير المؤلف واضحاً جلياً مستشهداً بالشعر العربي نقلاً عن دواوين الشعر، والمؤلف قد سار على طريقة شيوخه فاشتمل تفسيره على كثير من الرأي، والنقل، والسماع، فالمؤلف يهتم بالإعراب واللغة كاهتمامه بالرواية، وقد أخذ بهذه الرواية لأنها هي أساس التفسير، وتحت لوائها ينضوي علم أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ والتفسير النبوي، وتفسير الصحابة والتابعين.

سادساً - المصادر التي اعتمد عليها:

أ. المصادر التي صرح بها نذكر منها بعض الأمثلة:

1. تفسير ابن جرير (جامع البيان) وذلك عن تفسيره لقوله - تعالى - ﴿قَالَتِ

الْأَعْرَابُ أَمَّنًا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴿﴾ وَأَنْ هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابُ الْمَذْكُورِينَ فِي الْآيَةِ لَيْسُوا مَنَافِقِينَ، بَلْ مُسْلِمُونَ لَمْ يَسْتَحْكَمِ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَادَّعَوْا لِأَنْفُسِهِمْ مَقَامًا أَعْلَى مِمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِ فَأَدَّبُوا فِي ذَلِكَ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وَطَائِفَةٌ وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

2. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ومثاله من الحديث: «إني رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إليكم، تعلمون أن المعاد إلى الله، إلى الجنة أو إلى النار» رواه ابن أبي حاتم.

3. شرح السنة (للبيهقي) ومثاله في الحديث «إني عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة إبراهيم وبشارة عيسى ورأيا أممي التي حين وضعتني وقد خرج لها نور أضاء لها قصور الشام».

4. كتاب الأم (للشافعي) ومثاله من الحديث «أتاني جبرائيل بمرآة بيضاء فيها نكت، فقلت «ما هذه؟» فقال: هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك، فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى، ولكم فيها خير، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن، يدعوا الله بخير إلا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد».

5. شعب الإيمان (للبيهقي) ومثاله وعن أبي موسى قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشبهة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه، وإكرام السلطان المقسط» رواه أبو داود والبيهقي في شعب الإيمان.

ب. المصادر التي لم يصرح بها:

1. تفسير الإمام مجاهد، ومثاله "لا تفتاتوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بشيء حتى يقضيه الله على لسانه".

2. تفسير السدي، قال السدي "إن سلمان الفارسي كان مع رجلين من

أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم- في سفر يخدمهما ويخف لهما وينال

من طعامهما، وأن سلمان لما سار الناس ذات يوم، بقي سليمان نائماً لم يسر

معهم، فجعل صاحبا يكلماه فلم يجداه، فضربا الخباء".

وصف المخطوط

اعتمدت في تحقيق هذا العمل على نسخة واحدة، وهي نسخة مصورة عن مخطوط بمدينة اسطنبول، بمكتبة نور عثمان (تركيا)، وهي تقع في مجلد واحد، مصنفة تحت رقم إهداء عام: (384)، عدد لوحاته (582)، في كل لوحة صفحتان، مقياس كل صفحة 9 سم عرضاً، و14 سم طولاً .

المؤلف:

أبو المحامد عفيف الدين بن سعيد بن مسعود الكازروني (ت 785هـ).

نوع الخط:

كتبت بالخط المشرقي وهو خط الثلث المائل إلى النسخ أحياناً .

الناسخ:

محمد بن الشيخ إبراهيم بن محمود الحافظ الجولمي الجهرمي.

تاريخ النسخ:

نسخت في واحد وعشرين خلت من ثاني جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وتسعمائة.

عدد الأسطر في كل صفحة والكلمات:

عدد الأسطر ثلاثون سطرًا تقريباً، وعدد الكلمات في كل سطر ست عشرة كلمة تقريباً.

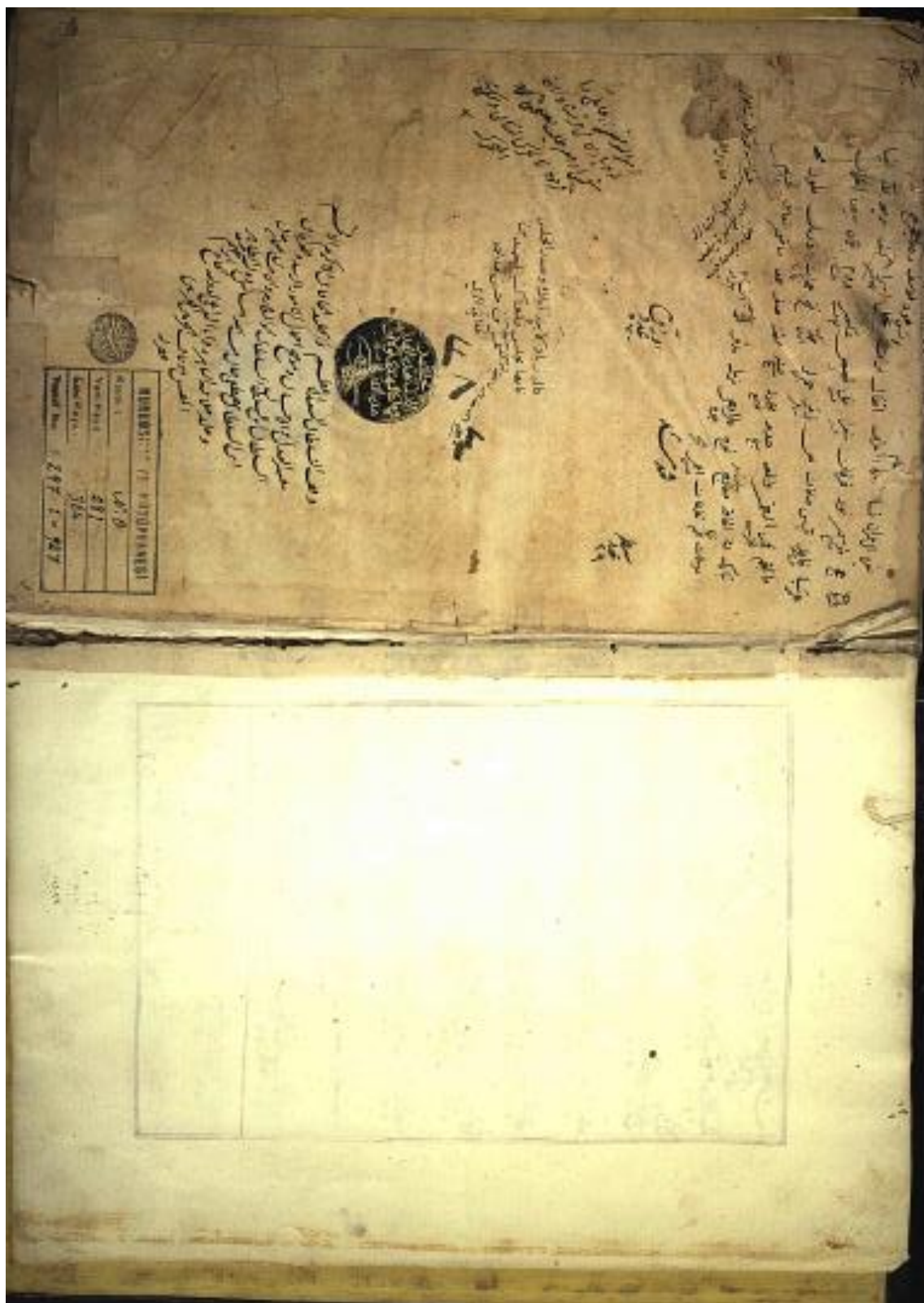
عدد اللوحات المراد تحقيقها:

واحد وخمسون لوحة .

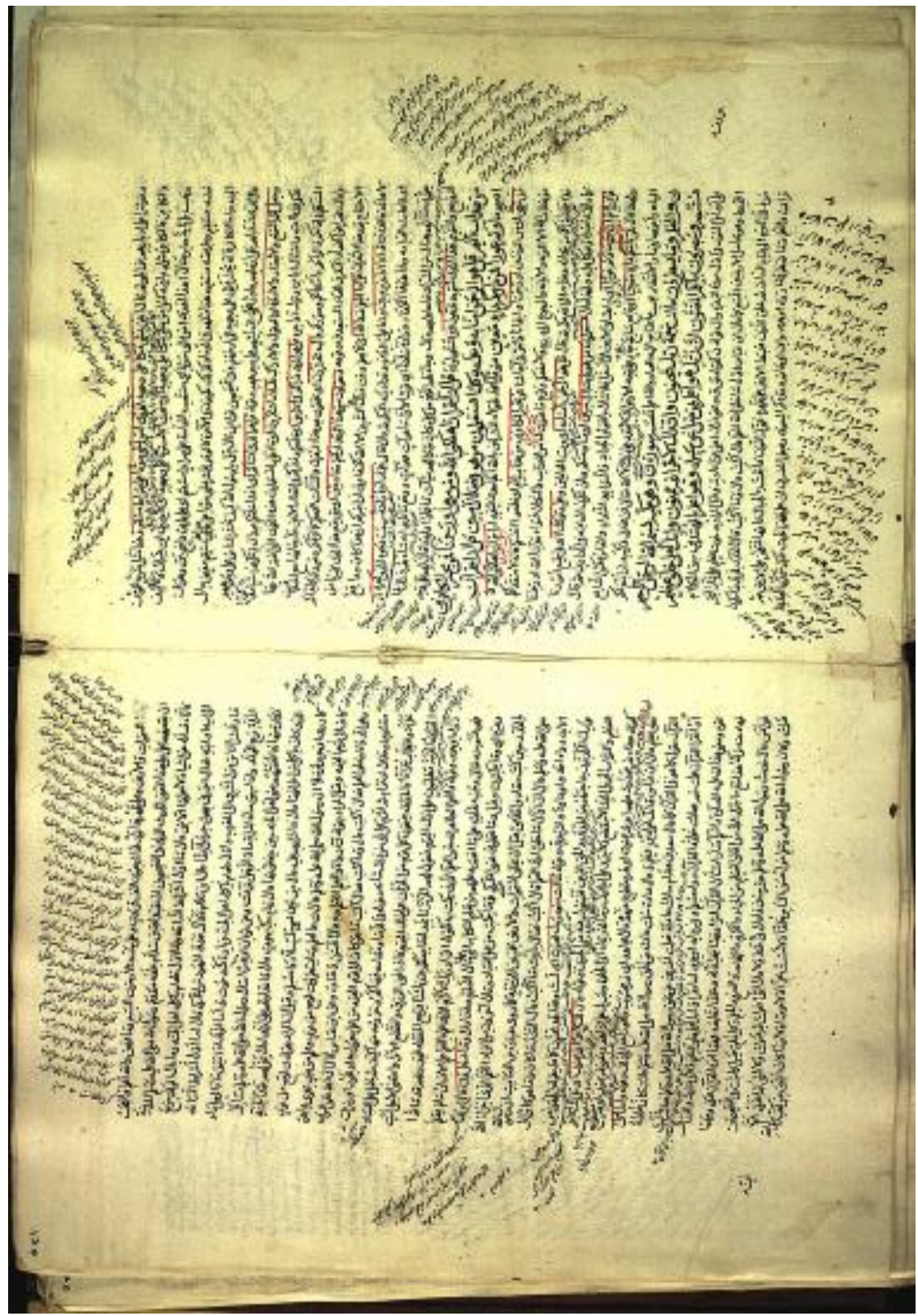
حالة المخطوط:

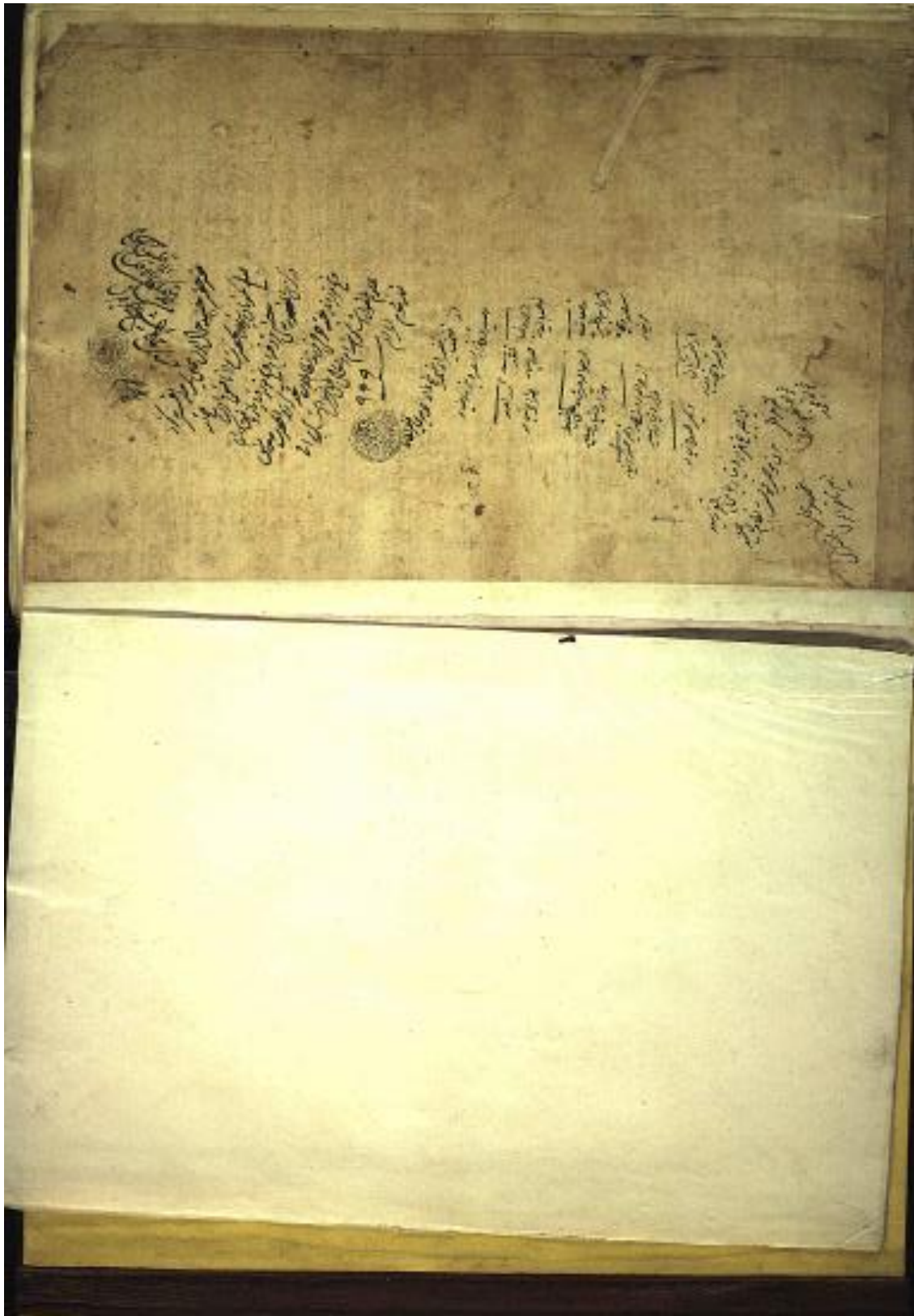
جيدة لا يوجد بها خرم أو ضياع.

وقد أرفقت مع هذا الوصف عدة صور من المخطوط .



صفحة العنوان من مكتبة إسطنبول





القسم الثاني

تحقيق الجزء المختار من المخطوط

من بداية سورة الحجرات إلى نهاية سورة التحريم
عدد اللوحات (51) لوحة .

تفسير سورة الحجرات

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ
رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾

لقد أدب الله عباده المؤمنين، فيما يعاملون به الرسول - عليه الصلاة والسلام -
من التوقير والإعظام.

فقال: ﴿ لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ ﴾ أي: لا تسرعوا في الأشياء بين
يديه؛ أي أمامه وقدامه، يعني بين يدي أمرهما ونهيهما، بل كونوا تبعاً له في جميع
الأمور حتى دخل في عموم هذا الأدب حديث معاذ حيث قال له النبي - صلى الله
عليه وسلم - حين بعثه إلى اليمن⁽¹⁾ « بم تحكم؟ » قال: بكتاب الله قال: « فإن لم
تجد؟ » قال: بسنة نبيه رسول الله قال: « فإن لم تجد؟ » قال: اجتهد رأيي، فضرب
في صدره وقال: « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله - لما يرضي رسول
الله. رواه أحمد وأبو داود⁽²⁾ والترمذي⁽³⁾⁽⁴⁾ .

- (1) اليمن: وهي إحدى الدول التي انتشر فيها الإسلام في عصر النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن سواحلها عدن وصنعاء
والمندب وغيرها من المدن ويوجد فيها كثير من قبائل العرب الذين سكنوا باليمن معجم البلدان (35/1)
- (2) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، محدث حافظ فقيه، حدث عن أبي عمر الضرير، ومسلم بن إبراهيم القضبي
وغيرهم، حدث عنه الترمذي والنسائي وابنه أبو بكر وغيرهم، من مصنفاته كتاب السنن، لأحمد بن حنبل عن الرواة
والثقات، (ت 275 هـ)، تهذيب التهذيب (4/ 149)، وشذرات الذهب (166/2).
- (3) أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، حافظ محدث حدث عن قتيبة بن سعيد، وأبي مصعب، وإبراهيم المهدي،
وغيرهم حدث عنه مكحول بن الفضل محمد بن عنبر، وحامد بن شاکر، وغيرهم، من مصنفاته: الجامع الصحيح،
الشمائل في شمائل النبي - صلى الله عليه وسلم -، والعلل في الحديث، ت 279 هـ. ميزان الاعتدال (678/3)،
وشذرات الذهب (327/3)، وتذكرة الحفاظ (634/2)، ومعجم المؤلفين (134/3).
- (4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (333/36)، حديث رقم (22007)، وأبي داود في سننه، باب اجتهاد الرأي في القضاء
(327/2) حديث رقم (3592)، والترمذي في سننه، كتاب الأحكام، باب ما جاء في القاضي كيف يقضي (301/5)
حديث رقم (1377) وضعفه، ووافقه الألباني في السلسلة الضعيفة (380/2) حديث رقم (881).

فأخر معاذ رأيه واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة، ولو قدمه عليهما لكان من باب التقدم بين يدي الله ورسوله.

قال ابن عباس: (1) أي "لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة" وعنه أيضا، نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه (2).

وقال مجاهد: (3) أي لا تفتاتوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بشيء حتى يقضيه الله على لسانه (4).

وقال الضحاك (5): لا يقضوا أمرا دون الله ورسوله من شرائع دينك (6) وقال الحسن (7): لا تدعوا قبل الإمام .

﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ أي: فيما أمركم به، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ أي: لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنياتكم.

وقوله: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ هذا أدب ثان أدبهم الله أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي - صلى الله عليه وسلم - فوق صوته. وقد روي أنها نزلت في الشيخين أبي بكر، وعمر - رضي الله عنهما - كما قال

(1) عبدالله ابن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس ابن عم الرسول، أمه أم الفضل بنت الحارث، ولد وبنو هاشم بالشعب قبل الهجرة، وتوفي وهو في الطائف وعمره إحدى وسبعون سنة، ت68هـ، الإصابة 90/4، وشذرات الذهب (294/1).

(2) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (335-336).

(3) أبو الحجاج مجاهد بن جبر مولى مخزوم تابعي، كان أعلمهم بالتفسير، المقرئ المفسر أحد الأعلام الأثبات، قرأ على عبد الله بن السائب، وعبد الله بن عباس، مات بمكة وهو ساجد، (ت103هـ) طبقات الفقهاء 69/1، وميزان الاعتدال 439/3، وغاية النهاية 164/3، وشذرات الذهب 19/2.

(4) جامع البيان (336/21)، ومعالم التنزيل (334/7)، وتفسير مجاهد (610).

(5) الضحاك بن مزاحم البلخي المفسر ويقال أبو محمد الهلالي الخراساني، ورد عنه الرواية في حروف القرآن، تابعي، حدث عن أبي سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وسعيد بن جبير، فأخذ عنه التفسير وقد عرف بالتفسير، وروى له الأربعة، ت105هـ ميزان الاعتدال 326/2، وغاية النهاية 333/1، والوافي بالوافيات 258/5.

(6) ينظر: جامع البيان لابن جرير الطبري (337/21).

(7) الحسن البصري هو الإمام المشهور المجمع على جلالته في كل فن، أبو سعيد الحسن بن أبي يسار التابعي البصري بفتح الباء الأنصاري مولاهم مولى زيد بن ثابت وأمها اسمها خيرة مولاة لأم سلمة أم المؤمنين، ولد الحسن في خلافة عمر بن الخطاب وكان يمتلك الفصاحة والحكمة، (ت110هـ). تهذيب الأسماء واللغات (226/1).

ابن أبي مليكة⁽¹⁾ كاد الخيران أن يهلكا، أبوبكر وعمر رفعا صوتهما عند النبي - صلى الله عليه و سلم - حين قدم عليه ركب بني تميم⁽²⁾، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس⁽³⁾، أخى بني مجاشع⁽⁴⁾، وأشار الآخر برجل آخر، فقال أبوبكر لعمر - رضي الله عنهما - ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافاك، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ الآية.

فما كان عمر - رضي الله عنه - يُسمع رسول الله - صلى الله عليه و سلم - بعد هذه الآية حتى سيتفهّمه رواه البخاري⁽⁵⁾⁽⁶⁾.

ثم قال أبو بكر - رضي الله عنه - يا رسول الله، والله لا أكلمك إلا كأخي السرار⁽⁷⁾ رواه البزار⁽⁸⁾.

وعن أنس بن مالك⁽⁹⁾ - رضي الله عنه - قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا

-
- (1) الإمام شيخ الحرم أبوبكر وأبو محمد عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة بالتصغير ابن عبد الله بن جُدعان، يقال اسمه أبي مكلية زهير، التميمي المدني، أدرك ثلاثين من الصحابة ثقة، فقيه من الثالثة مات سنة سبع عشرة هجريا.
- (2) بنو تميم هم قبائل متفرقة في جميع العرب ونذكر نسب بني تميم في عمان ومن النزار بعمان وبنو تميم بن أد طانجة بن مضر بن نزار بن عدنان وقبائل تميم ويطونها كثيرة بل أكثر العرب .إسعاف الأعيان (18/1).
- (3) الأقرع بن حابس بن عقال بن سفيان التميمي المجاشع، شهد فتح مكة وحنين والطائف وهو من المؤلفة قلوبهم، قيل اسمه فرلس وإنما قيل له الأقرع لقرع كان برأسه وكان شريفا في الجاهلية والإسلام وقتل الأقرع في معركة اليرموك في عشرة من بنيه، (ت 51هـ)، الإصابة (58/1).
- (4) بنو مجاشع بن دارم وولد مجاشع بن دارم سفيان بن مجاشع وأهم شراف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد وثعلبة بن مجاشع فمن بني مجاشع الأقرع بن حابس واسم الأقرع فراس وكان في رأسه قرع. أنساب الأشراف (90/4).
- (5) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، إمام المحدثين كان مولده سنة 194هـ، سمع من: أبي عاصم النبيل، مكي بن إبراهيم، عبيد الله بن موسى، وغيرهم، سمع منه: أبو العباس السراج، أبوبكر بن خزيمة، مسلم بن الحجاج وغيرهم، ت 256هـ، ينظر: تذكرة الحفاظ 555/2، شذرات الذهب (255/3).
- (6) أخرجه البخاري بالجامع الصحيح، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع (2662/2)، حديث رقم (6872).
- (7) أي كصاحب السرار أو كمثل المساررة لخفض الصوت والكاف صفة لمصدر محذوف، النهاية في غريب الأثر (912/2).
- (8) أخرجه البزار في مسنده، باب (يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ). (135/1) حديث رقم (104)، هذا الحديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرج، المستدرک على الصحيحين، (501/2) حديث رقم (3720).
- (9) أنس بن مالك بن النضر بن مضمم بن زيد الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان يكنى بأحمره كناه النبي ببقلة كان يجتنبها وكان يخضب بالصفرة وقيل بالحناء روى عنه رجال الحديث 2286 حديثاً، مولده بالمدينة وهو آخر من مات من الصحابة، (ت 93هـ)، أسد الغابة 79/1، وشذرات الذهب 365/1.

الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴿١﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، جلس ثابت بن قيس (1) في بيته وقال: أنا من أهل النار، واحتبس عن النبي - صلى الله عليه و سلم - فقال النبي - صلى الله عليه و سلم - لسعد بن معاذ (2): (يا أبا عمر وما شأن ثابت أيشتكى؟) قال سعد: إنه لجاري وما علمت له بشكوى.

قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال ثابت: أنزلت هذه الآية، ولقد علمت أنني من أرفعكم صوتاً على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: « بل هو من أهل الجنة » رواه مسلم (3) وللبخاري مثله مبسوطاً (4).

والصحيح أن سعد بن معاذ لم يكن حينئذ حياً كما في رواية أخرى لمسلم، وليس فيها ذكر سعد فكان رجلاً غير مسمى كما في البخاري .

قيل اسمه عاصم بن عدي، (5) قال: فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -

(1) ثابت بن شماس بن امرئ القيس الخزرجي، ويقال له أبو محمد المدني خطيب النبي - صلى الله عليه وسلم -، استشهد باليمامة في خلافة أبي بكر الصديق سنة 12 هجري شهد بدرًا دخل عليه النبي وهو غليل فقال اذهب بالبأس رب الناس عن ثابت بن قيس ت 12 هـ تهذيب التهذيب 11/2، الوافي في الوافيات 1483/1.

(2) سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس الأوسي الأنصاري، صحابي جليل من المدينة، كانت له سيادة الأوس، وحمل لواءهم يوم بدر، وشهد أحداً، مات ودفن بالبقيع، اهتز لموته عرش الرحمن ت/5هـ، الإصابة 78/3، شذرات الذهب (122/1).

(3) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، من أشهر علماء الحديث، سمع من: يحيى بن يحيى، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم، سمع منه: الترمذي، وأبوعوانة ابن صاعد، وغيرهما، من مصنفاته: المسند الكبير، وتسمية شيوخ مالك وسفيان وشعبة، وكتاب أولاد الصحابة، (ت 261هـ)، ينظر: تذكرة الحفاظ 588/2، وشذرات الذهب (270/3)، والأعلام (221/7) .

(4) أخرجه مسلم، في الجامع الصحيح كتاب الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله (394/1) رقم الحديث (329)، والبخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾، (1538/3)، حديث رقم (4846) واللفظ لمسلم.

(5) عاصم بن عدي بن العجلان بن ضبيعة حليف الأنصار كان سيد بني عجلان، وهو أخو معن بن عدي ويكنى أبا عمر ويقال أبا عبد الله، واتفقوا على ذكره في البدرين، استخلفه النبي على العالية بالمدينة، وكذلك على أهل قباء، شهد أحد وما بعدها مات - رضي الله عنه - (ت 45هـ)، الإصابة (5/4) شذرات الذهب (238/1).

أذهب فادعه لي، فذهب عاصم فقال: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعوك فأتيا النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال له: «أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة؟» فقال: رضيت ببشرى الله ورسوله، ولا أرفع صوتي أبداً على صوت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ﴾ (1) الآية رواه بن جرير (2) والغض خفض، ورد ذكر هذه أبسط من هنا، غير واحد من التابعين.

فقد نهى الله عن رفع الصوت بحضرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويكره عند حجرته، كما كان يكره في حياته؛ لأنه حي في قبره، ثم نهى عن الجهر له بالقول، كما يجهر الرجل لمخاطبه، بل يخاطب بسكينة ووقار، وتعظيم.

ولهذا قال: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ كما قال: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ (3).

وقوله: ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أي: إنما نهيتكم عن رفع الصوت عنده، خشية أن يغضب من ذلك فيغضب الله لغضبه، وتحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري، ثم ندب الله - سبحانه - إلى خفض الصوت عنده، وحث على ذلك، وأرشد إليه، ورغب فيه فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ أي: أخلصها له وجعلها أهلاً ومحللاً ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

وعن مجاهد قال: كُتِبَ إِلَى عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، رَجُلٌ لَا يَشْتَهِي الْمَعْصِيَةَ، وَلَا يَعْمَلُ بِهَا أَفْضَلَ، أَمْ رَجُلٌ يَشْتَهِي الْمَعْصِيَةَ وَلَا يَعْمَلُ بِهَا؟ فَكُتِبَ

(1) ينظر: المعجم الكبير (67/2)، من طريق ثابت بن قيس، والمصنف، باب أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - (239/11)، حديث رقم (20425)، والطبري في جامع البيان (280/22)، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (891/13)، حديث رقم (6398).

(2) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، من كبار أئمة الاجتهاد، وهو من أهل طبرستان، من تصانيفه: كتاب التاريخ، وكتاب التبصرة، وكتاب التفسير المشهور بتفسير الطبري، (ت 310هـ) ينظر: سير أعلام النبلاء 298/27، وتذكرة الحفاظ (710/2)، ووفيات الأعيان (191/4).

(3) سورة النور، الآية/63.

عمر - رضي الله عنه - ((إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها)) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢﴾﴾.

ثم إنه - تعالى - ذم الذين ينا دونه من وراء حجرات نساءه، كما تصنع عوام الأعراب وقال: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾، ثم أرشد إلى الأدب في ذلك، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ أي: لكان لهم في ذلك الخيرة والمصلحة في الدارين، ثم قال داعياً إلى التوبة والإنابة: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقد ذكر أنها نزلت في الأقرع بن حابس⁽²⁾، كما في مسند أحمد، أنه نادى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا محمد، وفي رواية: يا رسول الله، فلم يجبه، فقال: يا رسول الله إن حمدي لزين، وإن ذمي لشين، فقال: «ذاك الله عز وجل»⁽³⁾ وعن زيد بن أرقم⁽⁴⁾ قال: اجتمع ناس من العرب فقالوا: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل فإن يكن نبياً فنحن نكون أسعد به، وإن يكن ملكاً نعيش بجناحه. قال: فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته بما قالوا: فجاءوا إلى حجرته وجعلوا ينادونه وهو في حجرته: يا محمد يا محمد.

فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ قال

(1) ينظر: الدر المنثور (552/7)، ومعناه الاختيار والتجربة، والأصل اللغوي فيه هو إذابة الذهب ليخلص إبريزه من الخبث وينتقي من الدنس حتى يكون ذهباً خالصاً بعد أن تكون النار قد أذابتها، أخرجه المتقي الهندسي في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، باب سورة الحجرات (612/2).

(2) الأقرع بن حابس بن عقاب بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن مالك بن تميم قدم على النبي بعد فتح مكة وشهد مع النبي فتح مكة وحينئذ حضر الطائف وقد شهد الأقرع مع خالد بن الوليد حرب العراق، وكان شريفاً في الجاهلية وفي الإسلام، أسد الغابة (67/1).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (369/25) حديث رقم (15991)، والترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب أول الكتاب، حديث رقم (2605)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (3267).

(4) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان الخزرجي، اختلف في كنيته، قيل أبو عمر وقيل أبو عامر، شهد سبع عشرة غزوة مع النبي - صلى الله عليه وسلم - (ت 66هـ) الإصابة (21/3)، وشذرات الذهب (291/1).

فأخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجعل يقول: « لقد صدق الله قولك يا زيد، لقد صدق الله قولك يا زيد» رواه بن جرير وابن أبي حاتم (1)(2).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

أمر - تعالى - بالنتبث في خبر الفاسق احتياطا فلا يحكم بقوله؛ لإمكان كذبه لئلا يقع الحاكم في خطأ فيثمر ندامة لا يقبل جبرا ولا تداركا، ومن ههنا امتنع بعض العلماء من قبول رواية مجهول الحال؛ لاحتمال فسقه في نفس الأمر، وقبلها آخرون لعدم تحقق الفسق؛ لأنه مجهول الحال، كما هو مقرر في علوم الحديث، وقد ذكر كثيرون أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، (3) حين بعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على (صدقات بني المصطلق) (4).

كما في مسند أحمد عن الحارث بن ضرار الخزاعي (5) - رضي الله عنه - والد ميمونة أم المؤمنين (6) - رضي الله عنها - قال قدمت على رسول - صلى الله عليه

(1) أبوحاتم محمد بن حبان أحمد، مؤرخ ومحدث، حدث عن الحسين الهروي، وأبي خليفة الجمحي، وأبي عبد الرحمن النسائي، وغيرهم، حدث عنه الحاكم ومنصور الخالدي، وأبو معاذ عبد الرحمن رزق الله، من مصنفاته: المسند الصحيح، روضة العقلاء، (ت354هـ)، ينظر: تذكرة الحفاظ/3، 89، 90، وشذرات الذهب 16/3، وطبقات الشافعية 131/3، ومعجم المؤلفين (9/173).

(2) أخرجه الطبراني، كتاب المعجم الكبير (5/210)، حديث رقم (5123) وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره عن زيد بن أرقم (3302)، حديث رقم (18607)، وابن معين في جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد، (3/201) حديث رقم (7226).

(3) الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن عمرو بن أبي أمية بن شمس بن عبد مناف، له صحبة قليلة ورواية يسيرة وهو أخو أمير المؤمنين عثمان لأمه، بعثه النبي على صدقات بني المصطلق روى عنه أبو موسى والشعبي وولي الكوفة لعثمان، ثم اعتزل بالجزيرة بعد مقتل أخيه عثمان ت.46هـ، سير أعلام النبلاء (3/412، 413، 414)، وأسد الغابة (3/108)، وشذرات الذهب (1/286).

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (4/279) والطبراني وابن جرير والواحدي وغيرهم بأسانيد متصلة ولا يخلوا المتصل منها من ضعف.

(5) الحارث بن ضرار بن حبيب بن المصطلق الخزاعي، والد جوبرية أم المؤمنين وقيل إنه جاء إلى المدينة ومعه فداء ابنته بعد أن أسرت، وتزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأسلم أمام النبي ومعه ابنان له وناس من قومه الإصابة 1/294، وأسد الغابة (1/212).

(6) ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية أخت أم الفضل تقدم نسبها مع أختها ميمونة أم المؤمنين كان اسمها بزة فسمها النبي - صلى الله عليه وسلم - ميمونة وتزوجها النبي في ذي القعدة سنة سبع وتزوجها بعد صفة وكانت =

وسلم - فدعاني إلى الإسلام فدخلت فيه فأقررت به، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها وقلت: يا رسول الله أرجع فأدعهم إلى الإسلام، وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته، وترسل إلي يا رسول الله رسولا لإبان كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة.

فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له، وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول فلم يأتته وظن الحارث، أنه قد حدث فيهم سخطة من الله ورسوله، فدعا بسروات⁽¹⁾ قومه فقال لهم إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان وقتاً لي وقتاً يرسل إلى رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة وليس من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الخلف ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطه فانطلقوا فنأتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد إلى أن بلغ إلى بعض الطريق فرق؛ فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال يا رسول الله إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي فضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للبعث إلى الحارث فأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث، وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا: هذا الحارث فلما غشيم قال لهم: إلى من بعثتم؟

قالوا: إليك. قال ولم؟ قالوا: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث إليك الوليد بن عقبة، فزعم أنك منعت الزكاة، وأردت قتله. قال: لا والذي بعث محمداً بالحق ما رأيته بئراً ولا أتاني فلما دخل الحارث على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟)⁽²⁾.

قال: لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني وما أقبلت إلا حين احتبس على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خشية أن تكون سخطة من الله ورسوله .

= عند أبي رهم وبنا لها بيتاً في القبة وماتت بها. الإصابة (150/8).

(1) بسروات: سروات والسراة، وزان الحصاة جبل أوله قريب من عرفات ويمتد إلى حد نجران اليمن، وسرى المال خيارة وسرته، وسراة الطريق وسطه ومعظمه والسارية السحابة تأتي ليلاً. المصباح المنير (276/1).

(2) أخرجه ابن معين، كتاب جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد (108/7) حديث رقم (11350)، وصححه الألباني السلسلة الصحيحة الكاملة (16/9).

قال: فنزلت الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾ إلى قوله: ﴿حَكِيمٌ﴾.

وروي ابن جرير، وابن أبي حاتم⁽¹⁾ نحوه قال قتادة⁽²⁾ فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «التأني من الله والعجلة من الشيطان»⁽³⁾.

وقوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: واعلموا أن بين أظهركم رسول الله فعظموه ووقروه وانقادوا لأمره، فإنه أعلم بمصالحكم وأشفق عليكم منكم ورأيه فيكم أتم من رأيكم لأنفسكم .

كما قال تعالى: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾⁽⁴⁾ ثم بين أن رأيهم سخيّف بالنسبة إلى مراعاة مصالحهم.

فقال: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ أي: لو أطاعكم في جميع ما تختارونه لأدّى ذلك إلى عنتكم وحرجم، والعنت الإثم والهلاك.

وقوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ أَلَيْمَنَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي: حببه إلى نفوسكم وحسنه في قلوبكم.

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «الإسلام علانية، والإيمان في القلب» - قال: ثم يشير إلى صدره ثلاث مرات ثم يقول - التقوى ههنا». رواه أحمد⁽⁵⁾.

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (403/30، 405)، حديث رقم (18459)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة الكاملة (16/9).

(2) قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر بن أوس الأنصاري، يكنى أبا عمرو وقيل: أبو عبد الله وهو أخو أبي سعيد الخدري لأمه، شهد العقبة وبردراً وأحداً والمشاهد كلها مع النبي - صلى الله عليه وسلم - توفي سنة ثلاث وعشرين، أسد الغابة (379/4).

(3) أخرجه أبي يعلى في مسنده (248/7)، والعجلوني في كشف الخفاء (295/1)، حديث رقم (943)، وكنز العمال (99/3)، حديث رقم (5680)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع حديث رقم (2504).

(4) سورة الأحزاب، الآية/6.

(5) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (34/3)، حديث رقم (12404)، تفرد به علي بن مسعدة، وابن أبي شيبة في المصنف (6/5) وأبو يعلى في مسنده (301/5، 302)، والبخاري في التاريخ (294/3) قال فيه نظر، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، حديث رقم (6906).

وقوله: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ أي: وبغض إليكم الكفر والفسوق، وهي الذنوب الكبار ﴿وَالْعِصْيَانَ﴾، وهي جميع المعاصي وهذا تدرج لكمال النعمة. وقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ أي: المتصفون بهذه الصفة، هم الراشدون الذين قد آتاهم الله رشدهم.

وعن رفاعة بن نافع الزرقي⁽¹⁾، أنه كان من دعاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد حين انكفأ المشركون «اللهم حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا. وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين، وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين» رواه أحمد والنسائي⁽²⁾ في عمل اليوم والليلة.

وفي الحديث المرفوع «من سرته حسنته وساءت سيئته فهو مؤمن»⁽³⁾.

ثم قال: ﴿فَضَلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ أي: هذا العطاء الذي منحتكموه كان فضلا من الله عليكم ونعمة من عنده .

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية، حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره .

﴿وَإِنْ طَافَتَايَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١١١﴾﴾ .

(1) رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن الأنصاري الزرقي، وأمه أم مالك بنت أبي بن سلول يكنى أبا معاذ، شهد بدرًا وأحدًا وسائر المشاهد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واختلف في شهود أبيهم رافع بن مالك بدرًا توفي في أول إمارة معاوية. لاستعاب (297/1).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (247/24) حديث رقم (15492)، والنسائي في سننه، باب ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين للخبر، (156/6) حديث رقم (9225)، وصححه الألباني صحيح وضعيف سنن الترمذي، حديث رقم (2165).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (424/3) حديث رقم (15531)، والنسائي في سننه، باب الاستنصار عند اللقاء حديث رقم (10445)، والبخاري في الأدب المفرد، باب دعوات النبي - صلى الله عليه وسلم - (254/1)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (1124/1) حديث رقم (11240).

أمر - تعالى - بالإصلاح بين المتقاتلين الباغين بعضهم على بعض بقوله: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾، فسامهم مؤمنين مع الاقتتال، وبهذا استدل أهل الحق على أنه لا يخرج من الإيمان بالمعصية وإن عظمت، لا كما يقول الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم، وهكذا ثبت في صحيح البخاري.⁽¹⁾

عن أبي بكر⁽²⁾ أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - خطب يوماً، ومعه على المنبر الحسن بن علي - رضي الله عنهما - فجعل ينظر إليه مرة، وإلى الناس أخرى ويقول: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»⁽³⁾.

فكان كما قال: - عليه الصلاة والسلام - فإنه أصلح الله به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب والوقاعات الهائلة.

وقوله: ﴿فَإِنْ بَعَثَ إِحْدَهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾. وتسمع للحق وتطيعه.

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قيل للنبي - صلى الله عليه و سلم - لو أتيت عبد الله بن أبيي، فانطلق نبي الله - صلى الله عليه وسلم - وركب جواداً وانطلق المسلمون يمشون، وهي أرض سبخة، فلما انطلق إليه النبي - عليه الصلاة والسلام -.

قال: ((إليك عني فوالله لقد آذاني ريح حمارك)) فقال: رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله أطيّب منك. قال: فغضب لعبد الله رجال من قومه، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، قال: فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال، وبلغنا أنه أنزلت فيهم: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ رواه أحمد وفي

(1) الجامع الصحيح، لمحمد بن إسماعيل البخاري، من أهم كتب الحديث، وأصح كتاب بعد كتاب الله - تعالى -، وهو أول الكتب الستة في الحديث، وضعت عليه كثير من الشروح، من أعظمها: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، ت 256هـ ينظر كشف الظنون (1/541 - 555) ومعجم المؤلفين (3/130) - (3/851).

(2) أبو بكر الطائفي مولى النبي - صلى الله عليه وسلم - أسلم على يدي رسول الله فأعتقه، صحابي جليل حدث عنه بنوه الأربعة والحسن البصري، كان من فقهاء الصحابة وكان ينكر أنه ولد الحارث ويقول أنا مولى رسول الله. (ت 101هـ) سير أعلام النبلاء (3/5)، وتهذيب التهذيب (4/205)، وشذرات الذهب (2/15 - 16).

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الصلح، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - للحسن بن علي - رضي الله عنهما -، حديث رقم (3430).

الصحيحين نحوه⁽¹⁾.

وقوله ﴿ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾⁽²⁾ أي: اعدلوا بينهم فيما كان أصاب بعضهم لبعض، بالقسط وهو العدل. وفي النسائي⁽³⁾ عن عبد الله بن عمر⁽³⁾، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ بين يدي الرحمن بما أقسطوا في الدنيا»⁽⁴⁾ إسناده قوي، كما روى مسلم عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن المقسطين عند الله يوم القيمة على منابر من نور، عن يمين الرحمن - عز وجل -، وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»⁽⁵⁾.

وقوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ أي: الجميع إخوة في الدين، كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه»⁽⁶⁾.

وفي الصحيحين: «من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب قال الملك الموكَّلُ به: آمين وَلَكَ بِمِثْلٍ»⁽⁷⁾، وفيه أيضا «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه»⁽⁸⁾، والأحاديث في هذا كثيرة.

- (1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (157/3)، حديث رقم (12628)، وأبو الفضل في الجامع الصحيح للسنن والمسائيد، باب تفسير سورة الحجرات.
- (2) أبو عبد الرحمن بن شعيب النسائي، الحافظ المحدث، صاحب السنن، حدث عن إسحاق بن راهويه، وهشام بن عمار، ومحمد بن مساور، وغيرهم، حدث عنه أبو يوشير الدولابي، وأبو جعفر الطحاوي، وأبو علي النيسابوري، وغيرهم، من مصنفاته السنن الكبرى والصغرى، والخصائص في فضل علي بن أبي طالب، ت 353هـ ينظر: تهذيب التهذيب (32/1)، وتذكرة الحفاظ (239/2)، وسير أعلام النبلاء (125/14)، ومعجم المؤلفين (244/1).
- (3) عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، ولد سنة ثلاث من المبعث النبوي، أسلم مع أبيه وطلب من النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يشارك في معركة بدر فاستصغره النبي ولم يكن قد بلغ سن الرشد، وشهد معركة الخندق وعمره خمس عشرة سنة (ت 74هـ). الإصابة (107/4)، وشذرات الذهب (310/1).
- (4) أخرجه النسائي في سننه، كتاب القضاء، باب ذكر الاختلاف على الزهري، حديث رقم (5917).
- (5) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، (1458/3)، كتاب آداب القضاء، باب فضيلة الإمام العادل، حديث رقم (1827)، والنسائي في السنن الكبرى (321/8)، باب فضل الحاكم العادل في حكمه.
- (6) أخرجه أبو داود في سننه (273/4)، والترمذي في سننه (134/4) حديث رقم (1426) باب ماجاء في إغانة المسلم.
- (7) أخرجه مسلم في الصحيح الجامع، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، حديث رقم (2732).
- (8) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، ومسلم في صحيحه، كتاب الأدب، باب البر والصلة، حديث رقم (2585)، والترمذي، في سننه، باب البر والصلة رقم (1928)، والنسائي في السنن الكبرى، باب الزكاة رقم (2560).

وقوله: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ﴾ يعني: الفئتين المقتلتين ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: في جميع أموركم، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي: لكي ترحموا محققاً بلا ريب.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّنْ نِّسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

نهى - تعالى - عن السخرية بالناس، وهو احتقارهم والاستهزاء بهم، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «الكبر بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ» - ويروي - «وغمص الناس»⁽¹⁾.

والمراد بذلك احتقارهم واستصغارهم، وهذا حرام فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدراً عند الله وأحب إليه من المحتقر له، والمستخر منه.

ولهذا قال: ﴿لَا يَسْخَرُونَ قَوْمٍ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّنْ نِّسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فنص على نهى الرجال، وعطف بنهي النساء.

وقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: لا تعيبوا الناس، ولا تطعنوا فيهم شيئاً، لا تلمزوا بعضكم بعضاً، والهزاز اللماز من الناس مذموم ملعون.

كما قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾⁽²⁾ فالهمز بالفصل، واللمز بالقول كما قال: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾⁽³⁾ أي: محتقر للناس ويهمزهم طاعناً عليهم، ماشياً بينهم بالنميمة، وهو اللمز بالمقال.

وقوله: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أي: لاتدعوا بالألقاب، وهي التي يسوء

(1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه (93/1) حديث رقم (91)، ورواية «غمص الناس» للترمذي في الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الكبر (9/8) حديث رقم (2130).

(2) سورة الهمزة: الآية/1

(3) سورة القلم: الآية/11

الشخص سماعها.

وعن أبي جبيرة⁽¹⁾ قال: «فيما نزلت في بني سلمة ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾⁽²⁾، قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فكان إذا دعاه أحدٌ منهم باسم من تلك الأسماء، قالوا: يا رسول الله إنه يغضب من هذا» رواه أحمد وأبو داود⁽³⁾.

وقوله: ﴿بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ أي: بئس الصفة والاسم الفسوق وهو التنابز بالألقاب، قال الحسن، كان اليهودي والنصراني يسلم، فيقال: له بعد إسلامه يا يهودي، يا نصراني، فهو أعن ذلك.

وقال: عكرمة هو قول الرجل لآخر، يافاسق، يا منافق، بعد ما تاب. وقيل إن معناه أن من فعل منهياً من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق، فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسق.

﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ﴾ أي: من هذا ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا يُجِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ بَرَّءٌ لِّلظَّالِمِينَ﴾⁽⁴⁾.

نهى - تعالى - عباده المؤمنين عن كثير الظن، وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب، والناس في غير محلّح لأن بعض ذلك إثم محض فليجتنب كثيرا منه احتياطاً، كما قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - «لا تظن بكلمة خرجت من المؤمن على محل سوء وأنت تجد لها في الخير محلاً»⁽⁴⁾.

(1) أبو جبيرة بن الضحاك بن خليفة بن ثعلبة بن عدي بن كعب بن عبد الأشهل الأنصاري، أخو ثابت بن الضحاك ولد بعد الهجرة له صحبة، وهو كوفي روى عنه قيس بن أبي حازم وغيره. أسد الغابة (150/3).

(2) ينظر: الدر المنثور 562/13

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (260/4)، وأبو داود في سننه، كتاب التفسير، حديث رقم (4962) وابن ماجه، حديث رقم (3741) والطبراني (389/22، 390)، حديث رقم (968)، والنسائي في الكبرى، حديث رقم (11516)، وصححه الترمذي في سننه، واللفظ لأبي داود.

(4) ينظر: أحاديث مختارة في الصحيحين (38/1)، وآمال المحاملي (395/1).

وعن ابن عمر قال: رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم- يطوف بالكعبة ويقول: «ما أطيبك وأطيب ريحك ما أعظمك، وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله ودمه، وإن نظن به إلا خيراً»⁽¹⁾ تفرد به ابن ماجه⁽²⁾.

وعن أبي هريرة⁽³⁾ - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «إياكم والظنّ فإن الظنّ أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا، ولا تتافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً) هكذا في الصحيحين⁽⁴⁾.

وعن معاوية - رضي الله عنه- قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم- يقول: «إنك إذا اتبعت عورات الناس أفستهم أو كدت أن تفسدhem» تفرد به أبو داود⁽⁵⁾.

والتجسس غالباً يطلق في الشر ومنه الجاسوس، وأما التحسس فيكون غالباً في الخير كما قال يعقوب: ﴿يَبْنِيْ أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾⁽⁶⁾ وقد يستعمل في الشر كما مر في الحديث.

وقال: الأوزاعي⁽⁷⁾، التجسس البحث عن الشيء والتحسس: الاستماع إلى

(1) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب حرمة المؤمن وماله، (1297/2) حديث رقم (3932)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة الكاملة (33/14).

(2) الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه الربيعي صاحب السنن، والتفسير، والتاريخ ومحدث تلك الديار ولد سنة تسع ومائتين، وقال أبو يعلى الخليلي ابن ماجه ثقة كبير متفق عليه، محتج به له معرفة ارتحل إلى العراقين ومكة والشام، وعرض ابن ماجه على أبي زرعة. تذكرة الحفاظ (636/2).

(3) أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي، صحابي جليل، أكثر من روى الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم- روى عنه جماعة من الصحابة، منهم ابن عمر، وابن عباس، وجابر، وأنس وغيرهم، ت 59هـ الاستيعاب (70/2)، وشذرات الذهب 57/1، وتذكرة الحفاظ 28/1.

(4) أخرجه البخاري، في الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، حديث رقم (6064) ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش، حديث رقم (2563)، واللفظ لمسلم.

(5) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب النهي عن التجسس حديث رقم (4888) وأبو يعلى في مسنده (382/13) حديث رقم (7389)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم (4088).

(6) سورة يوسف الآية/ 87 .

(7) الأوزاعي شيخ الإسلام أبو عمرو بن محمد الدمشقي الحافظ، ولد سنة ثمان وثمانين، حدث عن عطاء بن أبي رباح والقاسم وغيرهما، سكن بيروت وبها توفي وأصله من سبي السند، كانت صنعة الكتابة. تذكرة الحفاظ (178/1).

حديث القوم وهم له كارهون.

وقوله: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ هذا نهي عن الغيبة، وقد فسرها الشارع عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قيل: يا رسول الله ما الغيبة؟ قال «ذكرك أخاك بما يكره»، قيل: أفريت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته وإن لم يكن فقد بهته» رواه أبو داود والترمذي وصححه⁽¹⁾.

والغيبة محرمة بالإجماع ولا يستثنى من ذلك إلا ما رجحت مصلحته كما في الجرح والتعديل، والنصيحة كقوله - عليه الصلاة والسلام - لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر «أذنوا له، بس أخو العشيرة؟»⁽²⁾.

وكقوله لفاطمة بنت قيس⁽³⁾ وقد خطبها معاوية وأبو الجهم، «أما معاوية فصلوك، وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه»⁽⁴⁾. كذا ما يجري مجرى ذلك على التحريم الشديد.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم» رواه أبو داود والترمذي⁽⁵⁾.

وعن أبي برزة الأسلمي⁽⁶⁾ قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يا معشر

(1) أخرجه أبو داود في سننه (420/4)، كتاب الأدب، باب في الغيبة، رقم (4876) والترمذي في سننه (400/7) السنن،

كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الغيبة، رقم (2059)، وصححه الترمذي ووافقه الألباني.

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والزيب (2250/5) حديث رقم (6054).

(3) فاطمة بنت قيس الفهرية إحدى المهاجرات واخت الضحاك كانت تحت أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي، فطلقها بعد ما كانت زوجة له فنصحها رسول الله بأسامة بن زيد فتزوجت منه، وقد روت أحاديث في النفقة والمطلقة والبتة وتوفيت في خلافة معاوية. سير أعلام النبلاء 319/2، وعقد الدرر في أخبار المنتظر (355/1).

(4) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاث لا نفقة لها (445/9) حديث رقم (1480).

(5) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب البر، باب في الغيبة رقم (4882)، والترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم حديث رقم (1927)، وصححه الترمذي ووافقه الألباني في صحيح سنن أبي داود حديث رقم (4085).

(6) أبو برزة الأسلمي، اختلف في اسمه واسم أبيه وأصح ما قيل فيه هو نضلة بن عبيد قاله أحمد بن حنبل ويقال نضلة بن عابد، وقال الخطيب البغدادي اسم أبي برزة الأسلمي خالد بن نضلة نزل البصرة وله بها دار ومات بالبصرة سنة ستين للهجرة. أسد الغابة (28/6).

من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه في بيته» تفرد به أبو داود⁽¹⁾.

وفي رواية ابن عمر: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله»⁽²⁾، والأحاديث في هذا كثيرة.

وقوله: ﴿أَيُّبُ أَحَدِكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾.

قال السدي: (إن سلمان الفارسي⁽³⁾ كان مع رجلين من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - في سفر يخدمهما ويخف لهما وينال من طعامهما، وأن سلمان لما سار الناس ذات يوم، بقي سلمان نائماً لم يسر معهم، فجعل صاحبا يكلماه فلم يجداه، فضربا الخباء، فقالا: ما يريد سلمان أو هذا العبد شيئاً غير هذا، أن يجيء إلى طعام مقدور وخباء مضروب، فلما جاء سلمان أرسلاه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يطلب لهما إداماً، فانطلق فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعه قدح له فقال: يا رسول الله بعثني أصحابي لتؤدبهم إن كان عندك).

قال: «ما يصنع أصحابك بالإدام؟ قد اتدموا» فرجع سلمان فخرهما بقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فانطلقا حتى أتيا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالا: لا والذي بعثك بالحق ما أصبنا طعاماً منذ نزلنا قال: «إنكما قد اتدمتما بسلمان بقولكما»⁽⁴⁾ قال: فنزلت ﴿أَيُّبُ أَحَدِكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ إنه كان نائماً⁽⁵⁾.

وقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما أمركم به ونهاكم عنه فراقبوه في ذلك، واخشوا

(1) أخرجه أبو داود في سننه، الأدب، باب الغيبة (194/5، 195) حديث رقم (4880)، والإمام أحمد في مسنده (420/4، 421) حديث رقم (20014)، وصححه الألباني في سنن أبي داود رقم الحديث (4083).

(2) أخرجه أبو يعلى في مسنده (419/13)، حديث رقم (7423)، والبيهقي في السنن الكبرى (247/10).

(3) سلمان أبو عبد الله الفارسي، ويقال له سلمان بن الإسلام قيل إنه أصبهاني، وكان أول مشاهده الخندق وشهد بقیة المشاهد، وفتح العراق، ويقال: إنه شهد بدرًا وكان عالماً زاهداً، روى عنه أنس وكعب وابن عباس وهو الذي قال فيه المصطفى: «سلمان منا أهل البيت»، (ت 36هـ) الإصابة (113/3)، وشذرات الذهب (109/1).

(4) لم أعر على هذا الحديث.

(5) ينظر: تفسير السدي الكبير (442-443).

منه، ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ أي: على من تاب إليه، ﴿رَّحِيمٌ﴾. لمن رجع إليه واعتمد عليه. وطريق المغتاب في توبته أن يقلع عن ذلك، وأن لا يعود، و أن يتحلل من الذي اغتابه، وقيل لا يشترط الاستحلال؛ إذ ربما تأذى أشد مما إذا لم يعلم بما كان منه، وطريقه أن يحفظه غيبته بعده عوضا عما اغتاب، ويدفع عنه ما استطاع تداركا لما سبق.

كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «من حمى مؤمنا من منافق بغيبة بعث الله ملكا يحمي لحمه يوم القيمة من نار جهنم، ومن رمى مؤمنا بشيء يريد شينه حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال» رواه أحمد وأبو داود⁽¹⁾.

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: « ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً ينتهك فيه حرمة، وينتقص فيه من عرضه، إلاّ خذله الله في موطن يحب فيه نصرته وما من امرئ ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه، وتنتهك فيه حرمة، إلاّ نصره الله في موطن يحب نصرته» تفرد به أبو داود⁽²⁾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

أخبر - تعالى - الناس أنه خلقهم من نفس واحدة، وجعل منهم الذكور والأنثى، وهما آدم وحواء - عليهما السلام - وجعلهم شعوبا أي بطونا ورعوسا لقبائل، جمع شعب بفتح الشين وسموا شعوبا لتشعبهم أي: تفرقهم واجتماعهم والشعب من أسماء الامتداد وهي أعم من القبائل، وقيل المراد بالشعوب بطون العجم، والقبائل بطون العرب.

كما أن الأسباط بطون بني إسرائيل، فجميع الناس في الشرف والطينية بالنسبة إلى آدم وحواء - عليهما السلام - سواء، وإنما يتفاضلون بالأمر الدينية ومتابعة الشريعة.

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (460/24)، حديث رقم (15649)، وأبو داود في مسنده، كتاب الأدب، باب من رد عن مسلم غيبته، حديث رقم (4885)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (12339).

(2) أخرجه أبو داود في سننه، باب من رد عن مسلم غيبته، حديث رقم (4886)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (5690).

ولهذا قال: بعد النهي عن الغيبة، واحتقار الناس بعضهم بعضاً: ﴿إِنَّمَا خَلَقْتَكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ منبها على تساويهم في البشرية والقبائل دون الشعوب، واحداً قبيلة، وهي كتميم من مضر ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ أي: ليحصل التعارف بينهم في قرب النسب وبعده، قال مجاهد: كما يقال فلان بن فلان من قبيلة كذا وكذا.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثرة في المال منسأة في الأثر». رواه الترمذي (1).

وقوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ أي: إنما تتفاضلون عند الله بالتقوى. لا بالأحساب.

كما روى أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أي: الناس أكرم؟ قال: «أكرمهم عند الله أتقاهم» قالوا: ليس عن هذا نسألك.

قال: «فأكرم الناس يوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن نبي الله، ابن نبي الله خليل الله»، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فمن معادن العرب تسألوني؟» قالوا: نعم. قال: «فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا في الدين» رواه البخاري (2).

وعن أبي ذر (3) - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «انظر فإنك ليس بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى الله» رواه أحمد (4).

وعن حذيفة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «كلكم بنو آدم وآدم

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في تعلم النسب، حديث رقم (2107)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة حديث رقم (276).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّالِينَ﴾ ، حديث رقم (4689).

(3) أبو ذر الغفاري هو جندب بن جنادة، وقيل اسمه برير الزاهد المشهور الصادق للهجة، أعلن إسلامه أمام النبي بأعلى صوته، وقد قال فيه النبي: «يرحم الله أبا ذر يبعث وحده، ويموت وحده، ويحشر وحده»، (ت32هـ) الإصابة (61/7)، وشذرات الذهب (194/1).

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (321/5) حديث رقم (21445) .

خلق من تراب، ولينتهين قوم يفخرون بأبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان»
رواه البزار وروى أبوداود والترمذي مثله مبسوطاً⁽¹⁾.

وعن عقبة بن عامر⁽²⁾ قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:
«أنسابكم هذه ليست بمسبة على أحد كلكم بنو آدم طف الصاع⁽³⁾ بالصاع لم
يملؤوه ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين وتقوى، وكفى بالرجل أن يكون بذياً بخيلاً
فاحشاً» رواه أحمد والبيهقي⁽⁴⁾⁽⁵⁾.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١٣) أي: عليم بكم خبير بأموركم فيهدي من
يشاء ويفضل من يشاء على من يشاء، وهو الحكيم في ذلك كله.

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلٌّ لَّمَ تُوْمِنُوْا وَلَكِن قَوْلُوْا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَانُ
فِي قُلُوْبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوْا اللَّهَ وَرَسُوْلَهُ لَا يَلْتَكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُوْرٌ
رَّحِيْمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ الَّذِينَ ءَامَنُوْا بِاللَّهِ وَرَسُوْلِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوْا وَجَاهَدُوْا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيْلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُوْنَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتَعْلَمُوْنَ أَنَّ اللَّهَ بِدِيْنِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ ﴿١٦﴾ يٰمُنُوْنَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوْا قُلْ لَا
تَمْنُوْا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيْمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴿١٧﴾﴾

(1) أخرجه البزار في مسنده (340/7)، والترمذي في سننه، باب في فضل الشام واليمن، حديث رقم (4336)،

وصححه الترمذي ووافقه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (4568).

(2) عقبة بن عامر الجهني الإمام المقري أبو عيس ويقال أبو عامر أبو أسد المصري صاحب النبي - صلى الله

عليه وسلم - حدث عنه سعيد بن المسيب، كان عالماً فصيحاً فقيهاً فرضياً شاعراً كبير الشأن وهو الذي بايع

رسول الله على الهجرة. ت58 هـ سير أعلام النبلاء (2/467)، والإصابة (4/250)، وشذرات الذهب (1/266).

(3) أي: قريب بعضكم من بعض والمعنى: كلكم في الانتساب إلى أب واحد بمنزلة واحدة في النقص والتقصير

عن غاية التمام، وشبههم في نقصانهم بالمكيل الذي لم يبلغ أن يملأ المكيال، ثم أعلمهم أن التفاضل ليس

بالنسب ولكن بالتقوى، البداية والنهاية (3/129).

(4) الإمام الحافظ العلامة شيخ خراسان أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، صاحب التصانيف ولد سنة

أربع وثمانين وثلاث مائة في شعبان وسمع أبا الحسن محمد بن الحسين العلوي، وبورك له في عمله لحسن قصده

وقوة فهمه وحفظه، وله كتاب وهو السنن الكبرى، وهو عشر مجلدات. تنكرة الحفاظ (3/1132).

(5) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (4/158)، حديث رقم (17447)، وأبو الفضل في الجامع الصحيح للسنن

والمسانيد، باب من الأخلاق الحميدة التواضع (6/449)، وصححه الألباني لغيره في صحيح الترغيب

والترهيب (3/78) حديث رقم (2962).

اللَّهُ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ .

أنكر - تعالى - على الأعراب الذين أول ما دخلوا في الإسلام ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان، ولم يتمكن الإيمان في قلوبهم بعد بقوله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾.

وفي الآية دليل لأهل السنة أن الإيمان أخص من الإسلام، وبدل عليه حديث جبريل حين سأل عن الإسلام، ثم عن الإيمان، ثم عن الإحسان، فترقى من الأعم إلى الأخص، ثم للأخص منه.

وفي الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص⁽¹⁾ - رضي الله عنه - أعطى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رهطاً وأنا جالس فترك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منهم رجلاً هو أعجبهم إليّ فقمت فقلت مالك يا رسول الله عن فلان والله إني لأراه مؤمناً فقال: رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «أو مسلماً؟» ذكر ذلك سعد - رضي الله عنه - ثلاثاً وأجابه بمثل ذلك، ثم قال: «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يكب في النار على وجهه»⁽²⁾.

وقد فرق النبي - صلى الله عليه وسلم - بين المؤمن والمسلم، فدل على أن الإيمان أخص من الإسلام.

كما تفرد في كتاب الإيمان في شرح صحيح البخاري، ودل ذلك أن ذلك الرجل كان مسلماً غير منافق، وأن هؤلاء الأعراب المذكورين في الآية ليسوا منافقين، بل مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، فادّعوا لأنفسهم مقاماً أعلى مما وصلوا إليه فأدّبوا في ذلك، وهذا معنى قول ابن عباس - رضي الله عنه - وطائفة واختاره ابن جرير⁽³⁾، وذهب الإمام البخاري إلى أن هؤلاء كانوا منافقين يظهرهم الإيمان ولكل

(1) سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص مالك بن أهيّب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري كان سابع سبعة في الإسلام أسلم بعد ستة وهو أول من رمى سهم في سبيل الله، شهد بدرًا والحديبية وسائر المشاهد وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة توفي سنة أربع وخمسين. الإستعاب (364/1).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب لم يكن الإسلام على الحقيقة، حديث رقم (27) ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تأليف قلب من يخاف على إيمانه، حديث رقم (150).

(3) ينظر: جامع البيان (389/21)، ومعالم التنزيل (350/7)، وتفسير ابن كثير (554/7).

وجهة، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ أي: استسلمنا خوف القتل والسبي، قال مجاهد (1): نزلت في بني أسد بن خزيمة (2).

﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي: لم تصلوا إلى حقيقة الإيمان بعد، ثم قال: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ أي لا ينقصكم من أجورها شيئاً.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: لمن تاب إليه و أناب.

وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءُتَمَّمُوا يَرْتَابُوا﴾ أي: لم يشكوا ولم يزلوا بل ثبتوا على حالة واحدة، وهي التصديق المخلص، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم، أي وبذلوا نفاس أموالهم ومهجتهم، في طاعة الله ورسوله ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ أي: في قولهم إذا قالوا إنهم مؤمنون لا لبعض الأعراب الذين ليس معهم من الدين إلا الكلمة الظاهرة .

وعن أبي سعيد: أن النبي - صلى الله عليه و سلم - قال: «المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزاء» ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءُتَمَّمُوا يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ والذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، ثم الذي إذا أشرف على طمع تركه لله - عزوجل - (3).

وقوله: ﴿قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ أي: تخيرونه بما في ضمائركم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لا يخفى عليه متقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، والله بكل شيء عليم.

(1) الإمام مجاهد هو يحيى بن مجاهد بن عوانة أوبكر الفزاري الأندلسي قال ابن الفريسي: عن الإمام مجاهد بعلم القراءات وعلم التفسير وأخذ نصيباً من الفقه فحج فسمع بمصر وأبي محمد بن الورد وكان زاهداً في العبادة مات في ثالث جمادى الأولى سنة ست وستين وثلاثمائة، طبقات المفسرين (1/123).

(2) بنو أسد بن خزيمة ولد أسد بن خزيمة دودان وكاهل وعمره وهم أهل أبيات في بني خزيمة بن مالك بن نضر بن الحارث بن دودان بن أسد بنو جعدة. جمهرة أنساب العرب (1/85).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (102/17)، حديث رقم (11050).

ثم قال: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ يعني: الأعراب الذين يمتنون بإسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم على رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فرد الله عليهم قائلاً: ﴿قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ﴾ فإن نفع ذلك يعود عليكم والله المنّة عليكم فيه ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، أي في دعواكم ذلك.

كما قال النبي - صلى الله عليه و سلم - للأَنْصَارِ يوم حنين «يا معشر الأنصار ألم نجدكم ضللاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وكنتم عالة فأغناكم الله بي؟» (1) كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أَمْنٌ.

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - جاءت بنو أسد إلى رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فقالوا يا رسول الله: أسلمنا وقاتلتك العرب ولم نقاتلك، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - «إن فقههم قليل والشيطان ينطق على ألسنتهم» (2) ونزلت هذه الآية ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ﴾ إلى قوله: ﴿صَادِقِينَ﴾.

ثم كرر الإخبار بعلمه بجميع الكائنات، وبصره بالأعمال المخلوقات فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، حديث رقم (4330) ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، حديث رقم (139)، من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم - رضي الله عنه -.

(2) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب سورة الحجرات، حديث رقم (11519).

تفسير سورة ق

وهي مكية

هذه السورة هي أول الحزب المفصل على الصحيح، وقيل من الحجرات، ولا ثالث لها، والدليل على صحّة الأول ما في مسند أحمد⁽¹⁾، وسنن أبي داود، وابن ماجه عن أوس بن حذيفة⁽²⁾، قال: سألت أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كيف تحزبون القرآن؟

فقالوا: (ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده) إذا علم هذا فإذا عددت ثمانياً وأربعين سورة فالتى بعدهن سورة ق. وبيانه: ثلث البقرة، وآل عمران، والنساء، وخمس المائدة والأنعام والأعراف والأنفال وبراءة، وسبع يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل، وتسع: سبحان والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج والمؤمنون والنور، والفرقان، وإحدى عشرة: الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان وألم السجدة، والأحزاب، وسبأ وفاطر ويس وثلاث عشرة: الصافات، وص، والزمر، وغافر، وحم السجدة، وحم عسق والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف، والقتال، والفتح، والحجرات، ثم بعد ذلك حزب المفصل، كما قاله الصحابة - رضي الله عنهم -.

فتعيّن أن أوله سورة ق والله الحمد، وعن أبي واقد الليثي⁽³⁾ أن النبي - صلى الله عليه و سلم - «كان يقرأ في العيد بقاف واقتربت» رواه مسلم وأهل السنن الأربعة⁽⁴⁾.

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (89/26).

(2) أوس بن حذيفة بن ربيعة بن عميرة بن عوف بن النقي روى عنه ابنه عثمان بن عبد الله صحابي جليل نزل بالطائف كان في وفد تقيف روى أحاديث منها المسح على القدمين. الإصابة (84/1)، وأسد الغابة (89/1).

(3) أبو واقد الليثي صحابي جليل مختلف في اسمه قيل: الحارث بن مالك وقيل: بن عوف بن الحارث بن عبد مناة بن شجع كان حليف بني أسد شهد بدرًا، وكان يحمل لواء بني ليث وضمير وسعد بن بكر يوم الفتح وحين روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن أبي بكر وعمر توفي سنة ثمان وستين. الإصابة (195/1).

(4) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب حزب المفصل، باب ما باب من ق حتى يختم، حديث رقم (16166)، وأبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن، حديث رقم (1393)، والترمذي في سننه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القراءة في العيدين، حديث رقم (534)، والنسائي في سننه، كتاب التفسير، باب سورة القمر، حديث رقم (11550)، ابن ماجه في سننه، كتاب الإقامة، في كم مستحب يختم القرآن، حديث رقم (1345).

وعن أم هشام بنت حارثة بن النعمان⁽¹⁾ - رضي الله عنها - قالت ما حفظت ﴿ق﴾ إلا من في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ هذه السورة في المجمع الكبار، كالعيد، والجمعة؛ لتضمنها قواعد إيمانية من ابتداء الخلق والبعث والنشور، والمعاد، والقيام، والحساب، والجنة والنار، والثواب والعقاب، والترغيب والترهيب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝ أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ ۝ بَلْ كَذَّبُوا بِآلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝﴾ قال مجاهد وغيره: ﴿ق﴾ حرف من حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور كقوله: ﴿صَّ﴾ و﴿ن﴾ ونحو ذلك، وقد سبق البحث عنها في أول سورة البقرة، وقيل: ﴿ق﴾ جبل محيط بجميع الأرض، وهذا من خرافات بني إسرائيل، واختلاق زنادقتهم اضلالاً للناس والله أعلم.

وقد أكثر كثير من المفسرين، من الحكاية عن أهل الكتاب في تفسير القرآن، وليس لنا احتياج لذلك بحمد الله، وقيل المراد قضي الأمر، والله وإنها دلّت على محذوف كقوله: فقلت لها: قفي، فقالت: ق، وفيه نظر ليطم الدليل على ذلك.

وقوله: ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ أي: الكريم العظيم واختلفوا في جواب القسم ما هو فقيل هو قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ وفيه نظر بل هو مضمون الكلام بعد القسم، وهو إثبات النبوة، وإثبات المعاد، وتقريره وتحقيقه، وإن لم يكن القسم متلقى لفظاً، كما هو كثير كما سبق في قوله: ﴿صَّ﴾.

وقوله: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ﴾ أي: تعجبوا من إرسال رسول إليهم من البشر. كما قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾⁽²⁾ يعني: ليس هذا بعجيب فإن الله مصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس، ثم أخبر عنهم في

(1) أم هاشم وقيل: أم هشام بنت حارثة بن النعمان الأنصارية بايعت بيعة الرضوان، روى عنها عبد الرحمن بن سعد وخبيب وقد أخذت سورة ق من لسان رسول الله الذي كان يقرأ بها كل جمعة. أسد الغابة (3/465).

(2) سورة يونس: الآية/2

تعجبهم أيضاً عن المعاد واستبعادهم لوقوعها.

فقال: ﴿أَعِدَّا مِثْنًا وَكُنَّا﴾ أي: يقولون إذا متنا وبلينا وصرنا ترابا كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلى هذه البنية والتركيب؟ ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ أي: بعيد الوقوع لما كانوا يعتقدون استحالة وعدم إمكانه، فقال - تعالى - رداً عليهم: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أي: نعلم ما تأكل من أجسادهم في البلى، ولا يخفى علينا أين تفرقت الأبدان، وأين ذهبت وإلى أين صارت ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ أي: حافظ لذلك، فالعلم شامل، وكل الأشياء في الكتاب محفوظة مضبوطة، ثم بين تعالى سبب كفرهم وعنادهم واستبعادهم ما ليس ببعيد.

فقالوا: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيحٍ﴾ وهذا حال كل من خرج عن الحق ومتابعته بعد ذلك فهو باطل، والمريح: المضطرب المختلف، كما قال قتادة: من ترك الحق مرج عليه أمره والتبس عليه دينه.

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۝٦
وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى
لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝٩
وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۝١٠ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾

نبه - تعالى - عباده على قدرته العظيمة التي أظهر بها ما هو أعظم مما تعجبوا مستبعبين لوقوعه، فقال: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾

أي: بالنجوم ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ أي: من شقوق وفتوق أي: ليس فيها عيب ولا نقص وقوله: ﴿وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا﴾ أي: وسعناها وفرشناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ وهي الجبال لئلا تميد بأهلها ولا يضطرب، فإنها مستقرة على تيار الماء المحيط بها من جوانبها ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ أي: حسن كريم يسر به ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى﴾ أي: جعلنا ذلك تبصيراً وتذكيراً.

﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ أي خاضع متواضع وجل رجاء إلى الله، ﴿وَنَزَّلْنَا مِنْ

﴿السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا﴾ أي نافعاً، ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾ أي: حدائق وبساتين ونحوها
﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ أي: وحب النبات، والحصيد وهو الزرع الذي يدخر حبه ﴿وَالنَّخْلَ
بَاسِقَاتٍ﴾ أي: طوال شاهقات⁽¹⁾.

قال ابن عباس وغير واحد ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ أي: منضود.

﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾ أي للخلائق ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ وهي
الأرض التي كانت هامدة لا نبات فيها فلما نزل عليها الماء⁽²⁾.

﴿أَهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ وَأَثْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٍ﴾⁽³⁾ من أزاهير وغيرها مما
تचार الطرف في حسنها، فهذا مثال في البعث بعد الموت كذلك يحيي الله الموتى
كما في غيرها من الآيات البينات .

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ﴾⁽⁴⁾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ
﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾⁽⁵⁾ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ
بَلَّهُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ .

هدد الله - تعالى - كفار قريش بما أحله الله بأشباهم ونظرائهم من المكذبين
قبلهم من النقمات والعذاب الأليم في الدنيا، كقوم نوح وما عذبهم به من الغرق العام
بجميع أهل الأرض، وأصحاب الرِّسِّ كما سبق في سورة الفرقان.

﴿وَتَمُودُ﴾⁽⁴⁾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿وهم أمته الذين بعث إليهم من أهل
سدوم⁽⁴⁾ ومعاملتها من الغور، وكيف خسف الله بهم الأرض، وصير أرضهم بحيرة منتنة
خبیثة بكفرهم وطغيانهم ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ وهم قوم شعيب ﴿وَقَوْمُ تَبَّعٍ﴾ وهو اليماني.

(1) يشهق، أي: ارتفع والشاهق الجبل المرتفع وفلان ذو شاهق، إذا كان يشتد غضبه، وشهيق الحمار آخر
صوته. ويقال الشهيق ردّ النفس. تاج اللغة والصاحح العربية (372/1).

(2) فيه ثلاثة أقاويل: أحدها أن النضيد المتراكم المترابك، قاله ابن عباس، الثاني: أنه المنظوم، وهذا يروى عن
ابن عباس أيضاً، الثالث: القائم المعتدل قاله ابن الهاد. النكت والعيون (343/5).

(3) سورة الحج: الآية/5 .

(4) سدوم: فعول من السدم وهو الندم والسدوم يدل هنا على اسم البلد لا اسم القاضي، وذكر الميداني في مجمع
الأمثال أن سدوم هي سرمين بلدة من أعمال حلب معروفة عامرة عندهم، معجم البلدان (200/3).

وقد سبق شأنه في سورة الدخان: ﴿كُلُّ كَذَّبٍ أَلْرُسُلِ﴾ أي: كل من هذه الأمم وهؤلاء القرون كذب رسولهم، ومن كذب رسول فكأنما كذب بجميع الرسل.

كقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾⁽¹⁾ ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾⁽¹⁶⁾ أي: فحق عليهم ما أوعدهم الله على التكذيب من العذاب والنكال، فليحذر المخاطبون أن يصيبهم ما أصابهم وقوله: ﴿أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ أي: أفأعجزنا ابتداء الخلق حتى هم في شك من الإعادة ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾⁽¹⁵⁾ يعني: أن ابتداء الخلق لم يعجزنا فكيف تعجزنا الإعادة وهي أسهل منه.

كما قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾⁽²⁾ وقد سبق في الصحيح يقول الله تعالى: «يؤذيني ابن آدم يقول لن يعيدني كما بداني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته»⁽³⁾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسْوُسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾⁽¹⁷⁾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ⁽¹⁷⁾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ⁽¹⁸⁾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ⁽¹⁹⁾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ⁽²⁰⁾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ⁽²¹⁾ لَّقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ⁽²²⁾

أخبر - تعالى - على قدرته على الإنسان بأنه خالقه وعلمه محيط بجميع أموره، حتى إنه - تعالى - يعلم ما توسوس به نفس بني آدم من الخير والشر.

وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تتكلم»⁽⁴⁾.

(1) سورة الشعراء الآية/105.

(2) سورة الروم: الآية/27

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (1903/4) حديث رقم (4974).

(4) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح (487/10) كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكثرة والسكران والمجنون رقم (5269). ومسلم في صحيحه (423/1)، كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس، حديث رقم (201/127).

وقوله: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ يعني: ملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل العنق وهو عرق بين الحلقوم و العلبا وبين متفرق في البدن، ومن تأوله على العلم فإنما فرّ من الحول والاتحاد تعالى الله وتقدس منهما فإنهما منفيان بالإجماع ولكن اللفظ لا يفترضه فإنه لم يقل، وأنا أقرب إليه بل قال ونحن أقرب إليه. كما قال في المحتضر: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ يعني: ملائكته فالملك لمة من الإنسان كما أن للشيطان لمة، كذلك يجري من ابن آدم مجرى الدم، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق.

ولهذا قال ههنا: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ ﴾ يعني: الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ أي: قاعد مترصد ملازم فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات ﴿ مَا يَلْفِظُ ﴾ أي: ابن آدم ﴿ مِنْ قَوْلٍ ﴾ أي: ما يتكلم بكلمة

﴿ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ١٨ ﴿ أي: إلا ولها من يراقبها حافظا حاضرا يعدّ ذلك، واختلفوا هل يكتب الملك كل شيء من الكلام .

كما هو قول الحسن وقتادة، أو إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب كما هو قول ابن عباس على القولين وظاهر الآية مع الأول.

وعن بلال ابن الحارث المزني (1) قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «إنّ الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظنّ أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها سخطه عليه إلى يوم يلقاه» رواه أحمد والنسائي والترمذي وصحّحه، (2).

(1) بلال بن الحارث بن قزّة بن ثعلبة بن ثور عبد الرحمن بن المزني، من أهل المدينة كان صاحب لواء مزينة يوم الفتح أحاديثه في السنن وصحّحي ابن خزيمة وابن حبان. ت. 60هـ، الإصابة (1/170)، وشذرات الذهب (27/1)

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (180/25) رقم (1585)، والترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب قلة الكلام، حديث رقم (2320) وابن ماجه في سننه، باب كف اللسان في الفتنة رقم (3969) وصحّحه الترمذي، ووافقه الألباني في صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (1888).

وكان علقمة يقول: كم من الكلام منعه حديث بلال بن الحارث.

قال الأحنف بن قيس⁽¹⁾ صاحب اليمين يكتب وهو أمير على صاحب الشمال، فإن أصاب العبد خطيئة قال له: أمسك، فإن استغفر الله نهاه أن يكتبها وإن أبي كتبها، وذكر عن الإمام أحمد، أنه كان يأن في مرضه فبلغه عن طاوس أنه يكتب كل شيء حتى الأنين فلم يئن أحمد حتى مات رحمه الله .

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ أي: أيها الإنسان فإنه المخاطب على الصحيح.

وعن عائشة⁽²⁾ - رضي الله عنها - أنها قالت: لما ثقل أبو بكر تمثلت بهذا

البيت.

من لا يزال دمه مقنعاً * * فإنه لا يد مرة مد فوق⁽³⁾
وفي رواية أنها قالت:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى * * إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر⁽⁴⁾
قالت: فكشف عن وجهه، فقال يا بنية كذلك، ولكن كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾^(١٦) أي: تكره وتهرب وأصل الحيد الميل، وقد ثبت في الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق، عن وجهه ويقول «سبحان الله إن للموت لسكرات»⁽⁵⁾.

(1) الأحنف بن قيس التميمي يكنى أبا بحر واسمه الضحاك بن قيس، وقيل صخر بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن مرة كان قد أدرك النبي - صلى الله عليه وسلم - فمن هناك ذكرناه في الصحابة؛ لأنه أسلم على عهد رسول الله بعد من كبار التابعين بالبصرة توفي بالكوفة في إمارة مصعب بن الزبير. الاستيعاب (45/1) .

(2) عائشة أم المؤمنين بنت الإمام الصديق الأكبر، خليفة رسول الله أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب، القرشية التيمية المكية النبوية، زوجة النبي أفقه نساء الأمة على الإطلاق نزل بعض آيات القرآن في براءتها، وكذلك نزل الوحي في بيتها. (ت57هـ)، سير أعلام النبلاء (135/2)، وشذرات الذهب (258/1).

(3) البيت لابن الأثير (115/4) .

(4) ينظر: ديوان حاتم الطائي (27/1).

(5) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت حديث رقم (6510).

وقوله: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ قد سبق الكلام في نفخ الصور للفرع وللصعق وللبعث، وذلك يوم القيمة.

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (كيف أنعم وصاحب الصور قد النقمه وأصغى سمعه، وحتى جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ) فقال يا رسول الله فما تأمرنا قال (قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل) رواه الترمذي⁽¹⁾.

وقوله: ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ أي: ملك يسوقه إلى المحشر وملك يشهد عليه بأعماله هذا هو الظاهر من الآية وهو اختيار ابن جرير⁽²⁾، وقال عثمان⁽³⁾ وغير واحد، وقال: أبوهريرة السائق الملك والشاهد العمل⁽⁴⁾.

وقال ابن عباس: السائق من الملائكة والشهيد الإنسان نفسه، يشهد على نفسه⁽⁵⁾، وقوله: ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا ﴾ أي: في الدنيا وفيه ثلاثة أقوال أحدها: أن المراد بذلك الكافر، وهذا عن ابن عباس⁽⁶⁾ والثاني: أن المراد كل واحد من بر وفاجر، لأن الآخرة بالنسبة إلى الدنيا كالليقظة، والدنيا كالنوم، وهو اختيار ابن جرير⁽⁷⁾، الثالث أن المخاطب بذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - وبه قال ابن زيد⁽⁸⁾ وأوله على معني: لقد كنت في غفلة من هذا القرآن قبل أن يوحى إليك، فكشفنا عنك غطاءك بإنزاله إليك فبصرك اليوم حديد، تبصر ذلك وتعلمه، والظاهر من السياق خلاف هذا بل الخطاب مع الإنسان من حيث هو المراد بقوله: ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا ﴾

(1) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في شأن الصور، حديث رقم (2618)، وصححه الألباني صحيح وضعيف سنن الترمذي، حديث رقم (1078).

(2) ينظر: جامع البيان (431/21).

(3) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل أبو عثمان الصابوني النيسابوري الواعظ المفسر المحدث الأستاذ شيخ الإسلام إمام المسلمين أوجد وقته شهدت له أعيان الرجال بالكمال في الحفظ والتفسير حدث عن زاهر السرخسي، وكان كثير السماع والتصنيف، مات سنة تسع وأربعين وأربعمائة. طبقات المفسرين (25/1).

(4) أي: بمعنى يشهد عليها بما عملت، قاله الضحاك، والسائق من الملائكة، والشاهد من أنفسهم الأيدي والأرجل وهي رواية العوفي عن ابن عباس، وقال آخرون: هما جميعا من الملائكة. معالم التنزيل (360/7).

(5) ينظر: جامع البيان (430/21).

(6) ينظر: جامع البيان 434/21، والنكت والعيون للماوردي (349/7)، والدر المنثور 635/13.

(7) رواه ابن جرير في تفسيره (432/21).

(8) ينظر: جامع البيان (434/21)، والنكت والعيون للماوردي (349/7).

أي: من هذا اليوم.

﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ (٢٣) أي: قوي لأن كل أحد

يكون يوم القيمة مستبصراً حتى الكفار يكونون يوم القيمة على الاستقامة، لكن لا ينفعهم ذلك.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ (1) الآية
﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾ (٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ
مُعْتَدٍ مَّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ
قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَعَيْتُهُ وَلَا كُنَّا فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ
إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾.

أخبر - تعالى - عن الملك الموكل بعمل ابن آدم أنه يشهد عليه يوم القيمة بما فعل ويقول: ﴿ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾ (٢٣) أي: معتمد محضر بلا زيادة ولا نقصان.

وقال مجاهد: هذا كلام الملك السائق (2)، واختيار ابن جرير: يشمل السائق والشهيد وهو موجه فعند ذلك يحكم الله في خلقه بالعدل (3).

فيقول: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ واختلفوا في قوله ألقيا فقال بعضهم هي لغة لبعض العرب يخاطبون المفرد بالثنائية، وأنشد ابن جرير على هذا قول الشاعر:

فإن تزراني يا ابن عفاف أنزجر * * وإن تتركاني أحم عرضاً ممنعاً (4)
وقيل الخطاب السائق والشاهد وهو الظاهر فالسائق أحضره إلى عرضه الحساب، فلما أدى الشهيد ما عليه أمرهما الله بإلقائه في نار جهنم.

والكفار العنيد هو كثير الكفر والتكذيب بالحق المعاند له، وهو معارض للحق

(1) سورة السجدة: الآية/12

(2) قال: يعني به الملكين، كاتب وشهيد، تفسير مجاهد (614).

(3) سائق يسوقها، وشاهد يشهد عليها بعملها، جامع البيان (430/21).

(4) هذا البيت من شواهد الفراء في مشكل القرآن (78/1).

بالباطل مع علمه بذلك.

﴿ مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ ﴾ لا يؤدي ما عليه من الحقوق، ولا بر فيه ولا صلة ولا صدقة،
﴿ مُعْتَدٍ ﴾ أي: فيما ينفقه ويصرفه ويتجاوز فيه الحد ﴿ مُرِيبٍ ﴾ أي: شاك في التوحيد وفي
أمره ﴿ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ وهو الشرك بالله ﴿ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴾.

وعن أبي سعيد - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه
قال: (يخرج عنق من النار يتكلم، يقول وكلت اليوم بثلاثة: بكل جبار عنيد، وكل من
دعا مع الله إلهاً آخر، وبالمصورين، وفي رواية من قتل نفساً بغير نفس بدل
المصورين ثم ينطوي عليهم) رواه أحمد والترمذي (1).

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ﴿ قَالَ قَرِينُهُ ﴾ قال ابن عباس وأتباعه: هو
الشیطان الذي وكل به (2).

﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ ﴾ أي: ما أضلته ﴿ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾
أي: بأن كان هو في نفسه ضالاً قابلاً للباطل معانداً للحق، كما في آية أخرى: ﴿ وَمَا
كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾ (3) الآية.

وقوله: ﴿ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ ﴾ أي: يقول الربّ تعالى للإنسي وقرينه من الحق وذلك
أنهما يختصمان بين يدي الحق، فيقول الإنسي هذا أضلني عن الذكر بعد إذ جاعني
ويقول الشيطان: ﴿ رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ أي: عن منهج الحق.
فيقول الربّ تعالى لهما: ﴿ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ ﴾ أي: عندي.

﴿ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴾ أي: اعتذرت إليكم على السنة الرسل،
وأنزلت الكتب وقامت عليكم الحجج والبيانات ﴿ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ ﴾ قال مجاهد:

(1) أخرجه الإمام أحمد، في مسنده (40/3) رقم (11374)، من حديث أبي سعيد الخدري، والترمذي في سننه
(30/10)، كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة النار رقم (2775)، وقال الترمذي (حديث حسن غريب
صحيح) ووافقه الألباني في السلسلة الصحيحة (447/6).

(2) ينظر: جامع البيان (440/21)، والدر المنثور (636/13)، وتفسير مجاهد (610/1).

(3) سورة إبراهيم: الآية/22

يعني قضيت ما أنا قاض به⁽¹⁾ ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٢٩) أي: لست أعذب أحداً إلا بذنبه بعد قيام الحجة عليه.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾^(٣٠) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ^(٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ^(٣٢) مَنْ حَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ^(٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ^(٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿

أخبر تعالى أنه يقول لجهنم هل امتلأت، وذلك لأنه وعدها أن سيملاها من الجنة والناس أجمعين، فهو سبحانه يأمر بمن يأمر به إليها، ويلقي فيها وهي تقول هل من مزيد؛ أي: هل بقي شيء تزيدون؟ هذا هو الظاهر من الآية.

كما روى أنس - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «يُلْقَى فِي النَّارِ وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ قَدَمَهُ فَتَقُولُ: قَطُّ، قَطُّ» رواه البخاري⁽²⁾.

وفي رواية «لا تزال جهنم يلقي فيها وهي تقول هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط وعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله خلقاً آخر فيسكنهم في فضول الجنة» رواه أحمد ولمسلم⁽³⁾ نحوه.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ: أُوتِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَغَرَّتُهُمْ .

قال الله - عزَّ وجلَّ - للجنة: «إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشياء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله فيها رجله فتقول: قط، قط، قط

(1) ينظر: جامع البيان (443/21)، والدر المنثور (638/13).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ حديث رقم (4848).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (234/3)، ومسلم في الجامع الصحيح، كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، حديث رقم (2848).

فهناك تمتلئ وتتزوي بعضها إلى بعض، فلا يظلم الله من خلقه أحداً، وأمّا الجنة فإنّ الله ينشيء لها خلقاً»، هكذا في الصحيحين⁽¹⁾.

وقوله: ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ ﴾ قال قتادة وغير واحد أي: أدنيت وقربت من المتقين⁽²⁾.

﴿ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾⁽³⁾ وذلك يوم القيامة، وليس ببعيد؛ لأنه واقع لامحالة ﴿ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ ﴾ أي: رجّاع تائب ﴿ حَفِيفٍ ﴾⁽⁴⁾ أي: يحفظ العهد فلا ينقضه ولا ينكثه. قال عبيد بن عمير: ⁽³⁾الأواب الحفيظ الذي لا يجلس مجلساً فيقوم حتّى يستغفر الله عزوجل ﴿ مَن حَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ ﴾ أي: من خاف الله في سرّه حيث لا يراه أحد إلاّ الله، كما قال - عليه الصلاة والسلام -: «ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»⁽⁴⁾.

﴿ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ إليه خاضع لديه ﴿ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ﴾ أي: بسلامة من العذاب والهموم، وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم وقيل ﴿ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾ أي: يخلدون في الجنة فلا يموتون أبداً، ولا يسقمون سرمداً.

وقوله: ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا ﴾ أي: مهما أرادوا وجدوا من أي أصناف الملاذ أحضر لهم على الفور.

﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ قال: كثيرين مرّة⁽⁵⁾ من المزيد أن تمرّ السحابة بأهل الجنة

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب سورة (ق)، حديث رقم (4850)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون، حديث رقم (73544).

(2) ينظر: الدر المنثور (643/13)، وجامع البيان (449/21).

(3) عبيد بن عمير بن قتادة اللبثي المكي الواعظ المفسر، ولد في حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وحدث عن أبيه وعن عمر بن الخطاب، كان من ثقات التابعين، وكان عالماً واعظاً كبير القدر (ت80هـ) سير أعلام النبلاء (156/4)، وتذكرة الحفاظ (50/1)، والوفاء بالوفايات (323/6).

(4) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح (234/1)، كتاب الآذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، حديث رقم (660)، ومسلم في صحيحه (381/6)، باب فضل إخفاء الصدقة، حديث رقم (2427).

(5) كثير بن مرّة الحضرمي الفقيه عالم أهل حمص كان إماماً عالماً طالباً للعلم أدرك سبعين بديراً حدّث عن معاذ وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت، وعنه أبو الزاهرية ومكحول، يكنى أبا القاسم، وكان يسمّى الجند المقدم، توفي في العشر الثامن من الهجرة، سير أعلام النبلاء (47/7)، وتذكرة الحفاظ (42/1).

فيقول: ماذا تريدون فأمطره لكم؟ فلا يدعون بشيء إلا أمطرتهم، وفي الحديث عن ابن مسعود (1) - رضي الله عنه - أنه - عليه الصلاة والسلام - قال له: «إِنَّكَ لتنتهي الطير في الجنة فيخر بين يديك مشويًا» (2).

وهو كقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (3)، وقد سبق أنها النظر إلى وجهه الكريم. وقال أنس بن مالك - رضي الله عنه - في قوله عز وجل ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ يظهر لهم الربّ - عز وجلّ - في كل جمعة (4).

وقد أورد الشافعي (5) في كتاب الأم عن أنس قال: - صلى الله عليه وسلم -: «أتاني جبرائيل بمرآة بيضاء فيها نكت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ما هذه؟» فقال: هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك، فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن، يدعو الله بخير إلا استجيب له، وهو عندنا يوم المزيد. قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «يا جبريل وما يوم المزيد؟» (6) قال: - عليه السلام - إن ريك اتخذ في الفردوس وادياً أفيح فيه كئيب المسك، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله ما شاء من ملائكته، وحوله منابر من نور على المقاعد المستنيرة، وحفت تلك المنابر بكراسي

(1) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمع بن مخزوم بن الحارث بن نزار الإمام الحبر فقيه الأمة كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بدرًا وهاجر الهجرة وكان يوم اليرموك على النفل ومناقبه غزيرة حدث عنه أبو موسى وأبو هريرة وروى عنه القراءة أبو عبد الرحمن السلمي، وهو أحد القراء الأربعة ومن السابقين الأولين. (ت32هـ) سير أعلام النبلاء (461/1)، وشذرات الذهب (195/1)، وغاية النهاية في طبقات القراء (460/1).

(2) أخرجه الشاشي، في مسنده (418/2) حديث رقم (793) من طريق عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود، وأبي يعلى في المسند الكبير (464/2) حديث رقم (1949)، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة حديث رقم (6784).

(3) سورة يونس: الآية/26

(4) ينظر: وجامع البيان (457/21)، النكت والعيون (354/6).

(5) محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن هشام بن عبد المطلب بن عبد مناف جد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - السائب جده صحابي أسلم يوم بدر ولد سنة خمسين ومائة ونشأ بمكة، وقدم بغداد فاجتمع علماؤها وأخذوا عنه، طبقات المفسرين الأندروي (25/1).

(6) أخرجه الدارقطني في مسنده، (87/1)، حديث رقم (57).

من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصدّ يقون، فجلسوا من ورائهم على تلك الكتب، فيقول الله - عزّ وجلّ-: أنا ربكم قد صدقتكم وعدي فاسألوني أعطكم، فيقولون: ربنا نسألك رضوانك، فيقول: قد رضيت عنكم ولكم عليّ ما شئتم ولديّ مزيد. فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الجنة، وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش، وفيه خلق آدم، وفيه تقوم الساعة» رواه ابن جرير (1)، بأبسط من هذا.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ يعني: وكم أهلكتنا قبل هؤلاء المكذبين .

﴿مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾. أي: كانوا هم أكثر منهم وأشدّ قوّة ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾.

قال ابن عباس: أي: أثروا فيها (2)، وقال: غيره أي: سافروا وضربوا فيها سايرين يبتغون الأرزاق والمتاجر والمكاسب أكثر مما طفتم بها. ويقال لمن طوّف في البلاد نقب فيها، قال امرؤ القيس:

لقد نقبت في الآفاق حتى * * رضيت من الغنيمة بالإياب
وقوله: ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ أي: هل من مفرّ كان لهم من قضاء الله وقدره؟ وهل نفعهم ما جمعوه؟ أوردّ عنهم عذاب الله؛ إذ جاءهم لما كذبوا الرّسل فأنتم أيضاً لا مفرّ لكم وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ﴾ أي: لعبرة ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أي: قلب وعقل يعي به.

﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: استمع الكلام فوعاه وتعلّقه بقلبه وتفهمه بلبه.

(1) رواه ابن جرير في تفسيره (457/21)، لم أعر على حكم الحديث.

(2) جامع البيان (460/21)، والدر المنثور (652/13).

والعرب تقول: ألقى فلان سمعه إذا استمع بأذنيه، وهو شاهد غير غائب ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ أي: من إعياء ولا نصب ولا تعب، أي: لمن كان قادراً على هذا فهو على إحياء الموتى أقدر.

قال قتادة: قالت اليهود خلق الله السموات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت - وهم يسمونه: يوم الراحة⁽¹⁾ - فأنزل الله تكذيبهم فيما قالوه.

﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ يعني: هؤلاء المكذبين واهجرهم ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ وكانت الصلاة المفروضة قبل الإسراء ثنتان قبل طلوع الشمس في وقت الفجر، وقبل الغروب في وقت العصر، وقيام الليل كان واجباً على النبي - صلى الله عليه وسلم - وعلى أمته حولاً، ثم نسخ في حق الأمة وجوبه، ثم بعد ذلك نسخ الله ذلك كله ليلة الإسراء بخمس صلوات، ولكن منهن صلواتا الصبح والعصر فهما قبل طلوع الشمس وقبل الغروب.

وفي الصحيحين عن جرير بن عبد الله، قال: كنا جلوساً عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «إتكم سترون ربكم فترونه، كما ترون هذا القمر لا تضامون فيه، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا»⁽²⁾.

ثم قرأ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾.

وقوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي: فصل له ﴿وَأَذْبِرَ السُّجُودَ﴾ قال ابن عباس: هو التسبيح بعد الصلاة⁽³⁾.

ويؤيده ما في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: جاء

(1) ينظر: جامع البيان (466/21، 467)، والدر المنثور (654/13).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، حديث رقم (554)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، حديث رقم (633).

(3) ينظر: جامع البيان (473/21)، وفتح الباري (598/8).

فقراء المهاجرين فقالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والتعميم المقيم فقال: «وما ذاك؟» قالوا يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون كما نتصدق، ويعتقون ولا نعتق. قال: «أفلا أعلمكم شيئاً إذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من فعل مثل ما فعلتم؟ تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين» فقالوا يا رسول الله سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله. فقال: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»⁽¹⁾.

وقيل المراد الركعتان بعد المغرب، قاله علي وابن عباس وغير واحد، كما روى عليّ - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «يصلّي على أثر كل صلاة مكتوبة ركعتين إلا الفجر والعصر» رواه أحمد وأبو داود والنسائي⁽²⁾.

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - بث ليلة عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فصلى ركعتين خفيفتين اللذين قبل الفجر ثم خرج إلى الصلاة فقال: يا ابن عباس (ركعتين قبل صلاة الفجر إدار النجوم، وركعتين بعد المغرب إدار السجود). رواه الترمذي غريب⁽³⁾.

﴿وَأَسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا حُنُّ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذِكْرٌ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾.

يعني: استمع يا محمد يوم ينادي الملك المنادي بالحشر، وهو إسرافيل أيتها العظام البالية والأوصال المنقطعة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ يعني: النفخة في الصور التي بالحق الذي كان أكثرهم

(1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، حديث رقم (595).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (294/2) رقم (1012) أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب الصلاة بعد العصر، حديث رقم (1275)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب الصلاة، باب اختلاف الناقلين لخبر أبي اسحاق عن عاصم بن زمر، عن علي، حديث رقم (341)، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود (275/3).

(3) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب سورة الطور، حديث رقم (3275)، وضعفه الترمذي ووافقه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (1261).

فيه يمترون ﴿ ذَلِكِ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴾ أي: من الأجداث ﴿ إِنَّا حُنُ نُحِيءُ وَنُيِّتُ وَإِنَّا الْمَصِيرُ ﴾ أي: هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، وهو أهون عليه، وإليه مصير الخلائق كلهم، فيجازي كلا بعمله.

﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ﴾ وذلك أن الله - عز وجل - ينزل مطراً من السماء ينبت به أجساد الخلائق في قبورهم.

كما ينبت الحب في الثرى بالماء، وإذا تكاملت الأجساد أمر الله إسرافيل فنفخ في الصور، وقد أودعت الأرواح في ثقب الصور فإذا نفخ فيه خرجت الأرواح تتوهج بين السماء والأرض، فيقول الله وعزتي وجلالي ليرجعن كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمره فيرجع كل روح إلى جسدها، فتدبُّ فيه كما يدبُّ السم في اللديغ، وتتشق الأرض عنهم فيقومون إلى موقف الحساب سراعاً مبادرين إلى أمر الله عز وجل.

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «أنا أول من تتشق عنه الأرض» رواه مسلم⁽¹⁾.

وقوله: ﴿ ذَلِكِ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ أي: تلك إعادة سهلة علينا، يسيرة لدينا كما قال: ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾.

وقوله: ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ لك المشركون من التكذيب والإنكار فلا يهمنك ذلك.

وقوله: ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ أي: ولست بالذي تجبر هؤلاء على الهدى، وليس ذلك مما كلفت به. إنما بعثت مذكراً.

ثم قال: ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ أي: بلغ أنت رسالة ربك فإنما يتذكر من يخاف الله ووعيده ويرجو وعده وكان قتادة يقول: «اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعدك⁽²⁾ يا بار يا رحيم».

(1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا - صلى الله عليه وسلم - على جميع الخلائق، حديث رقم (2278)

(2) ينظر: النكت والعيون (45/3).

تفسير سورة الذاريات

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالذَّرِيَّتِ ذُرُوًا ۝١ فَالْحَمِيْلَتِ وَقْرًا ۝٢ فَالْجَرِيَّتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقْسِمَتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَقِعٌ ۝٦ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَنفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ ۝٩ قَتَلَ الْحَرَّاصُونَ ۝١٠ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِء تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤﴾.

سئل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقيل ما معنى قوله تعالى: ﴿وَالذَّرِيَّتِ ذُرُوًا﴾ فقال: الريح، ﴿فَالْحَمِيْلَتِ وَقْرًا﴾ قال: السحاب ﴿فَالْجَرِيَّتِ يُسْرًا﴾ قال: السفن، ﴿فَالْمُقْسِمَتِ أَمْرًا﴾ قال: الملائكة⁽¹⁾.

روي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مرفوعاً، وبه فسرها ابن عباس - رضي الله عنهما - وغير واحد.

وهذا قسم من الله - تعالى - على وقوع المعاد⁽²⁾ ولهذا قال: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ أي: خبر صدق⁽³⁾ ﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾ وهو الحساب، ﴿لَوَقِعٌ﴾ أي: لكائن لا محالة. قالوا وقرأ لنقل يعني يحمل الماء الثقيل الغزير، والسفن التي تجري في الماء جرياً سهلاً، والملائكة الذين يقسمون الأمور الشرعية والكونية، بين الخلائق بأمر الله⁽⁴⁾.

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (466/2)، وصححه، ووافقه الذهبي في التلخيص والحافظ بن حجر في تعليق التعليق (149/4).

(2) فيه قولان: أنه السحاب يقسم الله به الحظوظ بين الناس، الثاني: الملائكة التي تقسم أمر الله في خلقه قاله الكلبي، وهم جبريل وهو صاحب الوحي والغلظة، وميكائيل وهو صاحب الرزق والرحمة، وإسرافيل وهو صاحب الصور واللوح، وعزرائيل وهو ملك الموت وقابض الأرواح، عليهم السلام، النكت والعيون (361/5).

(3) فيه وجهان: أحدهما: أن يوم القيامة لكائن، قاله مجاهد الثاني: ماتوعدون من الجزاء والعقاب حق وهذا جواب القسم، النكت والعيون (362/5).

(4) فيه وجهان: أحدهما: أن الحساب لواجب، قاله مجاهد، الثاني: أن الدين الجزاء ومعناه أن جزاء أعمالكم بالثواب والعقاب لكائن، وهو معنى قول قتادة. النكت والعيون (362/5).

وقوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ أي: البهاء، والجمال، والحسن، والاستواء، قاله ابن عباس وكثيرون⁽¹⁾، ومعنى الحبك: الجعودة⁽²⁾.

ولهذا قال: بعضهم هو أنّ الماء إذا ضربته الريح تجعده فينسخ بعضه بعضاً طرائق طرائق، فذاك الحبك، وقيل الشدة، يعني: ذات الصفاقة، حبكت بالنجوم، وقيل يعني: السماء السابعة، وهي التي فيها الكواكب الثابتة، وهي عند أهل الهيئة في الفلك الثامن الذي فوق السابع، والله أعلم. وهذه الأقوال متقاربة راجعة إلى الحسن والبهاء.

كما قال: ابن عباس - رضي الله عنه - : فإنه من حسنها مرتفعة شفاقة صفيقة شديدة البناء متسعة الأرجاء أنيقة البهاء، مكللة بالنجوم الثابت والسيارات، موشحة بالشمس والقمر والكواكب الزاهرات⁽³⁾.

وقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ أي: إنكم أيها المشركون المكذبون للرسول لفي قول مضطرب لا يلتئم ولا يجتمع.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ أي: يصرف عن الإيمان من صرف، ويضل من ضلّ، أي: إنّما يروج على من هوزال في نفسه، لأنه قول باطل، وذلك أنّهم كانوا يتلقون الذي يريد الإيمان، فيقولون هو ساحر، كاهن مجنون فيصرفونه عن الإيمان.

وقوله: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ أي: الكذابون الذين لا يوقنون بالبعث، وقيل المرتابون، وقيل هم الكهنة، وقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ أي: في غفلة وكفر غافلون لاهون ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يعني متى يوم القيمة، وإنّما يقولون

(1) ينظر: معالم التنزيل (371/7)، الدر المنثور (666/13)، وفي قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾، أي:

الطريقة الحسنة، مثل ما يظهر على الماء من هبوب الريح، وكذلك حبك الشعير آثار تكسيره وهي جمع حبيكة كطريقة وطرق. مدارك التنزيل (372/3).

(2) جعد: (الجعد من الشعر خلاف السبط) أو هو (القصير منه) (وجعد الشعر ككرم)، والجعودة وهي بهاء. تاج العروس (502/7).

(3) أما قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ﴾ ففيها وجهان: الأول: أنها السحاب الذي يظل الأرض. الثاني: وهو المشهور أنها السماء المرفوعة، قال عبد الله بن عمر هي السماء السابعة. وفي قوله: ﴿الْحُبُكِ﴾ أقوال: الأول: الحبك الاستواء وهو مروى عن ابن عباس على اختلاف، الثاني: أنها الشدة، وهو قول أبي صالح الثالث: الحسن والزينة، قاله قتادة ومجاهد، الرابع أنها حبكت بالنجوم، قاله الحسن، النكت والعيون (362/5).

هذا تكديباً وعناداً وشكاً واستبعاداً .

قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ أي: يعذبون ويحرقون، وقال مجاهد: كما تفتن الذهب في النار⁽¹⁾.

﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ أي: عذابكم وحرقتكم، ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾⁽¹⁴⁾ أي: يقال لهم ذلك تقريباً وتوبيخاً.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾⁽¹⁵⁾ ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ⁽¹⁶⁾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ⁽¹⁷⁾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ⁽¹⁸⁾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ⁽¹⁹⁾ وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ⁽²⁰⁾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ⁽²¹⁾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ⁽²²⁾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ⁽²³⁾.

أخبر - تعالى - عن المتقين لله، أنهم يوم معادهم في جنات وعيون بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من العذاب والنكال.

وقوله: ﴿ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ قال ابن جرير: (أي عاملين بما آتاهم الله من الفرائض)⁽²⁾.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ أي: قبل أن يفرض عليهم كانوا محسنين أيضاً في الأعمال، والظاهر أن قوله: ﴿ءَاخِذِينَ﴾ حال من قوله: ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ فالمنتقون في حال كونهم في الجنات والعيون آخذون ما آتاهم ربهم، أي من النعيم والسرور والغبطة .

(1) فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أي يعذبون، قاله ابن عباس، الثاني: يطبخون ويحرقون كما يفتن الذهب بالنار وهو قول الضحاك وعكرمة، الثالث: يكذبون توبيخاً وتقريباً زيادة في عذابهم، النكت والعيون (364/5)، وتفسير الضحاك (789)، وقال ابن الجوزي: ﴿يُفْتَنُونَ﴾ أي: يحرقون ويعذبون ومن ذلك يقال للحجارة السود التي كأنها احترقت بالنار: الفتنين. زاد المسير (30/8). والقول الذي اختاره الطبري في تأويل قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ قول من قال: يعذبون بالإحراق؛ لأن الفتنة أصلها الاختبار وإنما يقال فتنت الذهب بالنار إذا طبختها بها لتعرف جودتها أي: يحرقون بها كما يحرق الذهب بها. جامع البيان (498/21).

(2) رواه ابن جرير في تفسيره (500/21).

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ أي: في الدنيا محسنين كقوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾⁽¹⁾، ثم إنه بين إحصانهم في العمل فقال: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ وفي ﴿مَا﴾ قولان، أحدهما: أنها نافية تقديره كانوا قليلاً من الليل هجوعهم.

قال ابن عباس: لم تكن تمضي عليهم ليلة واحدة إلا يأخذون منها ولو شيئاً.⁽²⁾ وقال مطرف: قل ليلة تأتي عليهم إلا يصلون فيها لله - تعالى -⁽³⁾، إمّا من أولها وإمّا من وسطها.

وقال مجاهد: قلما يرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهددون، وقيل كانوا يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الأوابين⁽⁴⁾ والثاني أنّ ﴿مَا﴾ مصدرية تقديره كانوا قليلاً من الليل هجوعهم ونومهم، واختاره ابن جرير، وقال الحسن: كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل إلا أقله، فنشطوا فمدوا إلى السحر حتى كانوا مستغفرين بسحر. وقال رجل لأبي أمامه⁽⁵⁾ صفة لا أجدها فينا ذكر الله بها قوماً، فقال: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ ونحن والله قليلاً من الليل ما نقوم فقال: له طوبى لمن رقد إذا نعس واتقى الله إذا استيقظ.

وقال عبد الله بن سلام⁽⁶⁾: لما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(1) سور الحاقة الآية 24.

(2) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (503/21)، والهجوع: النوم بالليل دون النهار، (وما) صلة والمعنى: كانوا يهجعون قليلاً من الليل، أي: يصلون أكثر الليل، وقيل: معناه كان الليل الذي ينامون فيه كله قليلاً وهذا معنى قول سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، يعني كانوا قلّ ليلة تمر بهم إلا صلّوا فيها شيئاً إمّا من أولها أو وسطها. معالم التنزيل (373/7).

(3) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (502/21)

(4) أي: ما ينامون، كانوا يمدون الصلاة إلى الأسحار، فإذا كان السحر أخذوا في الاستغفار، تفسير مجاهد (618)، ومعنى آخر: أن المحسنين كانوا قليلاً ثم استأنف من الليل ما يهجعون، قاله الضحاك، الثاني: أنه خطاب مستأنف بعد تمام ما تقدمه، ابتدأه كانوا قليلاً. النكت والعيون (365/5).

(5) أبو أمامة الباهلي صحابي جليل واسمه صدى بن عجلان جعله بعضهم في بني سهم من باهلة وخالفه غيره، سكن مصر ثم انتقل منها فسكن حمص من الشام ومات بها وكان من المكثرين في الرواية وأكثر حديثه عند الشاميين، توفي سنة إحدى وثمانين وقيل: سنة ست وثمانين وهو آخر من مات بالشام أسد الغابة (139/3).

(6) عبد الله بن سلام بن الحارث الإمام أبو الحارث، حليف الأنصار من خواص النبي - صلى الله عليه وسلم -، حدث عنه أبو هريرة وأنس بن مالك وكان قد شهد فتح بيت المقدس، أسلم وقت هجرة النبي وقدمه وكان عبد الله من بني قينقاع يقال كان اسمه الحصين فغير النبي اسمه عبد الله مات بالمدينة (43هـ)، سير أعلام النبلاء (413/2، 414)، والإصابة (80/4)، وشذرات الذهب (233/1).

المدينة كان أول ما سمعته يقول: «أطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وافشوا السلام، وصلوا بالليل والناس نيام»⁽¹⁾. وقال الزهري⁽²⁾ والحسن: كانوا كثيراً من الليل ما يصلون⁽³⁾، وقوله: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ قال: مجاهد وغير واحد: يصلون ويمدّون الاستغفار إلى الأسحار، كما قال تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾⁽⁴⁾ فإن كان الاستغفار في صلاة فهو أحسن.

وقد ثبت في الصحيح في حديث النزول، «هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفرله، هل من سائل فنعطي سؤاله؟ حتى يطلع الفجر»⁽⁵⁾.

وقوله: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ﴾ لما وصفهم بالصلاة ثنى بوصفهم بالزكاة والبر والصلة، فقال: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ﴾ أي: جزء مقسوم قد أفرزوه ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾. أما السائل فمعروف، وهو الذي يبتدىء بالسؤال، وله حق.

كما قال: رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «للسائل حق وإن جاء على فرس» رواه أحمد وأبو داود⁽⁶⁾.

وأما المحروم فقال ابن عباس: هو الخارق الذي ليس له في الإسلام سهم⁽⁷⁾؛ أي: في بيت المال ولا كسب له ولا حرفة.

-
- (1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (201/39) حديث رقم (23784)، والترمذي في سننه، حديث رقم (2485)، وابن ماجه في سننه حديث رقم (1334)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (68/2) حديث رقم (569).
- (2) هو محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب الزهري أحد الفقهاء والمحدثين أول من دون الحديث، تابعي من أهل المدينة، رأى عشرة من الصحابة توفي - رحمه الله تعالى - (24 هـ)، ينظر: وفيات الأعيان (177/4).
- (3) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (506/21).
- (4) سورة آل عمران الآية/17.
- (5) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التهجد، باب الدعاء في آخر الليل، حديث رقم (11215)، ومسلم في صحيحه، كتاب المسافرين، باب الترغيب في الدعاء، حديث رقم (758).
- (6) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (254/3) حديث رقم (1730)، وأبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب حق للسائل، حديث رقم (1665). وضعفه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود، حديث رقم (1665).
- (7) قول الطبري في قوله: ﴿وَالْمَحْرُومِ﴾ هو الرجل المحارف الذي لا يكون له مال ولا ذهب، قضى الله - عز وجل - له ذلك، جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (513/21)، وفي معنى آخر: أن السائل الذي يسأل الناس لفاخته، وأما المحروم: ففيه أقوال أحدها: المتعفف الذي يسأل الناس شيئاً ولا يعلم بحاجته قاله قتادة، الثاني: أنه الذي يجبى بعد الغنيمة وليس له فيها سهم قاله الحسن، الثالث: أنه من ليس له سهم في الإسلام قاله ابن عباس، وفي معنى آخر: المحروم المحارف: أي: رجل محارف بفتح الراء أي: محدود محروم وهو ضد المبارك وقد حورف كسب فلان إذا شدد عليه في معاشه، تفسير مجاهد (619).

وقوله: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ أي: فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة مما قد ذرأ فيها من صنوف النباتات والحيوانات والمهاد والجبال والقفار والأنهار والبحار، واختلاف ألسنة الناس وألوانهم، وما جبلوا عليه من القوى، وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم، والحركات والسكنات، والسعادة والشقاوة، وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل من أجسادهم في المحل الذي هو محتاج إليه فيه.

ولهذا قال: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ أي: وفيها آيات إذ كانت نطفة ثم علقه، ثم مضغة، ثم عظاماً إلى أن نفخ فيه الروح .

ثم قال: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ ﴾ يعني: المطر ﴿ وَمَا تُوَعَّدُونَ ﴾ يعني: الجنة، قاله ابن عباس وغير واحد (1).

وقال عكرمة أي من الثواب والعقاب (2)، ثم أقسم بنفسه فقال: ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ أي: ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء كائن لا محالة، وهو حق لا مرية فيه.

كما لا تشكوا في نطقكم حين تنتطقون، وكان معاذ بن جبل - رضي الله عنه - إذا حدث بشيء يقول لصاحبه: إنَّ هذا لحق كما إنك ههنا.

وعن الحسن البصري - رضي الله عنه - قال: بلغني أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (قاتل الله أقواماً أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا) رواه ابن جرير (3) مرسلًا.

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ هَلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتْ أُمْرَأَتُهُ

(1) ينظر: جامع البيان (523/21).

(2) فيه ثلاثة أقوال: الأول: قول عطاء وهو من الثواب والعقاب، والثاني: قول مجاهد: من الخير والشر، والثالث: قول الضحاك: ما توعدون من الجنة والنار، معالم التنزيل (375/7).

(3) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (523/21)، ولم أعر عليه في كتب الحديث .

فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٦٢﴾

سبقَت هذه القصة في سورة هود والحجر أيضاً فقله: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ سماهم مكرمين؛ لأنهم كانوا ملائكة كراماً.

كما قال: تعالى في وصفهم: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ (٦١) (١) ولأن إبراهيم - عليه السلام - أكرمهم بتعجيل قراهم وقوله: ﴿ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ﴾ الرفع أقوى وأثبت من النصب، فردّه أفضل من التسليم، فإن الخليل أفضل.

وقوله: ﴿ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴾ وذلك بأن جبريل، وإسرافيل، وميكائيل قدموا عليه في صورة شبان حسان عليهم مهابة عظيمة فلم يعرفهم.

وقوله: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ هَيْئِهِ ﴾ أي: انسلّ خفية في سرعة ﴿ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ أي: من خيار ماله، مشوي على الرفض.

كما في آية أخرى: ﴿ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ (٦٢) (٢) ﴿ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ ﴾ أي: أدناه منهم ﴿ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ تلطّف في المبادرة وعرض حسن. حيث لم يقل اقربوا وكلوا، وهذا كما يقول القائل، اليوم: إن رأيت أن تتفضل وتحسن فافعل .

وقوله: ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ هذا على ما تقدم في سورة أخرى، وهي قوله: ﴿ فَلَمَّا رَعَا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ لُّوطٍ ﴾ (٧٥) وَأَمْرَانُهُ وَقَابِئَةُ فَضْحِكْتُ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧٦﴾ قَالَتْ يَوَيْلَ لِيَءَالِدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٨﴾ (٣) ولهذا قال ههنا: ﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾.

(1) سورة الأنبياء الآية/26.

(2) سورة هود الآية/69.

(3) سورة هود الآية/73.

وقوله: ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَّةٍ أَي: فطفقت وأخذت في صيحة وغبطة ورقة⁽¹⁾ قاله ابن عباس وغير واحد: وذلك قولها: ﴿ يَوَيْلَتِي ﴾ ﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾ أي: فضربت بيدها على وجهها تحيراً وتعجباً لعادة النساء إذا أنكرت شيئاً ﴿ وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ أي: كيف ألد وأنا عجوز، وقد كنت في حال الشباب لا أحبل؟

﴿ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾^(٣٠) أي: حكيم في أقواله وأفعاله عليم بما يستحقون من الكرامة.

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾^(٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾.

يعني: قال إبراهيم للملائكة بعد أن ذهب عنه الروح وبشروه بالغلام العليم ما خطبكم، أي: ما شأنكم؟ وفيم جنتم⁽²⁾؟

﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ يعني قوم لوط ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴾^(٣٣) مُّسَوَّمَةً أي معلمة ﴿ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ أي: مكتتبه عنده بأسمائهم كل حجر عليه اسم صاحبه.

وقوله: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٣٥) وهم لوط وأهل بيته إلا امرأته.

﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ احتج بهذه الآية من وافق المعتزلة ممن لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام؛ لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين، وهذا ضعيف؛ لأن هؤلاء كانوا قوماً مؤمنين، وعندنا أن كل مؤمن مسلم بلا عكس، فاتفق الاسمان ههنا لخصوصية الحال، ولا يلزم ذلك في كل حال.

﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾^(٣٧) أي: جعلناها عبرة بما

(1) ينظر: جامع البيان (528/21).

(2) أي: في مدينة قوم لوط عبرة، أي: علامة للخائفين تدلهم على أن الله - تعالى - أهلهم فيخافون مثل

عذابهم معالم التنزيل (377/7).

أنزلنا بهم من العذاب والنكال وحجارة السجيل، وأما كنههم بحيرة خبيثة منتنة، ففي ذلك عبرة ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.

﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٧﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٨﴾ فَأَخَذْتَهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٣٩﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤٠﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤١﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٢﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٣﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

قال تعالى: ﴿وَفِي مُوسَى﴾ بل هو عطف ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ﴾.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بدليل باهر وحجة قاطعة ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ﴾ أي: فأعرض فرعون عما جاء به موسى عناداً واستكباراً.

وقيل بركنه أي: بأصحابه وجموعه التي معه، ﴿وَقَالَ سَحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ أي: لا يخلو أمرك فيما جنتني به من أن يكون ساحراً أو مجنوناً، ﴿فَأَخَذْتَهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ﴾ أي: ألقيناهم ﴿فِي الْيَمِّ﴾ وهو البحر ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي ملوم كافر فاجر.

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ أي: المفسدة التي لا تنتج شيئاً، ولهذا قال ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾ أي: مما يفسده الريح من النفوس والمواشي، والأموال.

﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ أي: كالشيء الهالك البالي. قيل هو الجنوب.

كما ثبت في الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكْتُ عَادٌ بِالدَّبُورِ»⁽¹⁾ ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

قال: ابن جرير يعني: إلى وقت فناء آجالكم⁽²⁾ ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: بعقرهم الناقة ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ وذلك أنهم انتظروا العذاب ثلاثة

(1) أخرج البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الاستسقاء، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «نصرت بالصبا»، حديث رقم (1035).

(2) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (541/21)، ومعالم التنزيل (378/7).

أيام وجاءهم في صبيحة اليوم الرابع بكرة النهار.

﴿أَسْتَظْعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾ أي من نهوض ولا هرب ﴿وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ﴾ أي: ولا قادرين على أن ينتصروا مما هم فيه .

وقوله: ﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أي: وأهلكنا قوم نوح من قبل هؤلاء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ وقد سبقت هذه القصص مبسوطه في سور متعددة والله أعلم.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿فَقِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٥١﴾.

نبه - تعالى - عن خلق العالم العلوي والسفلي بقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ أي: بقوة⁽¹⁾، قاله ابن عباس وغير واحد. ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي: قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هي.

﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ أي: جعلناها فرشاً للمخلوقات ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ أي: فنعم الباسطون نحن.

وقال: ابن عباس - رضي الله عنه - أي: نعم ما وطأت لعبادي⁽²⁾. ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي: صنفين مختلفين أي جعلنا جميع المخلوقات أزواجاً، سماء وأرضاً، ليلاً ونهاراً، والشمس والقمر، والبر والبحر، والإيمان والكفر، والحياة والموت، والشقاوة والسعادة، وعلى هذا.

ولهذا قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: لتعلموا أن الخالق واحد لا شريك له. ﴿فَقِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: ألجأوا واعتمدوا في أموركم عليه.

﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ﴾ أي: لا تشركوا به

(1) جامع البيان (546/21)، ومعالم التنزيل (379/7)، والدر المنثور 686/13، وقوله: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ فيه

عدة أوجه. أحدها: لموسعون في الرزق بالمطر قاله الحسن. الثاني: لموسعون السماء قاله بن زيد. الثالث:

لقادرون على اتساع أكثر من اتساع السماء الرابع: لموسعون بخلق سماء مثلها. النكت والعيون (373/5).

(2) ينظر: أي: الباسطون نحن، قال ابن عباس: نعم ما وطأت لعبادي، معالم التنزيل (379/7)، وتفسير

القرطبي (503/19).

شيئاً. ﴿إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾.

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ ؕ
بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ ﴿٥٢﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنت بِمَلُومٍ ﴿٥٣﴾ وَذَكَرْنَا فِيكَ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ
﴿٥٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٥﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعَمُوا
﴿٥٦﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ
فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

قال - تعالى - مسلماً لنبيه - عليه الصلاة والسلام - : ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي كما قال لك هؤلاء المشركون، كذلك قال المكذبون الأولون لرسولهم.
يعني ما جاءهم من رسول إلا كانوا يقولون هذا ساحرا ومجنون عنادا واستكباراً .

قال تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ ؕ﴾ أي: أوصى بعضهم بعضاً هذه المقالة الألف
فيه للتوبيخ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ﴾ أي: لكن هم قوم طغاة تشابهت قلوبهم فقال:
آخروهم كما قال أولهم.

قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عنهم يا محمد ﴿فَمَا أَنت بِمَلُومٍ﴾
أي: فلا نلومك على ذلك ﴿وَذَكَرْنَا فِيكَ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بما ينتفع بها
القلوب المؤمنة.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: ليقروا بعبادتي
طوعاً أو كرهاً وهذا اختيار ابن جرير (1).

وقيل إلا ليعرفون وقيل أي للعبادة، قال السدي من العبادة ما ينفع ومنها ما لا
ينفع (2) ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴿٧٨﴾﴾ (3) هذا منهم عبادة

(1) ينظر: جامع البيان (554/21)، والنكت والعيون (374/3)، والدر المنثور (688/13).

(2) روى ابن كثير عن السدي قال: "من العبادة ما ينفع، ومنها ما لا ينفع؛ لأن صاحبها مشرك". تفسير السدي (445). وفي معنى آخر: قوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فيه تأويلات أحدها: ليقروا بالعبودية طوعاً وكرهاً: قاله ابن عباس، الثاني: إلا لأجلهم على الشقاء والسعادة قاله زيد بن أسلم. الثالث: إلا ليعرفوني، قاله الضحاك، الرابع: إلا للعبادة وهو الظاهر، وبه قال الربيع بن أنس، والعبادة اسم جامع للأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة التي يحبها الله ويرضاها وعلى هذا فيدخل فيها التوحيد بفروعه. النكت والعيون (375/5).

(3) سورة الزمر الآية/38.

وليس ينفعهم من الشرك.

وقوله: ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ ﴾ أي: أن يرزقوا أحدا من خلقي ولا أن يرزقوا أنفسهم ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴾ أي: أن يطعموا أحداً من خلقي.

وهذا كما جاء في الحديث يقول (استطعمتك فلم تطعمني)⁽¹⁾ أي: لم تطعم عبدي ثم بين أن الرزق هو لا غيره فقال ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ﴾ أي لجميع خلقه ﴿ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ ﴾ أي: هو القوي المقنن الكامل في القوة والقدرة .

قال ابن مسعود: أقراني رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «إني أنا الرزاق ذو القوة المتين» رواه أحمد وأبوداود والنسائي والترمذي وصححه⁽²⁾.

ومعنى الآية أنه خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب.

وأخبر أنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء في جميع الأحوال. فهو خالقهم ورازقهم .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «قال الله ابن آدم تفرغ لعبادتي أملاً صدرك غنى وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك» رواه أحمد والترمذي وحسنه⁽³⁾ .

وفي بعض الكتب الإلهية، يقول الله: «ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب، وتكفلت برزقك فلا تتعب، واطلبنى تجدني، فإن وجدنتي وجدت كل شيء، وإن فتك

(1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، باب الأسماء والصفات، حديث رقم (3033).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (285/6) (80/7) حديث رقم (3741، 3771، 3970)، وأبوداود في سننه، حديث رقم (3993)، والترمذي في سننه، حديث رقم (2940)، والنسائي في سننه، حديث رقم (7707)، صححه الترمذي، ووافقه الألباني في صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2343).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (321/14)، حديث رقم (8696)، والترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، باب من كانت الآخرة همه جاءت الدنيا راغمة، حديث رقم (2468)، وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ألهم بالدينيا، حديث رقم (4107)، وحسنه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3315).

فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء».

﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا ﴾ أي: نصيباً من العذاب.

﴿ مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ ﴾ أي: الذين أهلكوا من الأمم السالفة والذنوب في

اللغة الدلو العظيم المملوء ماء ثم استعمل في الحظ والنصيب.

﴿ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ أو بالعذاب فإنه واقع بهم لا محالة.

﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ يعني: يوم القيامة.

تفسير سورة الطور

وهي مكية

في الصحيحين عن جبير بن معطم⁽¹⁾، قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (يقراً في المغرب ﴿وَالطُّورِ﴾ فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه)⁽²⁾.
وعن أم سلمة⁽³⁾، قالت: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «يصلي إلى جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور» رواه البخاري⁽⁴⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ ١﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ٢ فِي رَقٍ مَّنْشُورٍ ٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ٧ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ٨ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ٩ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ١٠ فَوَيْلٌ لِلْمُكذِّبِينَ ١١ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ١٢ يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً ١٣ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ ١٤ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ١٥ أَصْلَوْهَا فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزِنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

أقسم - تعالى - بمخلوقاته الدالة على قدرته العظيمة أن عذابه واقع بأعدائه، ولا دافع له عنهم، فالطور: هو الجبل الذي يكون فيه أشجار مثل الذي كلم الله عليه

(1) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي، وأمه أم حبيب بنت سعيد وقيل: أم جميل بنت سعيد، كان من أكابر وعلماء النسب، وقدم على النبي - صلى الله عليه وسلم - في فداء أسرى بدر أسلم جبير بين الحديبية والفتح مات في خلافة معاوية سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين الإصابة (462/1).
(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الأذان، باب الجهر في المغرب (1475/4) حديث رقم (3798).
(3) أم سلمة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - هي هند بنت أبي أمية المعروف بزدراك بن المغيرة بن عبد الله بن المخزوم كانت قبله - عليه الصلاة والسلام - عند أبي سلمة بن عبد الأسد بن هلال قيل إنها أول ظعينة دخلت المدينة شرفها الله تعظيماً وتكريماً فهاجرت إلى الحبشة. الاستيعاب (629/1).
(4) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب سورة الطور، حديث رقم (4853).

موسى وأرسل منه عيسى، وما لم يكن فيه شجر لا يسمى طوراً إنما يقال له جبل.
﴿وَكُتِبَ مَسْطُورٍ﴾ قيل: هو اللوح المحفوظ، وقيل: الكتب المنزلة التي يقرأ على الناس جهاراً.

ولهذا قال: ﴿فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ وهو الذي فوق السماء السابعة كعبة لأهلها وهو بحيال الكعبة الأرضية.

كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: في حديث الإسراء بعد مجاوزته السماء السابعة: «ثم رفع بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم»⁽¹⁾، يعني: يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم، وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها ويصلون إليه، والذي في السماء الدنيا يقال له بيت العزة. وروي أن ابن الكواء⁽²⁾ سأل علياً - رضي الله عنه - عن البيت المعمور فقال: (مسجد في السماء يقال له: الضراح، بجمال الكعبة، حرمة في السماء كحرمة البيت في الأرض، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة لا يعودون إليه أبداً) رواه ابن جرير⁽³⁾.

وقوله: ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾﴾ قال علي يعني: السماء⁽⁴⁾، ثم تلى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾⁽⁵⁾، وبه قال غير واحد واختاره ابن جرير⁽⁶⁾، وقيل هو العرش يعني أنه سقف لجميع المخلوقات.

(1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، باب الإسراء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى السموات، حديث رقم (429).
(2) عبد الله بن عمرو البشكوي هو ابن الكواء من رؤوس الخوارج ولم يصح حديثه وله أخبار كثيرة مع علي، وكان يلزمه ويعيبه في الأسئلة وقد رجع عن مذهبه الخوارج وعاود صحبته علي. لسان الميزان (329/3).
(3) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب حديث الكعبة والمسجد الحرام والحرم كله، حديث رقم (3991)، والمطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، باب أخبار الخوارج، حديث رقم (4435)، والطبراني في المعجم الكبير (476/1)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (476/1) حديث رقم (477).
(4) يعني: بالسقف في هذا الموضع السماء وجعلها سقفاً؛ لأنها سما للأرض سماء البيت الذي هو سقفه، جامع البيان (567/21).
(5) سورة الأنبياء الآية/32.
(6) ينظر: تفسير الطبري (567/21).

وقوله: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ قال: الربيع بن أنس⁽¹⁾: هو الماء الذي تحت العرش، الذي ينزل الله منه المطر الذي يحيي به الأجساد في قبورها⁽²⁾.

وقال الجمهور: هو هذا البحر. واختلف في معنى المسجور، قيل المراد أنه يوحد يوم القيامة ناراً كقوله: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾⁽³⁾ أي: أضمرت فتصير ناراً تتأجج محيطة بأهل الموقف⁽⁴⁾، هكذا روي عن علي وابن عباس وجماعة - رضي الله عنهما -.

وقال ابن زيد⁽⁵⁾ إنما سميت البحر مسجوراً لأنه لا يشرب منه ماء ولا يسقى به زرع، وكذلك البحار يوم القيامة.

وقال قتادة: المسجور: المملوء يقال سجرت الأناء إذا ملأته، واختاره ابن جرير، وقيل الفارغ، وقيل المراد بالمسجور المكفوف عن الأرض يغمرها فيغرق أهلها، كما روي عن عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - مرفوعاً (ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات، يستأذن الله أن ينفضخ عليهم، فيكفه الله عز وجل) رواه أحمد⁽⁶⁾.

وقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ هذا هو المقسم عليه ؛ أي: واقع بالكافرين

(1) الربيع بن أنس البكري الحنفي البصري ثم الخراساني، روى عن أنس بن مالك وأبي العالية والحسن البصري وصفوان بن محرز روى عنه أبو جعفر الرازي والأعمش وسليمان التيمي وقال ابن أبي حاتم صدوق وهو أحب إلي من أبي العالية، (ت 139هـ)، تهذيب التهذيب (3/207).

(2) فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: أنه جهنم، رواه صفوان بن يعلى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا الحديث مرسل فإن صفوان هو بن يعلى ابن أمية وهو تابعي مشهور، وأما أبوه فهو صحابي من أصحاب رسول الله الثاني: هو بحر تحت العرش، رواه أبو صالح عن علي - رضي الله عنه - الثالث: هو بحر الأرض وهو الظاهر وهو قول الجمهور. النكت والعيون (5/378). والدر المنثور (13/697)

(3) سورة الانفطار الآية/6.

(4) المسجور: المملوء، يقال: سجرت الإناء إذا ملأته قاله مجاهد والكلبي، وقال أبو العالية: هو اليابس الذي قد ذهب ماؤه ونضب، وقال الربيع بن أنس: المختلط العذب بالملح، معالم التنزيل (7/386). وإنما سمي البحر المسجور؛ لأنه لا يشرب منه ماء ولا يسقى به زرع. تفسير ابن كثير (7/429).

(5) عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العدوي، المتوفي (182 هـ). الإكمال في رفع الارتباب (3/161).

(6) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (1/395)، حديث رقم (303)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة (2/382)، حديث رقم (4392).

﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ أي: ليس له دافع يدفعه عنهم إذا أراد الله بهم ذلك.

روي أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قرأ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ (قرباً لها ربوة عيد منها عشرين يوماً)⁽¹⁾، وقوله: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ قال ابن عباس: أي يتحرك تحريكاً وهو تشققها، وقيل تدور دوراً وتموج بعضها في بعض⁽²⁾ ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ أي: يذهب فيصير هباء منبثاً وتتشقق نشفاً.

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: ويل لهم ذلك اليوم من عذاب الله ونكاله بهم ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ أي: هم في الدنيا يخوضون في الباطل ويتخذون دينهم هزواً ولعباً، ﴿يَوْمَ يُدْعُونَ﴾ أي: يدفعون ويساقون ﴿إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ أي: يدفعون فيها دفعاً هذه النار أي: تقول لهم الزبانية ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ﴾ تقريباً وتوبيخاً ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ هذا توبيخ لهم أيضاً على ما كانوا ينسبون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى السحر الذي يغطي الأبصار ﴿أَصْلَوْهَا﴾ أي: ادخلوها دخول من يغمره في جميع جهاته.

﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾ أي: سواء صبرتم على عذابها أم لم تصبروا لا خلاص لكم منها ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٦﴾
أي: لا يظلم الله أحداً، بل يجازى كلاً بعمله.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ ﴿١٧﴾ فلكهين بما آتاهم ربهم ووقفهم ربهم عذاب الجحيم ﴿١٨﴾ كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون ﴿١٩﴾ متكئين على سرر مصفوفةٍ وزوجاتهم يحور عين ﴿٢٠﴾.

أخبر - تعالى - عن حال السعداء فقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ وذلك

(1) أخرجه السيوطي في الجامع الحديث، (28/28)، باب مسند عمر بن الخطاب، وكنز العمال (589/12) حديث رقم (35832).

(2) فيه سبعة تأويلات بين أقوال المفسرين أحدها: معناه تدور دوراً قاله مجاهد، الثاني: تموج موجاً قاله الضحاك، الثالث: تشقق السماء قاله ابن عباس، الرابع: تجري السماء جرياً، الخامس: تتكفأ بأهلها قاله أبو عبيدة، السادس: تتقلب انقلاباً، السابع: أن السماء هاهنا الفلك، وموره اضطراب نظمه واختلاف سيره قاله ابن بحر، النكت والعيون (380/5)، والدر المنثور (700/13، 701).

بضد ما أولئك فيه من العذاب، ﴿فَكَيْهِينَ﴾ أي: متفكهيين متنعمين بما أتاهم الله من النعيم من أصناف المستلذات ﴿وَوَقَلَهُمُ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ أي: وقد نجاهم الله من عذاب النار، وتلك نعمة مستقلة بذاتها على حداثها مع ما أضيف إليها من دخول الجنة.

وقوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أي: يقال لهم كلوا واشربوا ﴿هَنِيئًا﴾ أي: مأمون العاقبة عن السقم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: هذا بذاك تفضلاً منه وإحساناً، وقوله: ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ أي: موضوعة بعضها إلى جنب بعض.

قال ابن عباس: - رضي الله عنه - أي: السرر في الحجال، كما في الحديث المرفوع (إن الرجل ليتكئء المتكأ مقدار أربعين سنة ما يتحول عنه ولا يمله، يأتيه ما اشتتهت نفسه ولذت عينه) رواه ابن أبي حاتم (1).

﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ أي: وجعلنا لهم قرينات صالحات وأنكحناهم زوجات حسان من الحور العين.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ ﴿١١﴾ وأمددناهم بفكاهة ولحم مما يشتهون ﴿١٢﴾ يتنزعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم ﴿١٣﴾ ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون ﴿١٤﴾ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴿١٥﴾ قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقنا عذاب السموم ﴿١٦﴾ إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم ﴿١٧﴾

أخبر - تعالى - عن فضله وكرمه وامتنانه ولطفه بخلقه، أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يلحقهم بأبائهم في المنزلة، وإن لم يبلغوا عملهم لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه.

ولهذا قال: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فيرفع الناقص في العمل بكامله ولا ينقص ذلك

(1) لم أقف عليه عند ابن حاتم، ووقفت عليه في المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني، باب صفة الجنة أسكننا الله إياها، حديث رقم (4728).

من عمله ومنزلته، كما قال: ﴿وَمَا أَتَيْنَهُمْ﴾ أي: وما نقصنا الآباء من عملهم من شيء.

قال ابن عباس: - رضي الله عنه - مرفوعاً «إن الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كان دونه في العمل لتقريبهم عينه»⁽¹⁾، ثم قرأ هذه الآية.

كما قال في رواية أخرى، أي: والذين أدرك ذريتهم الإيمان فعملوا بطاعتي ألحقتهم بأبائهم إلى الجنة وأولادهم الصغار تلحق بهم، وعن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إذا دخل المؤمن الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده. فيقال له لم يبلغوا درجتك، فيقول: يارب قد عملت لي ولهم فيؤمر بالحاقهم به) رواه الطبراني⁽²⁾.

وعن علي - رضي الله عنه - قال: سألت خديجة⁽³⁾ النبي - صلى الله عليه وسلم - عن والدين ماتا لها في الجاهلية، فقال: رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (هما في النار) فلما رأى الكراهية في وجهها قال: (لو رأيت مكانهما لأبغضتهما) قالت: يا رسول الله فولدي منك؟ قال: (في الجنة) ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإن المشركين وأولادهم في النار) ثم قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ هكذا في مسند أحمد⁽⁴⁾.

وهذا فضله - تعالى - على الأبناء ببركة عمل الآباء، وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الأبناء.

فقد روى أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يارب أنى لي هذه؟»

(1) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (245/7)، حديث رقم (11370)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (647/5)، حديث رقم (2490).

(2) رواه الطبراني في المعجم الكبير (440/11)، حديث رقم (12242)، من طريق عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وقال الشيخ الألباني موضوع في الجامع الصغير وزيادته حديث رقم (1498).

(3) خديجة أم المؤمنين وسيدة نساء العالمين في زمانها أم القاسم ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشية الأسدية أم أولاد الرسول وأول من آمن به وصدقه قبل كل أحد كانت عاقلة دينة مصونة كريمة ماتت قبل الهجرة. سير أعلام النبلاء (109/2).

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (349/2)، حديث رقم (1132)، وأخرجه عبد الله بن أحمد في (مسند أبيه)، (134/1)، من طريق محمد بن فضل عن محمد بن عثمان عن زاذان عن علي، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، حديث رقم (5791).

يقول باستغفار ولدك لك» رواه أحمد بإسناد صحيح⁽¹⁾.

وعنه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» رواه مسلم⁽²⁾.

وقوله: ﴿كُلُّ أَمْرِي بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ لما أخبر عن مقام الفضل وهو درجة الذرية إلى منزلة الآباء من غير عمل أخبر أيضاً عن مقام العدل وهو أنه لا يؤاخذ أحداً بذنب أحد ﴿كُلُّ أَمْرِي بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي مرتهن بعمله لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس سواء كان أباً أو ابناً .

وقوله: ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ﴾ أي: وألحقناهم بفواكه ولحم من أنواع شتى مما يستطاب ويشتهي.

وقوله: ﴿يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي: يتعاطون فيها الكأس من الخمر، ﴿لَا لَعْوُ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ﴾ قال ابن عباس: اللغو الباطل والتأثير الكذب⁽³⁾، أي: لا يتكلمون فيها بكلام هذيان ولا فحش كما يتكلم به الشربة من أهل الدنيا، فزه الله خمر الآخرة عن قذورات خمر الدنيا وأذاها فنفى عنها كما تقدم صداع الرأس ووجع البطن وإزالة العقل بالكلية، وأخبر بحسن منظرها وطيب طعمها.

كما قال: ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾⁽⁴⁾.

وقوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ﴾ أخبر عن خدمهم في الجنة كأنهم اللؤلؤ الرطب المكنون في حسنهم ونظافتهم.

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (357/16)، حديث رقم (10611)، وأبو الفضل في الجامع الصحيح للسند والمسانيد، باب الدعاء للوالدين بعد الموت، حديث رقم (1617) وصححه.

(2) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، الوصية، باب ما يلحق من الثواب بعد الموت، حديث رقم (1631).

(3) ينظر: الدر المنثور (705/13)، وفي معنى آخر في قوله: ﴿لَا لَعْوُ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ﴾ وفيها أربعة أوجه: أحدها: لا باطل في الخمر ولا مأمم، قاله ابن عباس وقتادة، وإنما ذلك في الدنيا من الشيطان. الثاني: لا كذب فيها ولا حلف، قاله الضحاك، الثالث: لا يتساقون عليها ولا يؤثم بعضهم بعضاً، قاله مجاهد، الرابع: لا لغو في الجنة ولا كذب، وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً، النكت والعيون (383/5).

(4) سورة الصافات الآية/46.

كما قال: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾ الآية ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي: أقبلوا يتحادثون ويتساءلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا وهذا كما يتحادث أهل الشراب على الشراب إذا أخذ فيهم الشراب بما كان من أمرهم قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿١٨﴾ أي: قد كنا في دار الدنيا ونحن بين أهلينا خائفين من ربنا مشفقين من عذابه وعقابه .

﴿فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ فتصدق علينا وأجارنا مما نخاف، والسموم اسم من أسماء جهنم ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ أي: نتضرع إليه فاستجاب لنا وأعطانا سؤالنا ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ﴾ أي: اللطيف الصادق بما وعد ﴿الرَّحِيمُ﴾ ﴿١٨﴾ بالمؤمنين. روي أن عائشة - رضي الله عنها - قرأت هذه الآية في الصلاة فقالت (اللهم منّ علينا وقنا عذاب السموم إنك أنت البر الرحيم). رواه ابن أبي حاتم. (1)

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢١﴾﴾ أم يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴿٢٢﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٢٣﴾ أم تَأْمُرُهُمْ أَحْلَمُهُمْ بِهَذَا أم هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٢٤﴾ أم يَقُولُونَ تَقْوَلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٥﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾

أمر - تعالى - رسوله - عليه الصلاة والسلام - بتبليغ رسالته إلى عباده ويذكرهم بما أنزل عليه، ثم بما يرميه به أهل البهتان والفجور.

فقال: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ أي: لست بحمد الله بكاهن كما يقوله الجهلة من كفار قريش .

والكاهن هو الذي يأتيه الرائي من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾ وهو الذي يتخبطه الشيطان من المس.

(1) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (6/120)، والبيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم (2092)، والسيوطي في الدر المنثور (13/707)، وابن أبي شيبة في مصنفه (2/211).

ثم قال منكرًا عليهم: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ ﴾ أي: ننتظر به قوارع الدهر، والمنون الموت، يعني نصبر ونترصد عليه حتى يأتيه الموت فنستريح منه ومن شأنه، قال تعالى: ﴿ قُلْ تَرَبَّصُوا ﴾ أي: انتظروا فإني منتظر معكم، وستعلمون لمن تكون العاقبة والنصرة، في الدارين .

قال ابن عباس: - رضي الله عنه- أن قريشاً لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي - صلى الله عليه وسلم- قال قائل منهم: احبسوه في وثاق وتربصوا به المنون حتى يهلك، كما هلك من كان قبله من الشعراء زهير والنابغة، إنما هو كأحدهم، فأنزل الله ذلك من قولهم: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴾⁽¹⁾.

ثم قال: ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَمُهُمْ ﴾ أي: عقولهم تأمرهم بهذا الذي يقولونه فيك من الأقوال الباطلة التي يعلمون في أنفسهم أنها كذب وزور ﴿ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ أي: لكن هم قوم ضلال بعيد معاندون، فهذا هو الذي يحملهم على ما قالوه فيك. وقوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ﴾ أي: اختلقه وافتراه من عند نفسه يعنون القرآن، قال الله: ﴿ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: بالقرآن ولا يرجعون عن كفرهم الذي يحملهم على هذه المقالة، ثم ألزمهم الحجة .

فقال: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ في قولهم افتراه فليأتوا بمثل ما جاء به محمد من هذا القرآن، فإنهم لو اجتمعوا هم والخلائق ما جاءوا بمثله ولا بعشر سور من مثله.

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾^(٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعَهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ

(1) ينظر: جامع البيان (593/21)،

كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ هذا المقام في إثبات الربوبية، وتوحيد الألوهية.

فقال: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ أي: أوجدوا من غير موجد؟ أم أوجدوا أنفسهم؛ أي: لا هكذا ولا ذاك، بل الله الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً.

في الصحيحين عن جبير بن مطعم⁽¹⁾ قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ في المغرب والطور فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ﴾ كاد قلبي أن يطير⁽²⁾ وكان سماعه هذه من هذه السورة من جملة ما حملة على الدخول في الإسلام بعد وقعة بدر.

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ﴾ أي: أحم خلقوا السموات والأرض؟ وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله وهم يعلمون أنه الخالق وحده لا شريك له، لكن عدم إيقانهم به يحملهم على ذلك.

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ أي: أحم يتصرفون في الملك ويبيدهم مفاتيح الخزائن ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ﴾ أي: المحاسبون للخلائق، ليس الأمر كذلك، بل الله هو المالك المتصرف الفعال لما يريد.

وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أي: مراقبة إلى الملائكة الأعلى ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي: فليأت الذي يستمع لهم بحجة ظاهرة على صحة ما هم فيه من الفعال والمقال أي: ليس لهم سبيل إلى ذلك فليسوا على شيء ولا لهم دليل. ثم قال منكرًا عليهم فيما نسبوه إليه من البنات وجعلهم الملائكة إناثاً، واختيارهم الذكور لأنفسهم على الإناث، بحيث إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، هذا وقد جعلوا الملائكة بنات الله وعبدوهم مع الله.

(1) سبق ترجمته ص 75 من هذه الرسالة.

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب سورة الطور، حديث (4854).

فقال: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾ وهذا تهديد ووعيد ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ أي: أجرة على بلاغك إياهم رسالة الله؛ أي: لست تسألهم على ذلك شيئاً ﴿فَهُمْ مِّنْ مَّعْرَمٍ مُّتَّقِلُونَ﴾ أي: فهم من أدنى شيء يتبرمون ويتقلهم ويشق عليهم ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ أي: ليس الأمر كذلك فإنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب إلا الله ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ يعني: أم يريد هؤلاء بقولهم هذا فيك، وفي الدين غرور الناس والكيد بك وبأصحابك، وبال كيدهم إنما يرجع على أنفسهم ﴿أَمْ لَهُمْ آلَةٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ هذا إنكار شديد على المشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد مع الله، ثم نزه نفسه الكريمة عما يقولون ويفترون فقال: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ ٤٤ ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ ٤٥ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ٤٦ ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٤٧ ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ ٤٨ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾ ٤٩

أخبر - تعالى - عن المشركين المعاندين بالمكابرة المحسوسة.

فقال: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ أي: عليهم يعذبون به لما صدقوا، ولا أيقنوا بل يقولون: هذا سحاب مركوم؛ أي متراكم بعضه على بعض يسقينا.

قال تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ﴾ أي: دعهم يا محمد ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ أي مكرهم شيئاً ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: لا ينفعهم من العذاب.

ثم قال: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي قبل ذلك في الدنيا كقوله ﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ٥١ الآية.

ولهذا قال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: نعذبهم في الدنيا ونبئليهم فيها بالمصائب لعلهم يرجعون ويتوبون فلا يفهمون ما يراد بهم، بل إذا جلى عنهم ما

كانوا فيه، عادوا إلى أسوأ ما كانوا عليه كما جاء في بعض الأحاديث (إن المنافق إذا مرض وعوفي مثله في ذلك كمثل البعير، لا يدري فيما عقلوه ولا فيما أرسلوه).⁽¹⁾

وقوله: ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ أي: اصبر على أذاهم ولا تبالهم فإنك بمرأى منا وتحت كلاءتنا والله يعصمك من الناس.

وقوله: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ قال الضحاك: وغير واحد، أي: إلى الصلاة سبحانه اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك⁽²⁾. وقد روى مسلم في صحيحه عن عمر أنه كان يقول: «هذا في ابتداء الصلاة» رواه أحمد وأهل السنن⁽³⁾.

عن أبي سعيد - رضي الله عنه - وغيره عن النبي - صلى الله عليه وسلم - «أنه كان يقول ذلك»⁽⁴⁾.

وقال أبو الجوزاء⁽⁵⁾: أي: حين تقوم من نومك من فراشك⁽⁶⁾، واختاره ابن جرير مستظهاً بما رواه، عبادة بن الصامت⁽⁷⁾ - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب ذكر ما في الأوجاع والأمراض (179/7) حديث رقم (9916)، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير (25/11) حديث رقم (4578).

(2) ينظر: جامع البيان (606/21)، والدر المنثور (713/13).

(3) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الصلاة، باب حجة من قال: (لا يجهر بالبسملة) (52/1)، حديث رقم (399).

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (51/18) حديث رقم (11473)، وأبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك رقم (775)، والترمذي في سننه، كتاب الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة، حديث رقم (242)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب الافتتاح، باب نوع آخر من الذكر (132/2)، وابن ماجه سننه، كتاب الإقامة، باب افتتاح الصلاة، حديث رقم (804)، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (708/13) حديث رقم (6323).

(5) أبو الجوزاء أوس بن عبد الله الربيعي البصري من كبار العلماء حدث عن عائشة وابن عباس وعمرو بن العاص روى عنه، أبو الأشهب العطاردي وعمرو بن مالك النكري وكان أحد العباد الذين قاموا على الحجاج سير أعلام النبلاء (421/7).

(6) ينظر: تفسير ابن كثير (439/7).

(7) عبادة بن الصامت بن قيس بن فهر بن الخزرج الإمام القدوة أبو الوليد الأنصاري أحد النقباء ليلة العقبة، سكن بيت المقدس، حدث عنه أبو أمامة الباهلي شهد المشاهد كلها مع النبي وأحد الذين جمعوا القرآن في زمن النبي مات ببيت المقدس. (ت35هـ)، سير أعلام النبلاء (5/2، 6)، والإصابة (27/4)، وشذرات الذهب (200/1).

عليه وسلم - أنه قال: «من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم قال: رب اغفر لي - أو قال: ثم دعا - استجيب له، فإن عزم فتوضاً ثم صلى قبلت صلاته» رواه البخاري وغيره⁽¹⁾.

وقال مجاهد وعطاء⁽²⁾: أي حين تقوم من كل مجلس إن كنت أحسنت أزدت خيراً، وإن كنت غير ذلك كان هذا كفارة له⁽³⁾.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «من جلس في مجلسه فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك» رواه الترمذي وصححه والنسائي⁽⁴⁾ في عمل اليوم والليلة

وقوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي: اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة في الليل كما قال: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾⁽⁵⁾.

وقوله: ﴿وَإِذْ بَرَّ الْأُنْجُومَ﴾⁽⁶⁾ قد سبق أنها الركعتان اللتان قبل صلاة الفجر فإنهما مشروعتان عند إدبار النجوم؛ أي: عند جنوحها للغيبوبة.

وقد روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً: (لا تدعوها وإن

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، باب فضل من تعار من الليل فصلى (387/1)، حديث رقم (1103).

(2) عطاء بن أبي رباح من مولدي الجند نشأ بمكة وعلم الكتابة بها، وكان مولى لبني فهر يكنى بأبي محمد وكان أسود وأعمور وأفطس وكان عالماً بالقرآن ومعانيه وهو ابن ثمانين توفي سنة خمس عشرة ومائة، طبقات المفسرين (14/1).

(3) ينظر: الدر المنثور (711/13)، وتفسير الإمام مجاهد (624)، وتفسير الضحاك (801).

(4) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من مجلسه (423/7)، رقم (3429)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا جلس في مجلس كثر فيه لغطه، رقم (1023)، وصححه الترمذي ووافقه الألباني في صحيح سنن الترمذي، رقم (2433).

(5) سورة الإسراء الآية/79.

طردتكم الخيل) رواه أبو داود⁽¹⁾.

وفي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: لم يكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «على شيء من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتي الفجر» وفي لفظ لمسلم: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها»⁽²⁾.

(1) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في تخفيفهما (ركعتي الفجر) (1487)، حديث رقم (1260)، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير (360/29)، حديث رقم (14360).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح التهجد، باب تعاهد ركعتي الفجر ومن سماهما تطوعاً، حديث رقم (1169)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب ركعتي الفجر، حديث رقم (725).

تفسير سورة النجم

وهي مكية

في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: (أول سورة أنزلت فيها سجدة ﴿وَالنَّجْمِ﴾ فسجد فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسجد من خلفه إلا رجلاً رأبته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأبته بعد ذلك قتل كافرًا⁽¹⁾، قال البخاري هو أمية بن خلف⁽²⁾ وقد جاء في غير هذه الرواية أن ذلك الرجل عتبة بن ربيعة⁽³⁾، والله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝
إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝﴾.

قال الشعبي⁽⁴⁾ وغيره: الخالق يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا ينبغي أن يقسم إلا بالخالق) رواه ابن أبي حاتم⁽⁵⁾⁽⁶⁾.

فقوله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ قال مجاهد: يعني به الثريا إذا سقطت مع الفجر⁽⁷⁾، وهكذا عن ابن عباس وغيره واختاره بن جرير وقيل هو الزهرة .

- (1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، باب سورة النجم (1842/4) حديث رقم (4582)، ومسلم في صحيحه، باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة (234/5) حديث رقم (1905).
- (2) أمية بن خلف بن وهب من بني لؤي، أحد جبابرة قريش في الجاهلية ومن ساداتهم، أدرك الإسلام ولم يُسلم، وهو الذي عذب بلالاً الحبشي في بداءة ظهور الإسلام، وأسر عبد الرحمن بن عوف يوم بدر فرآه بلال فصاح بالناس يحرضهم على قتله فقتلوه، الأعلام للزركلي (22/2). (لم أعثر على ترجمته إلا في كتاب الأعلام للزركلي) .
- (3) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف أخو شيبعة قتله حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - يوم بدر كافرًا، تهذيب الأسماء (448/1).
- (4) الشعبي: هو عامر بن شراحيل الإمام علامة العصر أبو عمرو الهمداني. ويقال: هو عامر بن عبد الله وكانت أمه من سبي جلولاء مولده في إمرة عمر بن الخطاب، سير أعلام النبلاء (295/4)
- (5) هو عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران أبو محمد التميمي الحنظلي، الإمام بن الإمام حافظ الري وابن حافظها كان بحراً في العلم رحل مع أبيه صغيراً وبنفسه كبيراً وسمع من أبيه وابن وارة وأبا زرعة، روى عنه الحسين بن التميمي وعلى بن عبد العزيز من مصنفاته تفسير في أربع مجلدات وكتاب الجرح والتعديل مات سنة سبع وعشرين وثلاثمائة. طبقات المفسرين (326/3).
- (6) لم أقف عليه عند ابن أبي حاتم، ورواه ابن كثير في تفسيره (442/7).
- (7) أي: ذلك النجم الذي (هوى)، هو لهذه النبوة التي حدثت، وفي قوله (إذا هوى) أقاويل منها النجوم إذا رقي إليها الشياطين، وإذا سقط، وإذا ارتفع أو نزل. النكت والعيون (390/5)، وفي معنى آخر أقسم بالثريا أو بخنس النجوم إذا غرب أو انتثر يوم القيامة ، مدارك التنزيل (389/3).

وقال الضحاك: ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ إذا رمى به الشياطين عند استراقهم السمع⁽¹⁾.

وعن مجاهد: يعني القرآن إذا نزل،⁽²⁾ وهذه الآية كقوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْجِعِ
النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾
لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾⁽³⁾.

وقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ هذا هو المقسم عليه وهو الشهادة
للرسول - عليه الصلاة والسلام - بأنه راشد تابع للحق ليس بضال.

والضال هو الجاهل الذي يسلك على غير طريق بغير علم⁽⁴⁾، والغاوي هو العالم
بالحق، العادل عنه إلى غيره فنزه الله رسوله وشرعه، عن مشابهة أهل الضلال
كالنصارى وطرائق اليهود. وهي علم الشيء وكتمانه، والعمل بخلافه، بل هو - صلى
الله عليه وسلم - وما بعثه الله به من الشرع المطهر في غاية الاستقامة والاعتدال،
ولهذا قال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ أي: لا يقول قولاً عن هوى وغرض نفساني ﴿إِنْ
هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ أي: إنما يقول ما أمر به يبلغه إلى الناس كاملاً موفوراً عن
غير زيادة ولا نقصان.

كما روى أبو أمامه⁽⁵⁾ أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول:
«ليدخل الجنة بشفاعتي رجل ليس بنبي مثل الحيين - ربيعة ومضر - فقال رجل:

(1) فقد روى عكرمة عن ابن عباس: أنه الرجوع من النجوم، معالم التنزيل (399/7).

(2) يعني: الثريا إذا سقط مع الفجر، تفسير الإمام مجاهد (625)، والعب تسمى الثريا نجماً سته منها ظاهرة
وواحدة خفي يمتحن الناس بهم أبصارهم، تفسير القرطبي (6/20).

(3) سورة الواقعة الآية/80 .

(4) يعني به محمد - صلى الله عليه وسلم - وفيه وجهان، أحدهما: ما ضل عن قصد الحق ولا غوى في اتباع
الباطل، الثاني: ما ضل بارتكاب الضلال، وما غوى بأن خاب سعيه، النكت والعيون (390/5). وفي معنى
لآخر بقوله (وما غوى) وما صار غوياً، ولكنه رشيد سديد، يقال: غوى يغوي من الغي وهو غاوي وغوي يغوي
من اللين إذا بشم، جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (8/22).

(5) أبو أمامة الباهلي واسمه صدى بن عجلان وجعله بعضهم من بني سهم من باهلة سكن مصر ثم انتقل منها
فسكن حمص من الشام ومات بها من المكثرين من الرواية وأكثر حديثه عند الشاميين توفي أبو أمامة سنة
إحدى وثمانين وقيل: ست وثمانين، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام، أسد الغابة (139/3).

يارسول الله أما ربيعة من مضر؟ قال: (إنما أقول ما أقول) رواه أحمد⁽¹⁾.

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - قال: كنت أكتب كل شيء سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أريد حفظه فنهنتي قريش فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بشر يتكلم في الغضب. فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: (اكتب فو الذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق) رواه أحمد وأبو داود⁽²⁾، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قالوا يا رسول الله إنك تلعننا قال: (إني لا أقول إلا حقاً) رواه أحمد والترمذي⁽³⁾.

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴿١١﴾ أَفَتُمَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةَ أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ .

أخبر - تعالى - عن رسوله محمد المصطفى - صلى الله عليه وسلم - أنه علمه الذي جاء به إلى الناس ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ وهو جبريل - عليه السلام - .

كما قال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٦﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿١٧﴾﴾⁽⁴⁾ وقال ههنا ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي: ذو قوة، قاله مجاهد وغيره⁽⁵⁾، وقال ابن عباس: ذو منظر

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (257/5)، حديث رقم (22269)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (9494).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (57،58/11)، حديث رقم (65109)، وأبو داود في سننه، كتاب العلم، باب في كتابة العلم، حديث رقم (3646)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (3099).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (185/14)، حديث رقم (8481)، والترمذي في سننه، باب ما جاء في المزاح، حديث رقم (2121)، وصححه الترمذي ووافقه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، حديث رقم (1990).

(4) سورة التكوير، الآية/21.

(5) فيه خمسة أوجه أحدها: ذو منظر حسن، قاله ابن عباس، الثاني: ذو غناء، قاله الحسن، الثالث: ذو قوة، قاله مجاهد، الرابع: ذو صحة في الجسم وسلامة في الأفاق، الخامس: ذو عقل قاله الأنباري. النكت والعيون (391/5).

حسن وقوة شديدة⁽¹⁾.

وقوله: ﴿فَأَسْتَوَى﴾ يعني: جبريل استوى في الأفق الأعلى، وهو الذي يأتي منه الصبح والنهار، وقال مجاهد: هو مطلع الشمس⁽²⁾.

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «لم ير جبريل في صورته إلا مرتين: أما واحدة فإنه سأله أن يريه في صورته فسدّ الأفق، وأمّا الثانية فإنه كان معه حيث سعد فذلك قوله: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾» رواه ابن أبي حاتم⁽³⁾.

وذهب ابن جرير خاصة إلى أن المعنى فاستوى؛ أي: هذا الشديد القوى ذو المرة هو ومحمد - صلى الله عليه وسلم -⁽⁴⁾ بالأفق الأعلى؛ جميعاً وذلك ليلة الإسراء ولم يوافق أحد على ذلك.

وعن عبد الله قال: رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سدّ الأفق يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم» انفرد به أحمد⁽⁵⁾.

(1) يعني: قوّة وشدة في خلقه يعني جبريل قاله ابن عباس ذو مرة يعني منظر حسن، وقال مقاتل: ذو خلق طويل حسن، معالم التنزيل (400/7)، مدارك التنزيل (390/3).

(2) فيه تفصيل أحدها: فاستوى جبريل في مكانه قاله سعيد بن جبير، الثاني: قام جبريل على صورته التي خلق عليها لأنه كان لا يظهر له قبل ذلك. الثالث: فاستوى القرآن في صدره أي: أنه اعتدل في قوّته وفي رسالته النكت والعيون (392/5)، وفي معنى آخر: في قوله: (فاستوى) أي: فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي. معالم التنزيل (390/3).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (411/6)، حديث رقم (3864)، وأبو الفضل في المسند الجامع (201/28)، حديث رقم (9287) وصححه، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (225/10).

(4) قوله: (فاستوى) أي: هذا الشديد القوي وصاحبكم محمد بالأفق الأعلى، وذلك لما أسري برسول الله - صلى الله عليه وسلم - استوى هو وجبريل - عليهما السلام - بمطلع الشمس الأعلى وعطف الأعلى وعطف بقوله (وهو) على ما في قوله فاستوى من ذكر محمد - صلى الله عليه وسلم - جامع البيان (12/22).

(5) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، باب إذا قال أحدكم آمين، حديث رقم (3060)، بلفظ «أنه رأى جبريل له ستمائة جناح»، ومسلم في صحيحه، باب في ذكر سدرة المنتهى، حديث رقم (450)، بلفظ «رأى جبريل له ستمائة جناح»، والإمام أحمد في مسنده (294/6)، حديث رقم (3748)، و أبو الفضل في المسند الجامع (202/28)، حديث رقم (9288).

وقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ أي: ثم اقترب جبريل إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - لما هبط عليه إلى الأرض حتى كان بينه وبين محمد - عليه الصلاة والسلام - قاب قوسين أي: بقدرهما إذا مدّا، قاله مجاهد وقتادة والتدلي هو النزول على الشيء حتى يقرب منه⁽¹⁾ وقد قيل: إن المراد بذلك بعد ما بين وتر القوس إلى كبدها.

وقوله: ﴿أَوْ أَدْنَى﴾ أي: أقرب وهذه الصيغة تستعمل في اللغة لإثبات المخبر عنه ونفي ما زاد عليه، كقوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾⁽²⁾ أي: ما هي بألين من الحجارة بل هي مثلها أو يزيد عليها في الشدة والقوة، وهكذا هذه الآية.

وهذا الذي قيل من المقترّب الداني الذي صار بينه وبين محمد - صلى الله عليه وسلم - جبريل - عليه السلام - وهو قول عائشة وابن مسعود وأبي ذر وأبي هريرة - رضي الله عنهم - روه مسلم في صحيحه⁽³⁾.

عن ابن عباس - رضي الله عنه - أنه قال: «رأى محمد ربّه بفؤاده مرتين فجعل هذه إحداهما»⁽⁴⁾، وجاء في حديث شريك بن أبي نمر⁽⁵⁾.

عن أنس - رضي الله عنه - في حديث الإسراء: «ثم دنا الجبار ربّ العزّة

(1) فيه أقاويل: أحدها: قيد قوسين، قاله قتادة والحسن، الثاني: أنه بحيث الوتر من القوس، قاله مجاهد، الثالث: من مقبضها إلى طرفها، قاله عبد الحارث، الرابع: قدر ذراعين قاله السدي، فيكون ألقاب، عبارة عن القدر والقوس عبارة عن ذراع، ثم اختلفوا في المعنى بهذا الداني على ثلاثة أوجه. أحدها أنه جبريل من ربه، قاله مجاهد وهو قول ابن عباس، الثاني: أنه محمد - صلى الله عليه وسلم - من ربه، قاله محمد بن كعب، الثالث: أنه جبريل من محمد - صلى الله عليه وسلم - النكت والعيون (393/5).

(2) سورة البقرة الآية/73.

(3) ﴿وَهُوَ بِالْأَفُقِ الْأَعْلَى﴾، وذلك أن جبريل كان يأتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في صورة الأدميين كما كان يأتي النبيين فسأله رسول الله أن يريه نفسه على الصورة التي جبل عليها فأراه نفسه مرتين معالم التنزيل (401/7).

(4) أخرجه مسلم في الصحيح الجامع، باب معنى قول ولقد رآه نزلة، حديث رقم (455).

(5) شريك بن عبدالله بن أبي نمر، أبو عبدالله المدني، صدوق، يخطئ من الخامسة، مات في حدود أربعين ومائة، تقريب التهذيب، لابن حجر ص 317.

فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى»⁽¹⁾، ولهذا تكلم كثير في متن هذه الرواية فإن صح فهو محمول على وقت آخر وقصة أخرى؛ لأنها تفسير لهذه الآية، فإن هذه كانت ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الأرض لا ليلة الإسراء، ولهذا قال ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ فهذه هي ليلة الإسراء، والأولى كانت في الأرض، وعن سليمان الشيباني⁽²⁾ قال: سألت زراً عن قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿١٥﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٦﴾﴾

قال: حدثنا عبد الله أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - : «رأى جبريل - عليه السلام - له ستمائة جناح» رواه البخاري⁽³⁾.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان أول شأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «أنه رأى في منامه جبريل بأجساد، ثم إنه خرج ليقضي حاجته فصرخ به جبريل يا محمد يا محمد فنظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يميناً وشمالاً فلم ير شيئاً ثلاثاً، ثم رفع رأسه فإذا هو ثاني رجله على الأخرى على أفق السماء فقال: يا محمد جبريل جبريل، يسكنه فهرب النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى دخل في الناس فلم ير شيئاً»⁽⁴⁾.

ثم خرج من الناس ثم نظر فرآه فدخل في الناس فلم ير شيئاً ثم خرج فنظر فرآه، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٥﴾﴾ يعني جبريل إلى محمد ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ قيل ألقاب نصف أصبع وقيل ذراعين كان بينهما.

وقال ابن مسعود - رضي الله عنه - ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ لقد رأى

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التوحيد، باب وقوله ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ ، حديث رقم (7079).

(2) هو إسحاق بن سليمان بن أبي سيمان الشيباني وسليمان والده، وهو أبو اسحاق الشيباني وقيل غيره، روى عن أبيه، وروى عنه أبو أسامة وعقبة بن المغيرة . تهذيب التهذيب (206/1).

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، التفسير، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة (1181/3) حديث رقم (3060).

(4) لم أقف على تخريجه.

(5) التلوي هو النزول بقرب الشيء، وقد جاء التقدير بالقوس، والرمح، والسوط، والذراع، والباع، ومنه: لا صلاة حتى ترتفع الشمس مقدار رمحين. معالم التنزيل (390/3).

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «جبريل في حلة من رفراف قد ملأ ما بين السماء والأرض» رواه ابن جرير (1).

فعلى هذا يكون قوله: ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ معناه فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى، أو فأوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى بواسطة جبريل. وعن سعيد بن جبير (2) - رضي الله عنه - قال: أوحى الله إليه ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾ (3).

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ (4) وقال غيره إن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ (5) أفتمروا به على ما يرى ﴿ قد سبق عن ابن عباس (أنه رآه بفؤاده مرتين) (5)، وعن ابن مسعود وغيره أنه رآه مطلقاً وهو محمول على المقيدة بالفؤاد، (6) قال الشيخ رحمه الله ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب فإنه لا يصح في ذلك شيء من الصحابة.

وقول البغوي في تفسيره يعني: المعالم (7) وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه وقول أنس والحسن وعكرمة وفيه نظر، والله أعلم.

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة النجم، حديث رقم (3594)، والنسائي في سننه، كتاب التفسير، باب سورة النجم، حديث رقم (11541)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، حديث رقم (3283)

(2) سعيد بن جبير بن هشام الوالبي مولاهم الإمام الحافظ المفسر الشهيد أبو محمد ويقال: أبو عبد الله الوالبي مولاهم أحد الأعلام، روى عن ابن عباس كان يدعوا (اللهم إني أسألك صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك (ت 95 هـ) سير أعلام النبلاء (359/7).

(3) سورة الضحى الآية/6

(4) سورة الشرح الآية/4.

(5) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، باب معنى قول الله - عز وجل - ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾، حديث رقم (176).

(6) وفي معنى: الفؤاد قولان: أحدهما أراد صاحب الفؤاد فعبير عنه بالفؤاد؛ لأنه قطب الجسد وقوام الحياة. الثاني: أنه أراد نفس الفؤاد لأنه محل الاعتقاد.

(7) وقول البغوي في هذه الآية، ما كذب قلب محمد - صلى الله عليه وسلم - ما رأى بعينه تلك الليلة، بل صدقه وحققه، وقرأ الآخرون بالتخفيف، أي: ما كذب فؤاد محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي رأى بل صدقه، واختلفوا في الذي رآه فقال قوم: رأى جبريل وهو قول ابن مسعود وعائشة. معالم التنزيل (403/7)

وعن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهم - قال: رأى محمد ربه، قلت أليس الله يقول:

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾⁽¹⁾ قال (ويحك ذلك إذا تجلى بنوره، الذي هو نوره وقد رأى ربه مرتين) رواه الترمذي⁽²⁾ وقال: حسن غريب. وروي أيضاً أن ابن عباس لقي كعباً بعرفة فسأله عن شيء، فكبر حتى جاوبته الجبال، فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم .

فقال كعب: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى، فكلم موسى مرتين وراه محمد مرتين.

وقوله: ﴿أَفْتُمِرُونَ عَلَىٰ مَا يُرَىٰ﴾ أي: أفتجادلونه جدالاً ترمون به دفعه عما رآه وعلمه، وكان ذلك حين رجع من الإسراء، وقال مسروق⁽³⁾: دخلت على عائشة - رضي الله عنها - فقلت هل رأى محمد ربه، فقالت: لقد تكلمت بشيء فُفَّ له شعري فقلت: رويداً، ثم قرأت ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾، فقالت: أين تذهب بك إنما هو جبريل، من أخبرك أن محمداً رأى ربه أو كتم شيئاً مما أ مر به، أو كان يعلم الخمس⁽⁴⁾، التي قال ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ أَلْعَيْتَ﴾⁽⁵⁾ فقد أعظم الفرية ولكنه رأى جبريل، لم يره في صورته إلا مرتين (مرة عند سدرة المنتهى، ومرة في أجياد وله ستمائة جناح قد سدّ الأفق) روى البخاري نحوه⁽⁶⁾ .

وعن أبي ذرقال: سألت النبي - صلى الله عليه وسلم - هل رأيت ربك فقال:

(1) سورة الأنعام الآية/103.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، باب سورة النجم، حديث رقم (3590)، وقال أبو عيسى غريب من هذا اللفظ، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، حديث رقم (3279).

(3) مسروق بن أوس بن مسروق التميمي، ثم الحنظلي ويقال: أوس بن مسروق، والأول الصواب غزا في خلافة عمر بن الخطاب وحدث عن موسى الأشعري أنه سمع يحدث بحديث الأصابع وذكر ابن حبان أنه من ثقات التابعين. الإصابة (293/6).

(4) فيه ثلاثة أقاويل، أحدها: ما غشي السدرة من فراش الذهب، قاله ابن مسعود، الثاني: أنه رأى جبريل وقد سد الأفق بأجنحته قاله ابن مسعود، الثالث: ما رآه حين نامت عيناه ونظر بفؤاده، قاله الضحاك.

(5) سورة لقمان الآية/34.

(6) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، باب سورة النجم، حديث رقم (4577) بلفظ (قد سد الأفق)، والترمذي في سننه، كتاب التفسير باب سورة النجم، حديث رقم (3278).

(نور أتى أراه)⁽¹⁾ وفي رواية (رأيت نوراً) رواه مسلم⁽²⁾.

وقال ابن عباس: (أتعجبون أن تكون الخلعة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد - صلى الله عليه وسلم -) رواه النسائي⁽³⁾.

وقوله ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءآيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جبريل على صورته التي خلقه الله عليها، وكانت ليلة الإسراء، وقد سبق حديث المعراج في سورة سبحان، فابن عباس يثبت الرؤية ليلة الإسراء مستنداً بهذه الآية،⁽⁴⁾ وتابعه جماعة من الخلف والسلف، وخالفه جماعات من الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعون وغيرهم.

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينتثر من ريشه التهاويل الدر والياقوت) رواه أحمد⁽⁵⁾.

وقوله: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ قال ابن عباس: جنة يأوي إليها جبريل والملائكة، وقيل يأوي إليها أرواح الشهداء⁽⁶⁾.

وقوله: ﴿إِذْ يَعْشَى الْسَّدْرَةَ مَا يَعْشَى﴾ أي: غشيتها الملائكة مثل الغريان وغشيتها نور الرب، وغشيتها ألوان كما في حديث المعراج ما أدري ما هي؟

قال ابن مسعود في هذه الآية: فراش من ذهب.

(1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب في قوله - عليه السلام - نور أتى أراه، حديث رقم (461).

(2) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب في قوله - عليه السلام - (نور أتى أراه) حديث رقم (462).

(3) أخرجه النسائي في سننه، كتاب التفسير، باب سورة النجم، حديث رقم (11539)، وصححه الألباني في ظلال الجنة، حديث رقم (442).

(4) وهو أنه ما رواه طلحة عن مرة عن ابن مسعود قال: لما أسري بالنبى - صلى الله عليه وسلم - انتهى إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة، وإليها ينهي ما يعرج من الأرواح فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها الخبر. النكت والعيون (398/5).

(5) أخرجه الإمام أحمد مسنده (404/7)، حديث رقم (4396)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، حديث رقم (3361).

(6) والصواب الذي انتهى إليه الطبري أن يقال: إن معنى المنتهى هو الانتهاء، فكأنه قال عند سدرة الانتهاء، لانتهاء علم كل عالم من الخلق إليها. جامع البيان (35/22). وفي معنى آخر: أن الذي يغشاها فراش من ذهب قاله ابن مسعود، وابن عباس أنهم الملائكة، والضحاك: أنه نور رب العزة.

قال أبوهريرة - رضي الله عنه - فغشيها نور الخالق، وغشيتها الملائكة وكلمه عند ذلك وقال له سل⁽¹⁾.

وقال مجاهد: كان أغصان السدرة لؤلؤاً يا قوتاً، أو زبرجد فرآها محمد ورأى ربه بقلبه⁽²⁾.

وقال ابن يزيد: قيل: يارسول الله؛ أي: شيء رأيت يغشي تلك السدرة؟ قال: رأيت يغشيها فراش من ذهب، ورأيت على كل ورقة من ورقها ملكاً قائماً يسبح لله.

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ قال ابن عباس: ما ذهب يميناً ولا شمالاً⁽³⁾ ﴿وَمَا طَغَى﴾ ما جاوز ما أمر به وهذه صفة عظيمة في الثبات والطاعة، فإنه ما فعل إلا ما أمر به، ولا سأل فوق ما أعطي وما أحسن ما قال الشاعر:

رأى جنة المأوى وما فوقها ولو * * رأى غيره ما قد رآه لتأها⁽⁴⁾
 وقوله: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾، كقوله: ﴿لِئُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾⁽⁵⁾، أي الدالة على قدرتنا وعظمتنا، وبهاتين الآيتين، استدل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية تلك الليلة لم تقع لأنه قال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك ولقال ذلك للناس .

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۝١١ وَمَنْوَةَ الْعَالِقَةَ الْأُخْرَىٰ ۝١٢ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ۝١٣ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ۝١٤ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ ۝١٥﴾ أم

(1) أي: تغشاها الملائكة أمثال الغريان قاله مقاتل، وكذلك حين يقعن على الشجر، وقال الحسن: غشيتها نور رب العزة فاستنارت.

(2) وسبب اختيار السدرة لهذا الأمر دون غيرها من الشجر؟ قالوا لأن السدرة تختص بثلاثة أوصاف، وهي ظل مديد، وطعم لذيذ، ورائحة زكية، فشابهت الإيمان الذي يجمع قولاً وعملاً ونية، فظلمها بمنزلة العمل لتجاوزها، وطعمها بمنزلة النية لكمونه، ورائحتها بمنزلة القول لظهوره. النكت والعيون (396/5).

(3) أي: بمعنى ما مال بصر محمد فعدل يميناً ولا شمالاً عما رأى ولا جاوز ما أمر به. يقول: فارتفع عن الحد الذي حد له قاله جعفر. وبمعنى آخر ما زاغ يميناً ولا شمالاً قاله ابن عباس. جامع البيان (44/22).

(4) لم أقف على اسم قائله ولا كتابه.

(5) سورة طه الآية/23.

لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ﴿١٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴿١٥﴾ وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي
شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴿١٦﴾

هذا تقريع للمشركين في عبادتهم غير الله من الأصنام و الأوثان، واتخاذهم لها البيوت مضاهاة للكعبة التي بناها خليل الرحمن.

فقال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ ﴾ وكانت اللات صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت بالطائف له أستار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهلها وهم ثقيف ومن تابعها، يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش. قال ابن جرير (وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله فقالوا: اللات، يعنون: مؤنثة منه - تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً-) (1)، وعن ابن عباس - رضي الله عنه - وغير واحد: أنهم قرأوا اللات بتشديد التاء، وفسروه بأنه «كان رجلاً يلت للحجيج فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه» هكذا في البخاري (2).

وكذا العزى من العزيز، وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة، بين مكة والطائف، كانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم أحد: إن لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قولوا (الله مولانا ولا مولا لكم) (3).

وعن أبي الطفيل قال: لما فتح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث خالد بن الوليد إلى نجد، وكانت بها العزى فأتاها خالد وكانت على ثلاث سمرات، فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها، ثم أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبره فقال: «ارجع فإنك لم تصنع شيئاً» فرجع خالد، فلما رأته السدنة وهم حجبتها امتنعوا في الحيل وهم يقولون: يا عزى، يا عزى، فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة

(1) أما اللات: فقد كان الأعمش وهي قراءة ابن عباس ومجاهد والضحاك وورش عن تشديدها، وسائر القراء عن تخفيفها، فمن خففها فلهم فيها قولان: أنه كان صنما بالطائف كان عليه السويق لأصحابه قاله السدي، أنه صخرة يلت عليها السويق بين مكة والطائف، أما من شدها أنه كان رجلاً يلت السويق على الحجر فلا يشرب منه أحد إلا سمن معبوده ثم مات على قبره النكت والعيون (397/5).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴾ حديث رقم (4859).

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، حديث رقم (4043).

شعرها تحفن التراب على رأسها، فغمسها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبره فقال: «تلك العزى»⁽¹⁾.

وأما مناة فكانت عند قديد بين مكة والمدينة، وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليها يعظمونها ويهلون منها للحج إلى الكعبة⁽²⁾.

روى البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - نحوه، وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أخر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة، غير هذه الثلاث التي نص عليها في القرآن، وإنما أفردها بالذكر لأنها أشد من غيرها.

قال ابن إسحاق⁽³⁾: وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت يعظمونها كتعظيم الكعبة. لها سدنة وحجاب ويهدى لها كما يهدى للكعبة، وتطوف بها كطوافهم بها، وتحر عندها، وهي تعرف فضل الكعبة عليها؛ لأنها كانت تعرف أنها بيت إبراهيم - عليه السلام - ومسجده: وكانت ذو الخصلة لدوس وخنعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة ويقال لها: الكعبة اليمانية أيضاً فبعث إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جرير بن عبد الله فهدمها.

وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال لها: ريام، وذكر أنه كان به كلب أسود، وأن الحبرين اللذين ذهبا مع تبع استخرجاه وقتلاه وهما البيت ﴿ أَلَكُمُ الدَّكْرُ وَآلَةُ الْأُنثَى ﴾ أي: تجعلون له ولداً ثم ولداً أنثى، وتختارون لأنفسكم الذكور، فلو اقتسمتم أنتم ومخلوق مثلكم هذه القسمة لكانت ﴿ قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ أي: جوراً باطلاً،

(1) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب سورة النجم، حديث رقم (11547)، وأبو يعلى في مسنده، (196/2) حديث رقم (902) وصححه.

(2) مناة: قيل: صخرة لهذيل وخراعة، وقيل: لتقيف، وقيل: بالمشكك من قديد بين مكة والمدينة، وكانت أعظم هذه الأوثان قدراً وأكثرها عدداً، وكانت الأوس والخزرج تهل لها، وسميت مناة لأن دماء النسائك تمنى عندها. البحر المحيط (159/2).

(3) هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار وقيل ابن يسار بن كوتان المطلبي، مولى آل قيس بن مخزوم بن مطلب بن عبد مناف، وقيل إن كنيته أبو بكر وكان من أهل العلم بالمغازي، معازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأيام العرب وأخبارهم، وكان كثير الحديث غزير العلم، وكان ثقة مات سنة (50 هـ)، سيرة ابن إسحاق (21/2).

فكيف تقاسمون ربح هذه القسمة، ثم قال منكراً عليهم فيما ابتدعوه من الكذب والافتراء من عبادة الأصنام وتسميتها ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ أي: من تلقاء أنفسكم ﴿أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي: من حجة وبرهان ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ أي: ليس لهم مستند إلا حسن ظنهم بأبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم، وإلا حظ نفوسهم في ربا ستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ أي: ولقد أرسل الله إليهم الرسل بالحق المنير والحجة القاطعة، وما اتبعوا ما جاعوهم به ولا انقادوا له.

ثم قال: ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ أي: ليس كل من تمنى خيراً حصل له ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾⁽¹⁾، ما كل من زعم انه مهتد يكون كما قال ولا كل من ودّ شيئاً يحصل له.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى، فإنه لا يدري ما يكتب له من أمنيته» تفرد به أحمد⁽²⁾.

وقوله: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ أي: إنما الأمر كله لله مالك الدنيا والآخرة والمتصرف فيهما، ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾.

كقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾⁽³⁾ فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون أيها الضالون شفاعة هذه الأصنام والأنداد عند الله قد نهى عن عبادتها على السنة جميع الرسل، وأنزل بالنهي عن ذلك من جميع كتبه؟

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾⁽⁴⁾ وَمَا لَهُمْ بِهِ

(1) سورة النساء الآية/123 .

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (316/14)، حديث رقم (8689)، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (1451).

(3) سورة البقرة الآية/255 .

مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿١٨﴾ فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَهْتَدَ ﴿٢٠﴾.

لقد أنكر - تعالى - على المشركين في تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى، كما قال: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ ﴿١٩﴾ (١) أي: حين قالوا إنهم بنات الله.

فقال: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: ليس لهم علم صحيح يصدق ما قالوه بل هو كذب وزور وافتراء ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ أي: لا يقوم الظن مقام العلم ولا يجدي شيئاً، وقيل الحق هنا بمنى العذاب أي: إن ظنهم لا ينفذهم من العذاب.

وقوله: ﴿فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أي: من الذي أعرض عن القرآن واهجره.

وقوله: ﴿إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: إنما أكثر همه ومبلغ علمه الدنيا، فذاك ما لا خير فيه ولهذا قال: ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: طلب الدنيا والسعي لها هو غاية ما وصلوا إليه.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له) رواه احمد (2).

وفي الدعاء المأثور: «اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا» (3).
وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَهْتَدَ﴾ أي: هو الخالق

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (840/40)، حديث رقم (24419)، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (6757).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (480/40) حديث رقم (24419)، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادة (676/1) حديث رقم (6757).

(3) أخرجه الترمذي في سننه، باب اللهم أقسم لنا من خشيتك (486/12) حديث رقم (3841)، وحسنه الترمذي ووافقه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (2/8).

لجميع المخلوقات والعالم بمصالح عباده، وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وذلك كله من قدرته وعلمه وحكمته وهو العادل الذي لا يجوز أبداً.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٣٢﴾﴾.

أخبر - تعالى - أنه مالك السموات والأرض وأنه الغني عما سواه الحاكم في خلقه بالعدل وخلق الخلق بالحق ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ أي: يجازي كلاً بعمله ثم فسر المحسنين بأنهم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش؛ أي: لا يتعاطون المحرمات الكبائر وإن وقع منهم بعض الصغائر فإنه يغفر لهم ويستترهم وقوله: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ استثناء منقطع؛ لأن اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال.

قال ابن عباس - رضي الله عنه - إلا ما سلف⁽¹⁾، وقال مجاهد: هو الرجل يلم بالذنب ثم ينزع عنه ولا يعود⁽²⁾ وقال بعض الصحابة - رضي الله عنهم -: هو الرجل يصيب اللمة من الزنا، واللمة من شرب الخمر فيجتنبها ويتوب منها وقال ابن الزبير⁽³⁾ - رضي الله عنه -: هو ما بين الحدين حد الدنيا وعذاب الآخرة. ومثله عن ابن عباس وهو دون كل موجب حد، أي: ما لم يذكر الله عليه حداً في الدنيا ولا عذاباً في الآخرة.

(1) فيه أقوال بين المفسرين أحدها إلا اللمم الذي ألموا به في الجاهلية من الإثم والفواحش فإنه يعفو عنه في الإسلام قاله ابن زيد بن ثابت، الثاني: هو أن يلم بها ويفعلها ثم يتوب منها قاله الحسن ومجاهد. الثالث: هو أن يعزم على الواقعة ثم يرجع عنها مقلعاً. النكت والعيون (401/5).

(2) وفي معنى آخر من المفسرين في قوله ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ أي: الصغائر والاستثناء منقطع؛ لأنه ليس من الكبائر والفواحش وهو كالنظرة، والقبلة، واللمسة، والغمزة، مدارك التنزيل (394/3).

(3) ابن الزبير: هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد الأسدي أبو بكر ويقال: خبيب، وأمه أسماء بنت أبي بكر هاجرت به إلى المدينة وكان أول مولود في الإسلام من قريش، وبويع له بالخلافة عقب موت يزيد، وكانت ولايته تسع سنين وقتله الحجاج بن يوسف في أيام عبد الملك بن مروان في سنة ثلاث وسبعون للهجرة. تهذيب التهذيب (188/5).

قال ابن عباس: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «إن تغفر اللهم يغفر جمّاً وأيّ عبد لك ماألما» رواه الترمذي وصححه⁽¹⁾.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾ أي: رحمته وسعت كل شيء ومغفرته تسع المذنبين كلهم لمن تاب منها وقوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي: بصير بكم عليم بأحوالكم وأفعالكم وأقوالكم التي ستصدر عنكم، وتقع منكم حين أنشأ آدم من الأرض، واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذرّ، ثم قسمهم فريقين: فريقاً للجنة وفريقاً للسعير.

وكذا قوله: ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ فكتب الملك الموكل بالجبين رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد؟ قال مكحول⁽²⁾: (كنا أجنة في بطون أمهاتنا فسقط منا من سقط، وكنا فيمن بقي ثم صرنا شيوخاً لا أبا لك فماذا بعد هذا ننتظر؟) رواه أبو حاتم⁽³⁾.

وقوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ قال الحسن: علم الله من كل نفس ما هي صانعة وإلى ما هي صائرة، فلا تزكوا أنفسكم ولا تشكروها ولا تمدحوها بحسن أعمالها⁽⁴⁾ وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا تزكوا أنفسكم إن الله أعلم بأهل البر منكم» قاله حين غير اسم زينب بنت أبي سلمة من برة إلى زينب» رواه مسلم⁽⁵⁾.
وعن أبي بكره أنه قال: مدح رجلٌ رجلاً عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ويحك قطعت عنق صاحبك - مراراً -

(1) أخرجه الترمذي سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة النجم، حديث رقم (3284)، والحاكم في المستدرک (122/1)، حديث رقم (181)، وصححه الترمذي ووافقه الحاكم في المستدرک، والألباني في صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2618).

(2) مكحول الدمشقي أبو عبد الله، عالم أهل الشام يكنى أبا عبد الله وقيل: أبو أيوب وقيل أبو مسلم الدمشقي، الفقيه أرسل عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أحاديث وأرسل عن عدة من الصحابة لم يدركهم كأبي بن كعب وعبادة بن الصامت، حدث عنه الزهري وزيد بن واقد توفي سنة اثنتي عشرة ومائة. سير أعلام النبلاء (8/185).

(3) لم أقف عليه عند ابن أبي حاتم، ووقفت عليه في المجالسة وجواهر العلم (3/363)، حديث رقم (990)، من طريق أحمد بن مسلم عن عمرو بن حمزة عن داود بن أبي هند عن مكحول.

(4) أي: فلا تشهدوا لأنفسكم بأنها زكية بريئة من الذنوب والمعاصي، جامع البيان (22/70). وفي معنى آخر أي: فلا تنسبوا إلى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات أو إلى الزكاة والطهارة من المعاصي وتثنا عليها، واهضموها فقد علم الله الزكي منكم والنقي أولاً وأخراً. مدارك التنزيل (3/394).

(5) أخرجه مسلم في الصحيح الجامع، الآداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن، حديث رقم (2142).

إذا كان أحدكم ما دحاً صاحبه لا محالة فليقل: أحسبُ فلاناً، واللهُ حسيبه، ولا أزرُكي على الله أحداً، أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك» روياه في الصحيحين والسياق لأحمد⁽¹⁾، وعن المقداد بن الأسود⁽²⁾ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب» رواه مسلم⁽³⁾.

﴿أَفْرَعَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٤﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٤١﴾﴾.

لقد ذم الله من تولى عن طاعته: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٣٦﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٣٧﴾﴾⁽⁴⁾ ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ قال ابن عباس: وكثيرون أي: ثم قطعه،

قال عكرمة وسعيد: كمثل القوم إذا كانوا يحفرون بئراً، فيجدون في أثناء الحفر صخرة تمنعهم من إتمام العمل فيقولون أكدينا ويتركون العمل⁽⁵⁾، ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ أي: عند هذا الذي قد أمسك عن الصدقة والبر والصلة بخلاً وشحاً وحرصاً.

ولهذا جاء في الحديث: «انفق بلالاً ولا تخش من ذي العرش إقللاً»⁽⁶⁾ ﴿أَمْ

(1) أخرجه البخاري في الصحيح الجامع، كتاب الشهادات، باب إذا زكى رجل رجلاً كفاه، حديث رقم (26629). ومسلم في صحيحه، كتاب الزهد، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط، رقم (3000). والإمام أحمد في مسنده (5/6) اللفظ له.

(2) المقداد بن الأسود نسب إلى الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة الزهري لأنه كان تبناه وحالفه في الجاهلية فقبل المقداد بن الأسود وهو المقداد عمرو بن ثعلبة بن مالك بم مطرود بن عمرو بن سعد شهد المقداد فتح مصر ومات في أرضها فحمل إلى المدينة ثلاث وثلاثين الاستيعاب (466/1).

(3) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، الزهد، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط، حديث رقم (3002).

(4) سورة القيامة الآية/32.

(5) فيه أربعة أقاويل بين المفسرين: أحدها أنه أعطى قليلاً من نفسه بالاستمتاع ثم بالإنقطاع قاله مجاهد، الثاني: أطاع قليلاً ثم عصى قاله ابن عباس، الثالث: أعطى قليلاً من ماله ثم منع قاله الضحاك، الرابع: أعطى بلسانه وأكدى بقلبه قاله مقاتل، النكت والعيون (5م402)، وفي معنى آخر قطع عطيته وأمسك، وأصله إكاء الحافر وهو أن تلقاه كدية وهي صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر. مدارك التنزيل (395/3).

(6) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب التحريض على صدقة التطوع (209/3)، حديث رقم (3338)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة الكاملة (347/6)، حديث رقم (2661).

لَمْ يُنَبِّأَ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿ يَعْنِي أَسْفَارِ التَّوْرَةِ.﴾

﴿وَأِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ أي: تم وأكمل ما أمر به، وبلغ وأدى رسالة الله إلى خلقه فاستحق بذلك أن يكون للناس أماماً يقتدي به. كما قال: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴿١٣٣﴾﴾ (1).

وعن أبي أمامة قال: تلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ﴿وَأِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ قال: «أتدري ما وفى؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «وفى عمل يومه بأربع ركعات من أول النهار» رواه ابن جرير وابن أبي حاتم (2).

وعن أبي ذر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الله - عز وجل - أنه قال: «ابن آدم اركع لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره» رواه الترمذي (3) وعن معاذ بن أنس (4) عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليلاً الذي وفى؟ إنه كان يقول كلما أصبح وأمسى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿٧﴾﴾ (5) حتى ختم الآية» رواه ابن جرير وابن أبي حاتم (6).

ثم شرع تعالى في بيان ما كان أوحاه في صحف إبراهيم وموسى فقال: ﴿الَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ أي: كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو كبيرة أي: شيء من

(1) سورة النحل الآية/123.

(2) ينظر: جامع البيان (78/22)، وذكره البغوي في تفسيره (415/7) من طريق إسرائيل، وابن عساكر في تاريخه (213/6، 214) من طريق جعفر بن الزبير.

(3) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في صلاة الضحى، حديث رقم (475)، وصححه ووافقه الألباني في صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (395).

(4) معاذ بن أنس الجهني حليف الأنصار صحابي جليل كان بمصر والشام، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أحاديث وله رواية عن أبي الدرداء وكعب الأحبار، روى عنه سهل بن معاذ، قيل بقي إلى خلافة عبد الملك بن مروان. الإصابة (98/3).

(5) سورة الروم الآية/17.

(6) رواه الطبراني في المعجم الكبير (192/20)، حديث رقم (427)، وابن عساكر في تاريخه (212/6)، ومسنند الإمام أحمد في مسنده (388/24)، حديث رقم (15624)، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (159/10)، حديث رقم (17010).

الذنوب فإنما عليها وزرها، لا يحملها عنها أحد.

كما قال: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ أي: كما لا يحمل عليه وزر غيره، كذلك لا يحصل له من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه، ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي ومن اتبعه، أن نفس القراءة لا يصل ابتداء ثوابها إلى الأموات لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم ولهذا لم يندب إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمته ولا حثهم عليه لا بنص ولا إيماء، ولم ينقل أحد من الصحابة، وباقي القربات يقتصر فيه بالنصوص ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولها، ومنصوص من الشارع عليها⁽¹⁾.

وأما الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: من ولد صالح يدعوله، وصدقة جارية من بعده، أو علم ينتفع به»⁽²⁾ فهذه الثلاثة في الحقيقة هي من سعيه وكده وطلبه.

كما جاء في الحديث «إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه»⁽³⁾ والصدقة الجارية كالوقف ونحوه هي من آثار عمله ووقفه، وقد قال تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَعَاءْتَرَهُمْ﴾ الآية⁽⁴⁾.

والعلم الذي نشره في الناس فاقتدوا به بعده هو أيضاً من سعيه وعمله. وثبت في الصحيح: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً»⁽⁵⁾.

(1) ينظر: فتح الوهاب شرح منهج الطلاب (67/4).

(2) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الأحكام، باب في الوقف، حديث رقم (1432)، والنسائي في السنن الكبرى، باب فضل الصدقة عن الميت، حديث رقم (3651)، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادة، حديث رقم (795).

(3) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب البيوع، باب في الرجل يأكل من مال ولده، رقم (3528)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (3013).

(4) سورة يس: الآية/12

(5) أخرجه مسلم في الصحيح الجامع، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، حديث رقم (6745).

وقوله: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ أي: يوم القيامة في ميزانه من أريته الشيء
وقوله: ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾.

أي: الأوفر الأكمل الأتم بحسب سعيه إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ ٤٦ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ ٤٧ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾
٤٨ ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الرُّوحَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ ٤٩ ﴿مِن تَظْفِيرِ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ ٥٠ ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ﴾
٥١ ﴿الْأُخْرَىٰ﴾ ٥٢ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ ٥٣ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ﴾ ٥٤ ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾
٥٥ ﴿وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَىٰ﴾ ٥٦ ﴿وَقَوْمِ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ ٥٧ ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾
٥٨ ﴿أَهْوَىٰ﴾ ٥٩ ﴿فَعَشَّهَا مَا تَغَشَّىٰ﴾ ٦٠ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ ٦١ ﴿بِقَوْلِهِ﴾ ٦٢ ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾
الْمُنْتَهَىٰ﴾ أي: منتهى الخلق ومصيرهم إليه يوم القيامة.

وعن عمرو بن ميمون الأودي⁽¹⁾ قال: قام فينا معاذ بن جبل فقال: يا بني أود
إنني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليكم، «تعلمون أن المعاد إلى الله، إلى
الجنة أو إلى النار» رواه ابن أبي حاتم⁽²⁾.

وعن أبي بن كعب⁽³⁾ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في قوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ﴾
رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ قال: «لا فكرة في الرب»⁽⁴⁾ وهذا مثل ما روى أبوهريرة مرفوعاً: «تفكروا
في خلق الله ولا تفكروا في الخالق، فإنه لا تحيط به الفكرة»⁽⁵⁾ رواه محيي السنة⁽⁶⁾ في

(1) عمر بن ميمون الأودي يكنى أبا عبدالله أو أبا يحيى، أسلم في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - على يد معاذ
وصحبه، ثم قدم المدينة وصحب ابن مسعود وغيره، روى عنه سعيد بن جبير، قيل مات سنة خمس وسبعين،
الإصابة في تمييز الصحابة (377/2).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرک (83/1)، والطبراني في المعجم الأوسط (181/2) حديث رقم (1651)، وصححه الذهبي
في التلخيص (157/1)، حديث رقم (281) ووافقه الألباني في السلسلة الصحيحة، حديث رقم (1668).

(3) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار وقيل: اسمه تيم الله بن ثعلبة بن
عمرو بن الخزرج الأنصار وله كنيستان أبو المنذر كناه بها النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبو الطفيل، كناه بها عمر
بن الخطاب وشهد العقبة ويدرأ روى عنه عبادة بن الصامت وابن عباس توفي سنة ثلاث وثلاثين للهجرة في خلافة
عثمان. أسد الغابة (31/1).

(4) ينظر: تفسير البغوي (417/7) والدر المنثور (266/7) والمنتقى الهندي في كنز العمال (396/3)، والقرطبي في
تفسيره (115/17).

(5) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (163/1)، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث
رقم (6220).

(6) ينظر: تفسير البغوي (417/7) والدر المنثور (266/7) والمنتقى الهندي في كنز العمال (396/3) والقرطبي في
تفسيره (115/17).

تفسيره، ولهذا شاهد في السنن «تفكروا في مخلوقات الله ولا تفكروا في ذات الله فإن الله خلق ملكاً ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة ثلاثمائة سنة» (1) أو كما قال.

وقوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ أي: خلق في عباده الضحك والبكاء وسببهما وهما مختلفان ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ كقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ (2) يعني: أمات في الدنيا وأحيا للبعث وقيل: أمات الكافر بالنكرة، وأحيا المؤمن بالمعرفة ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزُّوجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (3) من نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى أي: يصيب في الرحم.

كقوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِي يُمْنَى﴾ (3) الآية وقوله: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾ أي: كما خلق البداء هو قادر على الإعادة وهي النشأة الأخرى يوم القيامة ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ أي: ملك عباده المال وجعله لهم فتنة مقيماً لهم لا يحتاجون إلى بيعه فهذا تمام النعمة عليهم، وبه قال كثيرون.

وقال ابن عباس: ﴿أَغْنَى﴾ أعطى ﴿وَأَقْنَى﴾ رضي قيل: معناه أغنى نفسه وأفقر الخلائق إليه، وقيل: أغنى من شاء من خلقه وأفقر من شاء منهم (4).

﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى﴾ قال مجاهد عن ابن عباس: هو هذا النجم الوقاد الذي يقال له: مرزم الجوزاء، كانت طائفة من العرب يعبدونه (5) ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ وهم قوم هود ويقال لهم: عاد بن إرم بن سام بن نوح وكانوا من أشد الناس وأقواهم وأعتاهم على الله وعلى رسوله فأهلكهم الله ﴿بِرِيحٍ صَّارِصٍ عَاتِيَةٍ﴾.

وقوله: ﴿وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَى﴾ أي: أهلكهم بالصيحة فلم يبق منهم أحد ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أي: من قبل هؤلاء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ وَأَطْعَى﴾ أي: أشد تمرداً من الذين من بعدهم ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ يعني: مدائن لوط قبلها عليهم فجعل عاليها سافلها، وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة.

(1) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (163/1)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (395/4) رقم (1788).

(2) سورة الملك الآية/2

(3) سورة القيامة الآية/37 .

(4) ينظر: جامع البيان 84/22، والدر المنثور (53/13).

(5) ينظر: جامع البيان (86/22)، وتفسير الإمام مجاهد (628/1).

ولهذا قال: ﴿فَعَشَّهَا مَا غَشَّى﴾ يعني: من الحجارة التي أرسلها عليهم مطراً ﴿فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ أي: ففي أي نعم الله عليك أيها الإنسان تمترى؟ وهو اختيار ابن جرير (1).

﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ أَرْفَتِ الْأَرْفَةَ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجَّبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَائِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ (٢).

قوله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ﴾ يعني محمداً - صلى الله عليه وسلم - من جنسهم أرسل كما أرسلوا، والنذير المحدد لما يعاين من الشر الذي يخشى وقوعه من أذرتهم. ﴿أَرْفَتِ﴾ أي: اقتربت ودنت ﴿الْأَرْفَةُ﴾ أي: القيامة سميت بها؛ لأنها قريبة الوقوع ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ أي: لا يدفعها من دون الله أحد ولا يطلع على علمها سواه.

وعن سهل بن سعد (2) قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «مثلي ومثل الساعة كهاتين» وفرق بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام ثم قال: «مثلي ومثل الساعة كفرسي رهان» ثم قال: «مثلي ومثل الساعة كرجل بعثه قوم طليعة، فلما خشي أن يسبق ألاح بثوبه: أتيتم أتيتم» ثم قال - عليه الصلاة والسلام -: «أنا ذلك النذير» (3) وله شاهد آخر من صحاح وحسان.

ثم قال منكرًا على المشركين في استماعهم القرآن وإعراضهم عنه وتلهيهم منه: ﴿أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجَّبُونَ﴾ أي: من أن يكون صحيحاً ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ منه استهزاءً وسخرية ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ أي: كما يفعل الموقنون به، كما أخبر - تعالى -

(1) أي: فبأي نعماء ربك ابن آدم التي أنعمها عليك ترتاب وتتشك وتجادل. جامع البيان (92/22).

(2) سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج الأنصاري الساعدي شهد قضاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المتلاعنين وأنه فرق بينهما، وكان اسمه حزنا فسماه رسول الله سهلا، ورأى سهل بن سعد النبي وسمع منه توفي سهل سنة ثمان وثمانين ويقال إنه آخر من مات من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة. أسد الغابة (486/1).

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الرقاق، باب الانتهاه عن المعاصي، حديث رقم (6482)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب شفقتة - صلى الله عليه وسلم - على أمته، حديث رقم (2283).

عنهم بقوله: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾ الآية (1).

وقوله: ﴿ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾ أي: معرضون مستكبرون قاله ابن عباس وغير واحد.

ثم أمر - تعالى - عباده بالسجود له والعبادة والمتابعة لرسوله - عليه الصلاة والسلام - والتوحيد والإخلاص فقال: ﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَأَعْبُدُوا ﴾ أي: فاخلصوا له ووحده. وعن ابن عباس قال: سجد النبي - صلى الله عليه وسلم - «بالنجم وسجد له المسلمون والمشركون والجن والإنس» رواه البخاري (2).

(1) سورة الإسراء الآية/109.

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَأَعْبُدُوا﴾، حديث رقم (4862).

تفسير سورة اقتربت

وهي مكية

عن أبي واقد الليثي⁽¹⁾ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «كان يقرأ في العيد بقاف واقتربت الساعة» رواه أحمد ومسلم⁽²⁾ وغيره، وكان يقرأ بهما المحافل الكبار، لاشتغالهما على ذكر الوعد والوعيد وبدء الخلق وإعادته، والتوحيد وإثبات النبوات، وغير ذلك من المقاصد العظيمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَلِيغَةٌ فَمَا تُغْنِ التُّذُرُ ﴿٥﴾﴾.

أخبر - تعالى - عن اقتراب الساعة، وفراغ الدنيا وانقضائها، كما قال تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾⁽³⁾ فقال: ﴿اَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ أي: اقتربت القيامة.

عن ابن عمر - رضي الله عنه - قال: كنا جلوساً عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والشمس على قعيقعان⁽⁴⁾ بعد العصر فقال: «ما أعماركم في

(1) أبو واقد الليثي هو أبو واقد الحارث بن عوف الليثي من بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة الكناني الليثي، اختلف في اسمه فقيل: الحارث بن عوف، وقيل: عوف بن الحارث قيل: إنه شهد بدرًا، وقيل: لم يشهدها، وكان معه لواء بني ضمرة، وبني ليث، وبني سعد، وشهد اليرموك بالشام، وجاور بمكة ومات بها ودفن بها سنة ثمان وستين. أسد الغابة (260/3).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (217/5)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة العيدين، باب ما يقرأ به في صلاة العيدين، حديث رقم (891)، وأبوداود في سننه، كتاب الصلاة، باب ما يقرأ في الضحى والفطر، حديث رقم (1154)، والترمذي في سننه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القراءة، حديث رقم (534)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب سورة القمر، حديث رقم (11550)، وابن ماجه في سننه، كتاب الإقامة، باب القراءة في صلاة العيدين، حديث رقم (1282).

(3) سورة النحل الآية/1.

(4) قعيقعان: بصيغة التصغير جبل مشرف على الحرم من جهة الغرب قيل: سمي بذلك؛ لأن جُرْهُمَا كانت تجعل فيه سلاحها من الدرق والقسي والجعاب فكانت (تقعقع) أي: تصوت. - ألقى (إلقاء) ألصق آليتيه بالأرض ونصب ساقبيه، ووضع يديه على الأرض. المصباح المنير (510/2).

أعمار من مضى إلا كما بقي من النهار فيما مضى⁽¹⁾.

وفي الصحيحين عن شعبة عن قتادة⁽²⁾ عن أنس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «بعثت أنا والساعة كهاتين» رواه أحمد،⁽³⁾ قال شعبة سمعت قتادة يقول: كفضل أحدهما على الآخر فلا أدري أذكره عن أنس أو قاله قتادة .

وعن المستورد بن شداد⁽⁴⁾ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «بعثت في نفس الساعة فسبقتها كما سبقت هذه هذه، وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى» رواه الترمذي⁽⁵⁾، وقد جاء في الصحيحين: «أنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي»⁽⁶⁾، وقد أورد ابن جرير أن حذيفة كان يقول: ((في خطبة الجمعة - ألا إن الله يقول: ﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ ألا وإن الدنيا قد آذنت بفرق، ألا وإن اليوم المضمار وغداً السباق، ألا وإن الغاية النار، والسابق من سبق إلى الجنة))⁽⁷⁾.

وقوله: ﴿ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ قد كان هذا في زمان الرسول - صلى الله عليه وسلم - كما ثبت ذلك في الأحاديث المتواترة.

في الصحيحين عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: انشق القمر على

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (177/12)، حديث رقم (5966) وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (350/11).

(2) سبق ترجمته في سورة الحجرات ص 29.

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح كتاب الطلاق، باب اللعان وقول الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَنْزُوجَهُمْ وَكَمْ

يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ ﴾ رقم (5301)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة، رقم (2950)، وفي رواية تفرد به الإمام أحمد في مسنده (50/21) رقم (13337).

(4) المستورد بن شداد بن عمرو بن حسل بن الأحب بن بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر القرشي الفهري وأمه دعد بنت جابر، وقال غيره إنه سمع من النبي - صلى الله عليه وسلم - سماعاً وأتقنه سكن الكوفة، ثم سكن مصر، روى عنه أهل الكوفة، منهم قيس بن أبي حازم. أسد الغابة (6/3).

(5) أخرجه الترمذي في سننه، باب ماجاء في قول النبي بعثت أنا، حديث رقم (2374)، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (6089).

(6) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رقم (3532).

(7) رواه ابن جرير في تفسيره (108/22) .

عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (اشهدوا)⁽¹⁾.

وفيها أيضاً عن أنس - رضي الله عنه - قال: أن أهل مكة سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما، وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأنه كان أحد المعجزات الباهرات.

وفي رواية البيهقي بإسناده عن ابن مسعود قال: «انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين، فقال كفار قريش يا أهل مكة: هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة انظروا السفار⁽²⁾ فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق، وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به قال: فسئل السفار، وقدموا من كل وجه فقالوا: رأينا»، رواه ابن جرير⁽³⁾، وزاد فأنزل الله: ﴿أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ وفي رواية لأحمد قال ابن مسعود «حتى رأيت الجبل من بين فرج القمر»⁽⁴⁾.

وقوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً﴾ أي: دليلاً وحجة وبرهاناً ﴿يُعْرِضُوا﴾ أي: لا ينقادوا له بل يتركونه ويدبرونه ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ أي: ويقولون هذا الذي شاهدناه من الحجج سحر سحرنا به مستمر أي: زاهب، باطل مضمحل لا دوام له: ﴿وَكَذَّبُوا وَأَتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: كذبوا بالحق إندجاءهم واتبعوا ما أمرتهم به أراءهم وأهوائهم، من جهلهم وسخافة عقولهم.

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا ، حديث رقم (4584)، ومسلم في صحيحه، صفات المنافقين، باب انشقاق القمر، حديث رقم (7250).

(2) (السفار) حديدة أو جلدة توضع على أنف البعير فيخطم بها كالحكمة للفرس، و(السفارة) عمل السفير ومقامه، و(السفارة) أي: الكناسة، (السفر) قطع المسافة، يقال هو مني بعيد وسفر الصبح للواحد والجميع، المعجم الوسيط (433/1).

(3) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة القمر (120/12) حديث رقم (3600)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (7289).

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (39/7)، حديث رقم (3924)، وأبو الفضل في المسند الجامع (209/28). لم أعر على حكم الحديث.

وقوله: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ قال قتادة: أن الخير واقع بأهل الخير والشر واقع بأهل الشر،⁽¹⁾ وقيل مستقر أي: واقع بأهله يوم القيامة.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾ أي: من الأخبار أي: عن قصص الأمم المكذبين بالرسول وما حلّ بهم من أنواع العذاب مما يتلى عليهم في هذا القرآن. ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ مصدر بمعنى الازدجار أي: نهي وعظة لهم عن الشرك والتماذي على الطغيان.

وقوله: ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ﴾ أي: في هدايته - تعالى - لمن هداه وإضلاله لمن أضله، ﴿فَمَا تُغْنِ التُّذُرُ﴾ يعني أي: شيء تغني النذر عن كتب الله عليه الشقاوة وختم علي قلبه فمن الذي يهديه من بعد الله؟ كما قال: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾⁽²⁾.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ﴾ ٦ ﴿خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ ٧ ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ ٨.

يعني فتولّ يا محمد وأعرض عن هؤلاء الذين إذا رأوا آية يعرضون، وانتظر لهم ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ﴾ أي: شيء منكر فظيع وهو موقف الحساب وما فيه من البلاء بل و الأهوال ﴿خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ﴾ أي: ذليلة أبصارهم ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ وهي القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ أي: كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم إلى موقف الحساب إجابة للداعي جراد منتشر في الآفاق.

ولهذا قال: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي: مسرعين ﴿إِلَى الدَّاعِ﴾ لا يخالفون ولا يتأخرون ﴿يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ أي: يوم شديد الأهوال صعب.

(1) وقال الكلبي عن هذه الآية: " لكل أمر حقيقة ما كان منه في الدنيا فسيظهر، وما كان منه في الآخرة فسيعرف، وقيل: كل أمر من خير أو شرّ مستقرّ قراره، فالخير مستقرّ بأهله في الجنة، والشرّ مستقرّ بأهله في النار"، معالم التنزيل (426/7).

(2) سورة الأنعام الآية/149.

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ﴿٢﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿٣﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿٤﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿٥﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا ﴿٦﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٧﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٨﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٩﴾ ﴾

يعني: ﴿ كَذَّبَتْ ﴾ قبل قومك يا محمد ﴿ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا ﴾ أي: صرحوا بالتكذيب واتهموه بالجنون ﴿ وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴾ قال مجاهد: أي: استطير جنونها، وقيل انتهروه وزجروه، وواعده⁽¹⁾.

﴿ قَالَوَا لَيْنِ لَمْ تَنْتَه يَنْوُحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾⁽²⁾، وهذا توجيه حسن ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ ﴾ أي: ضعيف عن مقاومتهم فانتصر أنت لدينك قال تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾ أي: الكثير منصبا انصبابا شديداً أطبق ما بين السماء والأرض أربعين يوماً ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ أي: نبعت جميع أرجاء الأرض حتى التنانير التي هي محال النيران فإنها تبعت عيوننا ﴿ فَالْتَقَى الْمَاءُ ﴾ أي: من السماء ومن الأرض ﴿ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ أي: بأمر مقدر.

قال ابن عباس لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلا من السحاب، إلا في تلك المرة فإنها أمطرت من غير سحاب، وسئل علي عن المجرة قال: هي شرح السماء ومنها فتحت السماء بماء منهمر⁽³⁾.

وقوله: ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾ قال ابن عباس وغيره: هي المسامير واحدها دسار ويقال دسير كما يقال حباك وحبيك، والجمع: حبك، قاله ابن جرير⁽⁴⁾. وقال مجاهد: الدسر أضلاع السفينة⁽⁵⁾، وقال عكرمة والحسن: هو صدرها

(1) الصواب كما في تفسير ابن كثير [وتواعده].

(2) سورة الشعراء الآية/116.

(3) الدر المنثور (75/74/14).

(4) جامع البيان (123/22).

(5) المصدر نفسه (25/22)، ومعالم التنزيل (428/7)، وتفسير مجاهد (643/1).

الذي يضرب بها الموج، وقيل هو طرفاها وأصلها، وقيل ككلها.

وقوله: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ أي: بأمرنا بمرأى منا، وتحت حفظنا وكلاءتنا ﴿ جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرًا ﴾ أي: جزاء لهم على كفرهم بالله، وانتصاراً لنوح - عليه السلام - وقوله: ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَهَا آيَةً ﴾ أي: تركنا تلك الفعلة والسفينة عبرة، قال قتادة: ((أبقى الله سفينة نوح حتى أدركها أول هذه الأمة)⁽¹⁾، ولهذا قال ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ أي: فهل من يتذكر أو يتعظ، ولعل المراد من ذلك جنس السفن.

كقوله: ﴿ وَعَايَةُ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ ﴾⁽²⁾ وخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾⁽²⁾، وفي الصحيحين عن عبد الله قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «يقراً: ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ دالاً أي: متذكر متعظ خائف مثل عقوبتهم»⁽³⁾.

وقوله: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴾ أي: كيف كان عذابي لمن كفرني وكذب رسلي؟ ولم يتعظ بما جاء نذري، وكيف انتصرت لهم ﴿ وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْفُرْعَانَ لِلدَّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾⁽⁴⁾ أي: سهلنا لفظه ويسرنا معناه لمن أرادته ليتذكر الناس، كما قال: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾⁽⁴⁾.

وقال مجاهد وغيره: « يعني هونا قراءته على الألسن »⁽⁵⁾، قال ابن عباس: لولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله، كما سبق أنه - عليه الصلاة والسلام - قال: « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف »⁽⁶⁾، وذلك بدعائه - صلى الله عليه وسلم -: « أن هون على أمتي مرة بعد أخرى » كما هو مبسوط في مسلم.

(1) جامع البيان (128/22)، النكت والعيون (413/5)، والدر المنثور (77/14).

(2) سورة يس الآية/42 .

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿ وَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴾، حديث رقم (4874)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب ما يتعلق بالقراءات، حديث رقم (823).

(4) سورة ص الآية/29.

(5) تفسير مجاهد (634).

(6) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، حديث رقم (4991).

وقوله: ﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ أي: تذكر هذا القرآن الذي يسر الله حفظه ومعناه؟
وقيل فهل من منزجر من المعاصي؟ وفي البخاري بصيغة الجزم عن مطر الوراق،
أي: هل من طالب علم فيعان عليه؟ وعن قتادة مثله.

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ
نَحْسٍ مُسْتَعِيرٍ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٢١﴾
وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلَّذِكِّرِ ﴿٢٢﴾ ﴾

أخبر - تعالى - عن عاد قوم هود، أنهم كذبوا رسلهم كما صنع قوم نوح وأنه
- تعالى - أرسل عليهم: ﴿ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾ وهي الشديدة الباردة ﴿ فِي يَوْمِ نَحْسٍ ﴾ أي:
عليهم نحسة ودمار؛ لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوي والأخروي قاله الضحاك وغير
واحد⁽¹⁾.

وقوله: ﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ أي: منقلع من مكانه ساقط
على الأرض وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم [فتتلغ]⁽²⁾ رأسه فيبقى جثة بلا رأس،
وأعجاز نخل أصولها التي قطعت واحداها عجز.

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذْرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُوَ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعْرٍ
﴿٢٤﴾ أءَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ عَدَا مَنِ الْكُذَّابُ
الْأَشِرُّ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَأَرْتَبْنَهُمْ وَأَصْطَبِرُ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ
كُلٌّ شَرِبَ مُمْتَضِرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٠﴾ إِنَّا
أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلَّذِكْرِ فَهَلْ
مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

هذا إخبار عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم صالحاً ﴿ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُوَ ﴾

(1) وفي تأويل قوله: ﴿ فِي يَوْمِ نَحْسٍ ﴾ والنحس هو الشر ﴿ فِي يَوْمٍ ﴾ شر وقد تأول ذلك آخرون بمعنى شديد وفي
قول ابن عباس عن هذه الآية قال: أيام شداد وقول الضحاك يوم شديد. جامع البيان (134/22)، تفسير
الضحاك (810).

(2) التلغ: هو هشيم الرأس، وفي الحديث كما تتلغ الخيزرة، والمتلغ من الرطب والتمر الذي أصابه المطر فأسقطه
ودقه، والإتلاغ: إرطاب النخل، والإتلغي الذكر. المحيط في اللغة (406/1).

إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴿١﴾ أي: لقد خبنا وخسرنا إن سلمنا كلنا قياداً لواحد منا. ثم تعجبوا من إلقاء الوحي عليه خاصة من دونهم، ثم رموه بالكذب، فقالوا: ﴿بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ﴾ أي: مجاوز عن حد الكذب، متجبر يريد التعظم علينا قال تعالى ﴿سَيَعْلَمُونَ عَذَابًا﴾ أي يوم القيامة حين ينزل بهم العذاب ﴿مَنْ أَلْكَذَابُ الْأَشْرُ﴾ وهذا تهديد لهم، ووعد شديد. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً﴾ أي: اختباراً لهم، فأخرج الله لهم ناقة عظيمة عَشْرَاءُ، من صخرة صماء، على طبق ما سألوا، لتكون حجة عليهم في تصديق صالح - عليه السلام - فيما جاءهم به.

ثم قال أمراً لرسوله صالح: ﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾ أي: انتظر ما يوول إليه أمرهم ﴿وَأَصْطَبِرْ﴾ أي: اصبر على أذاهم، فإن العاقبة والنصرة لك ﴿وَبَيِّنْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يوم لهم ويوم للناقة، وقوله: ﴿كُلُّ شَرِبٍ مُحْتَضِرٌ﴾ أي: كل نصيب من الماء يحضره من كانت نوبته، واحتضر بمعنى واحد، قال مجاهد: (إذا غابت حضروا الماء، وإذا جاءت حضروا اللبن)⁽¹⁾، ثم قال تعالى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ واسمه قدار بن سالف ﴿فَتَعَاظَى فَعَقَرَ﴾ أي: تناول السيف فعفرها، وكان أشقى قومه لقوله: ﴿إِذْ أَتَبَعْتَ أَشَقَّهَا﴾⁽²⁾.

قال ابن زيد: هو الشجر البالي الذي تهشم حتى مدته الريح، وكانت العرب يجعلون حظاراً على المواشي من يبس الشوك، فهو المراد من الهشيم المحتضر، يعني صاروا كالشجر إذا تحطم، وتفتت وخمد، كما يخمد يبس الزرع والنبات، قاله غير واحد⁽³⁾.

(1) ينظر: تفسير الإمام مجاهد (635). وفي معنى آخر في قوله: ﴿كُلُّ شَرِبٍ﴾ قال البغوي معالم التنزيل نصيب من الماء، وقوله (محتضر) أي: يحضره من كانت نوبته، فإذا كان يوم الناقة حضرت شربها، وإذا كان يومهم حضروا شربهم، واحتضر بمعنى واحد" (431/7).

(2) سورة الشمس الآية/12.

(3) اختلفت أقوال المفسرين في معناه إلى عدت أقاويل: أحدها يعني: العظام المحترقة، قاله ابن عباس، الثاني: أنه التراب الذي يتناثر من الحائط وتصيبه الريح فيحتضر مستديراً، قاله سعيد بن جبير، الثالث: أنها الحظار البالية من الخشب إذا صار هشيماً قاله الضحاك. النكت والعيون (416/5).

وقال السدي: هو المرعى بالصحراء حين يببس ويحترق ونسفته الريح⁽¹⁾
﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذُرِّ ۗ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ حَاصِبًا ۖ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ۗ﴾
نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ۗ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالَّذُرِّ ۗ وَلَقَدْ
رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِيهِ ۖ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ۗ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ
مُّسْتَقِرٌّ ۗ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ۗ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ۖ فَهَلْ مِن مُّدْكِرٍ ۗ﴾

أخبر - تعالى - عن قوم لوط كيف كذبوا رسولهم وخالفوه، وارتكبوا المكروه من إتيان الذكور، وهي الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين، ولهذا أهلكهم الله هلاكاً لم يهلكه أمة من الأمم، فإنه - تعالى - أمر جبريل - عليه السلام - فحمل مدائنهم حتى وصل إلى عنان السماء ثم قلبها عليهم، وأرسلها وأتبعها بالحجارة من سجيل، ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ أي: خرجوا من آخر الليل فنجوا مما أصاب قومهم الكفار، وخرج نبي الله لوط وبناته من بين أظهرهم سالمين لم يمسسهم سوء.

ولهذا قال: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ أي: من وحد الله وأطاعه ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا﴾ أي: ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعذابه، فما التفتوا إلى ذلك، ولا أصغوا إليه بل شكوا فيه وتماروا به.

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِيهِ﴾ أي ظنوا أن يسلم إليهم لوط أضيفه الملائكة الذين جاؤا في صورة شباب مرد حسان محنة من الله بهم فأضافهم لوط، وبعثت امرأته الضالة إلى قومها فأعلمتهم بهم فأقبلوا إليه يسرعون من كل مكان، فأغلق لوط دونهم الباب، فطفقوا يحاولون كسر الباب، وذلك عشية ولوط يدافعهم ويمانعهم دون أضيفه ويقول: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾⁽²⁾ يعني نساؤهم ﴿إِن كُنْتُمْ فَعَلِينَ﴾⁽³⁾.

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقِّ﴾⁽⁴⁾ أي: ليس لنا فيهن أرب

(1) وفي قوله تعالى: ﴿كَهَشِيرٍ﴾ ما يبس وجف من الكأ والشجر، وهو مشتق من الهشم وهو الكسر؛ لأن اليابس من ذلك يصير سريع الانكسار. التحرير والتنوير (203/27).

(2) سورة هود الآية/78.

(3) سورة الحجر الآية/71.

(4) سورة هود الآية/79.

﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾⁽¹⁾ فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول، خرج عليهم جبريل - عليه السلام - فضرب عليهم بطرف جناحيه فاطمست أعينهم، قيل: إنها غارت في وجوههم.

وقيل: بل لم يبق لهم عيون بالكلية، فرجعوا على أدبارهم يتحسسون بالحيطان، ويتوعدون لوطاً إلى الصباح. ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ﴾ أي: ما أنذركم به لوط من العذاب قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾ أي: دائم لا مفر لهم عنه، ولا انفكاك لهم منه حتى أفضي بهم إلى عذاب الآخرة.

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾⁽²⁾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ⁽³⁾
 أَكْفَارِكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيَّتِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ⁽⁴⁾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرُونَ⁽⁵⁾
 سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ⁽⁶⁾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ⁽⁷⁾.

أخبر - تعالى - عن فرعون وقومه أنهم جاءهم موسى وهارون بالبشارة إن آمنوا، والنذارة إن كفروا، وأيدهما بمعجزات عظيمة، وآيات متعددة فكذبوها كلها، فأخذهم أخذ عزيز مقتدر؛ أي: فأهلكهم فلم يبق منهم أحداً ولا أثراً، ثم قال - تعالى -:
 ﴿أَكْفَارِكُمْ﴾ أي: أيها المشركون أكفار قريش ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيَّتِكُمْ﴾ يعني من الذين تقدم ذكرهم ممن أهلكوا بسبب تكذيبهم الرسل وكفرهم بالكتب، أنتم خير من أولئكم؟ ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ أي: أم معكم من الله براءة أن لا ينالكم عذاب ولا نکال ثم قال مخبراً عنهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرُونَ﴾ أي: يعتقدون أنهم يتناصرون بعضهم بعضاً، يعني يداً واحدة على من خالفنا ننتصر على من عادانا قال تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ أي: [سينصرف كلهم ويغلبون]⁽²⁾.

عن ابن عباس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: وهو في قبة له يوم بدر: «اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً» فأخذ أبو بكر

(1) سورة هود الآية/78.

(2) الصواب ما جاء في تفسير ابن كثير [سينصرف كلهم ويغلبون].

يده وقال: حسبك يارسول الله ألححت على ريك فخرج، وهو يثب في الدرع، وهو يقول ﴿سَيَهْزُمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبْرَ﴾ (٤٩) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴿رواه البخاري والنسائي⁽¹⁾، وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: نزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - بمكة واني لجارية ألعب، ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ ﴿رواه البخاري⁽²⁾ أي: الساعة أعظم بليّة وأشدّ مرارة من الأسر والقتل يوم بدر.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ (٥٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٦﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٦﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٩﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٦٠﴾.

أخبر - تعالى - عن المجرمين أنهم في ضلال عن الحق وسعر أي: نار تسعر عليهم بما هم فيه من الشكوك والكفر ثم بين عذابهم فقال: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ أي: كما كانوا أضلالاً يسحبون فيها على وجوههم لا يدرون أين يذهبون؟ ويقال لهم تقريبا وتوبيخا ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ أي: عذاب جهنم وقوله: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

لقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلُّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (3)، أي: خلقنا كل شيء مكتوباً

في اللوح المحفوظ.

قال الحسن: قدر الله كل شيء من خلقه قدر الذي ينبغي له⁽⁴⁾، والآية دليل على إثبات قدر الله السابق لخلقه وهو علمه الأشياء قبل كونها، وكتابتها لها قبل ظهورها.

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾، حديث رقم

(4877)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب ﴿سَيَهْزُمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبْرَ﴾، حديث رقم (11557).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾، حديث رقم (4876).

(3) سورة الفرقان الآية/2.

(4) ينظر: جامع البيان (160/22) في قول للطبري: قدرناه وقضيناها وفي هذا بيان أن الله عزوجل توعد هؤلاء المجرمين بالعذاب الأليم على تكذيبهم بالقدر مع كفرهم به، وقيل: نزلت هذه الآية في أناس من أمتي يكونون في آخر الزمان يكذبون بقدر الله، معالم التنزيل (435/7)، الدر المنثور (90/14).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: جاء مشركوا قريش إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - يخاصمونه في القدر فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤١﴾ ﴿٤٢﴾ رواه مسلم⁽¹⁾.

وعن زرارة⁽²⁾ مرفوعا «أنها نزلت في أناس من أمتي يكونون في آخر الزمان يكذبون بقدر الله» رواه ابن ماجه⁽³⁾.

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «سيكون في هذه الأمة أقوام يكذبون بالقدر» رواه احمد وأبو داود⁽⁴⁾.

وعن ابن عمر أيضا قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «سيكون في هذه الأمة مسخ ألا وذلك في المكذبين بالقدر والزندقية»⁽⁵⁾ رواه أحمد والترمذي وصححه⁽⁶⁾.

وعنه أيضا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لكل أمة مجوس، ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم» رواه أحمد⁽⁷⁾ وعنه أيضا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال له: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك، ولو

(1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر، حديث رقم (2656).

(2) زرارة بن أوفى أبو الحاجب العامري الإمام الكبير القاضي البصرة، البصري أحد الأعلام سمع من عمران بن حصين، وأبي هريرة، وابن عباس، روى عنه أيوب السخيتان، وقتادة، وبهز صح أنه قرأ في صلاة الفجر [فإذا نقر في الناقر] حرّ ميتاً وكان ذلك في سنة ثلاث وتسعين سببر أعلام النبلاء (81/8).

(3) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب المقدمة، باب في القدر، حديث رقم (83)، والطبراني في المعجم الكبير (276/5)، حديث رقم (5323)، وابن قانع في معجم الصحابة (344/4)، حديث رقم (1114).

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (90/2)، وأبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في القدر، حديث رقم (4710)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود.

(5) الزندقية: نسبة إلى الزندقة، وهي اسم لمذهب الزنديق قيل: وهو المبطن للكفر المظهر الإسلام أو من لا دين له، أو الذي يعبد الأصنام، حاشية المسند (109/10).

(6) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (108/10)، رقم (5867)، والترمذي في سننه، كتاب القدر، باب القدر، حديث رقم (2154)، وابن ماجه في سننه كتاب الفتن، باب الخسوف، حديث رقم (4061)، وصححه الترمذي ووافقه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (3282).

(7) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (415/9)، حديث رقم (5584)، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (10183).

اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك، جفت الأقسام، وطويت الصحف» رواه الترمذي وصححه⁽¹⁾.

وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر خيره وشره» رواه الترمذي وابن ماجه⁽²⁾.

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة» قال: ﴿وَكَانَ عَرَشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾⁽³⁾ رواه مسلم⁽⁴⁾.

وقوله: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ هذا إخبار عن نفوذ مشيئته في خلقه، كما أخبر بنفوذ قدره فيهم أي: إنما نأمر بالشيء مرة واحدة لا نحتاج إلى تأكيد بثانية، فيكون ذلك الذي نأمر به موجوداً كلمح البصر، أي: في طرفه لا يتأخر طرفه عين.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ يعني أمثالكم وسلفكم من الأمم الماضية المكذبين بالرسول ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ أي: فهل من منعظ بما أجرى الله على أولئك وقدر لهم من العذاب.

كما قال: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ﴾⁽⁵⁾ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ أي: مكتوب عليهم بأيدي الملائكة ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ أي: من أعمالهم ﴿مُسْتَظَرٌّ﴾ أي: مجموع عليهم ومسطر في صحائفهم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، كما سبق عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «يا

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، باب قول النبي يا حنظلة ساعة وساعة، (2706)، صححه الترمذي، ووافقه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (13917).

(2) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب القدر، باب القدر، حديث رقم (2145)، وابن ماجه في سننه، كتاب المقدمة، باب في القدر، حديث رقم (81) صححه الترمذي، ووافقه الألباني في صحيح سنن الترمذي، رقم (1744)، وفي صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (66).

(3) سورة هود الآية/7.

(4) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب القدر، باب ججاج آدم وموسى عليهما السلام، حديث رقم (6919).

(5) سورة سبأ الآية/54.

عائشة إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالبا» رواه احمد والنسائي وابن ماجه⁽¹⁾.
وعن سليمان بن المغيرة⁽²⁾ أنه عمل ذنبا فاستصغره فأثاه آت في منامه، فقال له
ياسليمان:

لا تحقرن من الذنوب صغيراً * * إن الصغير غداً يعود كبيراً
إن الصغير ولو تقادم عهده * * عند الإله مسطراً تسطيراً
فازجرهواك على البطالة لا تكن * * صعب القياد وشمرن تشميراً
إن المحب إذا أحبَّ إلهه * * طار الفؤاد وألمهم التفكيراً
فاسأل هدايتك الإله بنبيّة * * فكفى بربك هادياً ونصيراً⁽³⁾
وقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ أي: بعكس ما للأشقياء فيه من
الضلال والسعر أي: في بساتين وأنهار من الماء والخمر واللبن والعسل.

وقوله: ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾ أي: في دار كرامة ورضوان وفضله وامتنانه
﴿عِنْدَ مَلِيكَ مُقْتَدِرٍ﴾ أي: ملك الملوك الخالق للأشياء كلها ومقدرها وهو مقتدر
على ما يشاء على ما يطلبون ويريدون، قال الصادق⁽⁴⁾: [مدح الله المكان بالصدق
فلا يقعد فيه إلا أهل الصدق]⁽⁵⁾.

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (477/40)، حديث رقم (24415)، وابن ماجه في سننه، باب ذكر الذنوب،
حديث رقم (4233)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، حديث رقم (4243).
(2) سليمان بن المغيرة القيسي مولى بن ثعلبة من أهل البصرة، كنيته أبو سعيد، يروى عن الحسن وثابت، روى
عنه بن المبارك، وأهل العراق، مات سنة خمس وستين ومائة. الثقات لابن حبان (390/6).
(3) أخرجه ابن عساکر في تاريخ دمشق من طريق سعيد بن مسلم بن بآثك (301/21).
(4) السيد العالم جعفر الصادق بن علي بن زين العابدين بن عبد الله بن شيخ العيدروس الحسيني البمني الشافعي،
ولد بمدينة تريم من حضر موت سنة سبع وتسعين وتسعمائة، برع في التفسير، والفقه، والحديث والعريية
والحساب والفلک، فكان حسن الفهم مات (148هـ). البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (427/2).
(5) في هذه الآية وجهان، أحدهما: مقعد حق لا لغو فيه ولا تأثيم. الثاني: مقعد صدق لله، وعد أوليائه به،
والمليك والملك واحد وهو الله. النكت والعيون (421/3). وفي معنى آخر في قوله: ﴿مُقْتَدِرٍ﴾ أي: قادر،
وفائدة التثكير فيهما: أن يعلم: أن لاشيء إلا وهو تحت ملكه، مدارك التنزيل (408/3).

تفسير سورة الرحمن

وهي مكية

عن زر⁽¹⁾ أن رجلاً قال لابن مسعود: إني أقرأ المفصل في ركعة واحدة فقال: عبد الله أهدأ كهد الشعر لا أبالك؟ قد علمت قرائن⁽²⁾ النبي - صلى الله عليه وسلم - التي كان يقرن قرينتين قرينتين من أول المفصل، وكان أول مفصل ابن مسعود ﴿الرَّحْمَنُ﴾ رواه أحمد⁽³⁾.

وعن جابر⁽⁴⁾ قال: خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها، فسكتوا فقال: «لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله: ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ أَتَى كَذِبَانِ﴾ قالوا لا بشيء من نعمتك ربنا نكذب فلك الحمد» رواه الترمذي وغيره، وروى البزار نحوه⁽⁵⁾.

(1) زر بن حبيش بن حباشة بن أوس الأسيدي من أسد بني خزيمة يكنى أبا مريم، وقيل أبا مطرق أدرك الجاهلية ولم ير النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو من كبار التابعين روى عن عمر وعلي وابن مسعود روى عنه الشعبي والنخعي وكان فاضلاً عالماً بالقرآن توفي سنة ثلاث وثمانين للهجرة، أسد الغابة (299/2).

(2) القرائن هي التي تعين ضبط مثل هذه الكلمات فلا بدن من الاستعانة بالقرائن، لسان المحدثين (54/5)، وفي معنى آخر قد يجمع الكلام بين القرائن من اللفظ ويفرق بينهما في المعنى ويعرف ذلك من الأغراض والمقاصد، النهاية في غريب الحديث (7/2).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (412/1)، أسناده صحيح على شرط الشيخين، مسند الصحابة في الكتب التسعة (499/24).

(4) جابر عبدالله بن جنادة بن جندب بن رثاب بن سواءة بن عامر بن صعصعة العامري اختلف في كنيته فقيل أبو خالد وهو أخو سعد بن أبي وقاص وأمه خالدة بن أبي وقاص سكن الكوفة وابتنى بها دار توفي سنة ست وستين روى عن النبي أحاديث كثيرة، أسد الغابة (160/1).

(5) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة الرحمن، حديث رقم (2291)، والبزار كشف الأستار (74/3)، حديث رقم (2624)، والحاكم في المستدرک (515/2)، حديث رقم (3766)، وصححه الترمذي، ووافقه الذهبي في التلخيص وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2269).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَنُ ١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ٤ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
بِحُسْبَانٍ ٥ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ٦ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ٧ أَلَّا تَطْغَوْا فِي
الْمِيزَانِ ٨ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ٩ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ١٠
فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ١١ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ١٢ فَبِأَيِّ آيَاءِ
رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١﴾

أخبر - تعالى - عن فضله ورحمته أنه أنزل على عبده القرآن ويسر حفظه
وفهمه على من رحمه فقال: ﴿الرَّحْمَنُ ١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ٢﴾ يعني: محمداً ويسره للذكر
﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ٣﴾ يعني: آدم ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ يعني المنطق وذلك أنه - تعالى - يسر
النطق على الخلق لأداء تلاوته، وسهل خروج الحروف من مواضعها من الحلق
واللسان والشفنتين على اختلاف مخارجها وأنواعها.

وقوله: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ أي: يجريان متعاقبين بحساب معين لا
يختلف ولا يضطرب.

كما قال: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ (١) الآية قال عكرمة:

"لو جعل الله نور جميع أبصار الإنس والجن والدواب والطيور في عيني عبد ثم
كشف حجاباً دون الشمس لما استطاع أن ينظر إليها نور الشمس جزء من سبعين
جزءاً من نور الكرسي، ونور الكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش، ونور
العرش جزء من سبعين جزءاً من نور الستر. فانظر ماذا أعطى الله عبده من النور
في عينيه وقت النظر إلى وجه ربه الكريم عياناً" رواه ابن أبي حاتم (2).

وقوله ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ قال ابن عباس وغير واحد: النجم ما
انبسط على الأرض؛ يعني: من النبات (3)، وهو اختيار ابن جرير. وقال مجاهد وغيره:

(1) سورة يس الآية/40.

(2) تفسير ابن كثير (489/7).

(3) جامع البيان (174/22)، والنكت والعيون (424/5)، ومعالم التنزيل (442/7)، وتفسير ابن كثير (489/7).

هو النجم الذي في السماء وهو الأظهر⁽¹⁾.

كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴿١٨﴾﴾⁽²⁾ الآية. وأما الشجر فهو مادام على ساق.

وقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿١٩﴾﴾ يعني العدل كما قال: ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴿٢٠﴾﴾⁽³⁾.

وكذا قال ههنا: ﴿أَلَا تَطْعَمُونَ فِي الْمِيزَانِ ﴿٢١﴾﴾ أي: خلق السموات والأرض بالحق والعدل [لتكون] الأشياء كلها بالحق والعدل.

ولهذا قال: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٢٢﴾﴾ أي: تبخسوا الوزن بل زنوا بالحق والقسط كما قال ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَلْمُسْتَقِيمِ ﴿٢٣﴾﴾⁽⁴⁾.

وقوله: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْامِ ﴿٢٤﴾﴾ أي: كما رفع السماء وضع الأرض ومهداها وأرساها بالجبال الراسيات، لتستقر لما على وجهها من الأنام وهم الخلائق المختلفة أنواعهم وأشكالهم وألوانهم وألسنتهم في سائر أقطارها ﴿فِيهَا فَكِهَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ أي مختلفة الألوان والطعوم والروائح.

﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿٢٦﴾﴾ أفرد بالذكر لشرفه وكثرة نفعه رطباً و يابساً: قال ابن عباس وغيره الأكمام أوعية الطلع، لأن ثمر النخل يكون أولاً في غلاف مالم تنشق واحدها كم وكل ما سترسا فهو كم وكمة، ثم ينشق عن العنقود فيصير بسراً ثم رطباً ثم ينضج ويتأهي نفعه واستواؤه⁽⁵⁾.

عن الشعبي قال: كتب قيصر إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: أخبرك أن رسلي أتتني من عندك فرزعت أن قبلكم شجرة ليست بخليقة لشيء من

(1) تفسير الإمام مجاهد (636)، وتفسير ابن كثير (489/7).

(2) سورة الحج الآية/18.

(3) سورة الحديد الآية/25.

(4) سورة الشعراء الآية/182.

(5) ينظر: جامع البيان (182/22)، ومعالم التنزيل (442/7)، وتفسير ابن كثير (490/7).

الخير، تخرج مثل آذان الحمير عن مثل اللؤلؤ، ثم تخضر فيكون كالزمرد الأخضر، ثم تحمر فيكون كالياقوت الأحمر، ثم تينع فتضج فيكون كأطيب فالودج أكل، ثم تيبس فيكون عصمة للمقيم وزاداً للمسافر، فإن تكن رسلي صدقتي فلا أرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة، فكتب إليه عمر من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قصير ملك الروم، إن رسلك صدقتك هذه الشجرة عندنا وهي الشجرة التي أنبتها الله على مريم حين نفست بعيسى ابنها، فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلهاً من دون الله (1).

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾
 ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (2) وقيل: الأكام: رقابها وهو الليف الذي على عنق النخل (3) قاله قتادة والسدي ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾.

قال ابن عباس: ﴿الْعَصْفِ﴾ ورق الزرع الأخضر الذي قطع رأسه فهو يسمى العصف إذا يبس (4)، ولهذا قيل: هو التين.

وقال: الريحان خضرة الزرع ولعل المراد أن الحب كالقمح والشعير في حال نباته عصف، وهو ما على السنبله، وريحان وهو الورق الملتف على ساقها. وقيل: العصف الورق أول ما نبت الزرع بقلا، والريحان الورق يعني إذا أذجن وانعقد فيه الحب (5)، كما قال زهير في قصيدته المشهورة:

وقولا له من ينبت الحب في الثرى * * فيصبح منه البقل يهتز رايبا
 ويخرج منه حبه في رؤوسه * * ففي ذاك آيات لمن كان واعيا
 وقيل: هو الريحان المعروف قوله: ﴿فَبَأْيِ الْآلَاءِ رَبِّكُمَْا تُكْذِبَانِ﴾.

أي: فبأي الآلاء ربكما يامعشر من الإنس والجن تكذبان (6)؟ قاله مجاهد وغير

(1) تفسير ابن كثير (490/7).

(2) سورة آل عمران الآية/60.

(3) ينظر: جامع البيان (182/22)، والنكت والعيون (425/5)، ومعالم التنزيل (442/7).

(4) جامع البيان (183/22)، والنكت والعيون (426/5)، وتفسير ابن كثير (491/7).

(5) ينظر: جامع البيان (187/22)، والنكت والعيون (426/5)، وتفسير ابن كثير (491/7).

(6) ينظر: تفسير ابن كثير (491/7)، والدر المنثور (110/14).

واحد ويدل عليه السياق بعده أي: النعم ظاهرة عليكم وانتم مغمورون بها لا تستطعون إنكارها ولا جحودها فنحن نقول كما قالت الجن المؤمنون به: اللهم ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد. عن أسماء بنت أبي بكر (1) قالت: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يقرأ وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر والمشركون يستمعون ﴿فَبِأَيِّ آءِآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آءِآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آءِآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آءِآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آءِآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آءِآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾ .

ذكر - تعالى - خلقه الإنسان من صلصال كالفخار، وخلق الجن من نار من نار، وهو طرف لهبها، وخالصها وأحسنها (2) قاله ابن عباس وغير واحد، وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجن من نار وخلق آدم مما وصف لكم» (3).

﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ يعني مشرقي الصيف والشتاء ومغربهما، كما قال في الآية الأخرى ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ (4) وذلك باختلاف مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم، وبروزها منه إلى الناس.

وفي آية أخرى ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ (5) والمراد منه جنس المشارق والمغرب، ولما كان في اختلاف هذه المشارق والمغرب مصالح

(1) أسماء بنت أبي بكر الصديق، واسم أبي بكر: عبد الله بن عثمان، القرشية التيمية زوج الزبير بن العوام، وهي أم عبد الله بن الزبير وكانت أسن من عائشة وهي أختها لأبيها أسلمت بعد سبعة عشر عاماً وهاجرت إلى المدينة، روى عنها عبد الله بن عباس وابنها عروة. ت 73 هـ أسد الغابة (8/7).

(2) ينظر: تفسير ابن كثير (492/7)، والدر المنثور (110/14).

(3) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الزهد، باب في أحاديث متفرقة، رقم (2996).

(4) سورة المعارج الآية/40.

(5) سورة المزمل الآية/9.

للخلق من الثقلين ﴿فَبِأَيِّ آءِآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ وقوله: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ أي: أرسلهما وخلاهما ومنعهما أن يلتقيان بما جعل بينهما من البرزخ الحاجز الفاصل، والمراد بقوله البحرين: المالح والحلو، فالحلو هذه الأنهار الجارية بين الناس كما سبق في سورة الفرقان واختيار ابن جرير وهنا أن المراد بحر السماء وبحر الأرض⁽¹⁾.

كما قال مجاهد وغيره، لأن اللؤلؤ يتولد من السماء وأصداف البحر، وهذا لا يساعده اللفظ⁽²⁾ فإنه تعالى قال: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزُخٌ لَا يُبْغِيَانِ﴾ أي: وجعل بينهما حاجز من الأرض لئلا يبغى ذلك على هذا وهذا على ذلك، فيفسد كل واحد منهما الآخر ويزيله عن صفته التي هي مقصودة منه، والمرجان من مجموعهما فإذا وجد ذلك من أحدهما كفى، كما قال: ﴿يَمَعَشَرَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾⁽³⁾ والرسل إنما كانوا من الإنس خاصة دون الجن، والمرجان قيل: هو صغار اللؤلؤ⁽⁴⁾ قاله مجاهد وغيره، وقيل: هو كباره وجيده، حكاه ابن جرير من بعض السلف، وقيل: هو نوع من الجواهر أحمر اللون يتخذ منه الخرز، قال ابن عباس: ما سقطت قطرة من السماء في البحر فوقعت في صدفة إلا كان منها لؤلؤة⁽⁵⁾، وفي رواية فإذا لم يقع في صدفة نبت منها عنبرة ولما كان اتخاذ هذه الحلية نعمة على أهل الأرض، امتنّ بها عليهم.

وقال: ﴿فَبِأَيِّ آءِآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

وقوله: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ﴾ أي: السفن التي تجري في البحر، قال مجاهد: ما رفع قلعه من السفن فهو منشأة وما لم يرفع قلعه فليس بمنشأة⁽⁶⁾، وقيل: يعني المخلوقات، وقيل: هي - بكسر الشين - تعني البادئات. ﴿كَأَلَّا عَالِمِ﴾ أي: كالجبال في كبرها وما فيها من المتاجر والمكاسب المنقولة من قطر، إلى قطر مما

(1) جامع البيان (200/22)، والنكت والعيون (429/5)، والدر المنثور (113/14).

(2) ينظر: جامع البيان (201/22)، وتفسير ابن كثير (492/7).

(3) سورة الأعراف الآية/130 .

(4) ينظر: جامع البيان (206/22)، وتفسير ابن كثير (493/7).

(5) ينظر: الدر المنثور (114/14).

(6) جامع البيان (211/22)، ومعالم التنزيل (445/7)، وتفسير ابن كثير (493/7).

فيه صلاح الناس في جلب ما يحتاجون إليه من أنواع البضائع ولهذا قال: ﴿فَبِأَيِّ آءِ آءِ رَبِّكُمْ أَتُكذَّبَانِ﴾، وعن عميرة بن سويد⁽¹⁾ قال: كنت مع علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - على شاطئ الفرات إذ أقبلت سفينة مرفوع شراعها فبسط علي يديه ثم قال: يقول الله: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ والذي أنشأها تجري في بحوره ما قتلت عثمان ولا مالات على قتله. ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٦٧﴾ فَبِأَيِّ آءِ آءِ رَبِّكُمْ أَتُكذَّبَانِ ﴿٦٨﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٦٩﴾ فَبِأَيِّ آءِ آءِ رَبِّكُمْ أَتُكذَّبَانِ ﴿٧٠﴾﴾.

أخبر - تعالى - أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون، وكذلك أهل السموات إلا من شاء الله، ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم، فإن الرب - تعالى وتقدس - لا يموت أبداً وهذه الآية كقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴿٧٨﴾﴾⁽²⁾ ذو الجلال أي: هو أهل أن يجل، فلا يعصى وأن يطاع فلا يخالف، قال ابن عباس: أي ذو العظمة والكبرياء، ولما أخبر عن تساوي أهل الأرض كلهم في الوفاة، وأنهم سيصيرون إلى الدار الآخرة فيحكم فيه ذو الجلال والإكرام بحكمه العدل⁽³⁾ قال: ﴿فَبِأَيِّ آءِ آءِ رَبِّكُمْ أَتُكذَّبَانِ﴾.

وقوله: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا إخبار عن غناه عما سواه وافتقار جميع الأرض إليه في جميع الحالات، وأنهم يسألون بلسان حالهم ومقالهم، وإنه: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ أي: يجيب داعياً ويعطي سائلاً، ويفك عانيا ويشفي سقيماً ويكشف كرباً ويغفر ذنباً⁽⁴⁾، قاله مجاهد.

وقال قتادة: لا يستغني عنه أهل السموات والأرض يحيي ميتاً ويميت حياً، ويربي صغيراً ويفك أسيراً وهو منتهى حاجة الصالحين، وصریخهم ومنتهى شكواهم

(1) عميرة بن سعد الهمداني اليامي أبو السكن، الكوفي، تابعي ثقة، روى عن علي وعنه أبي هريرة في بضع عشر رجلاً من الصحابة، روى عنه الزبير بن عدي وطلحة وغيرهم، مات سنة (80هـ)، تهذيب التهذيب (135/8).

(2) سورة القصص الآية/88.

(3) ينظر: معالم التنزيل (445/7)، وتفسير ابن كثير (494/7)، والدر المنثور (118/14).

(4) جامع البيان (213/22)، النكت والعيون (433/5)، والدر المنثور (121/14).

ومغشبيهم⁽¹⁾، وعن عبد الله الأزدي⁽²⁾، قال: تلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:
﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فقلنا: يارسول الله وما ذاك الشأن؟ قال: «أن يغفر ذنبا،
ويفرج كرباً، ويرفع قوماً ويضع آخرين» رواه ابن جرير⁽³⁾، وعن ابن أبي حاتم مثله
وروى مرفوعاً عن أبي الدرداء⁽⁴⁾ كما علقه البخاري بصيغة الجزم من كلامه، وعن
ابن عباس أن الله خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء دفتاه ياقوته حمراء قلمه نور
وكتابه نور عرضه ما بين السماء والأرض، ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة
يخلق في كل نظرة، ويحيي ويميت، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء⁽⁵⁾.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣٦﴾ فَبِأَيِّ آءِ آءٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٧﴾ يَمَعَشَرَ الْجِنِّ
وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَتَفَدُّوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُدُوا لَا تَتَفَدُّونَ إِلَّا
بِسُلْطَانٍ ﴿٣٨﴾ فَبِأَيِّ آءِ آءٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٩﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا
تَنْتَصِرَانِ ﴿٤٠﴾ فَبِأَيِّ آءِ آءٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤١﴾﴾ .

قال ابن عباس وغيره: هذا وعيد العباد بالمحاسبة، وليس المراد الفراغ عن
شغل؛ لأنه - تعالى - لا يشغله شأن⁽⁶⁾.

كما قال البخاري: سنحاسبكم لا يشغله شيء عن شيء، كما يقول العرب
لأفرغن لكم وما به شغل أي: لأخذنك على غرتك⁽⁷⁾. وقال ابن جريج أي: سيقضي لكم

(1) ينظر: جامع البيان (212/22)، وتفسير ابن كثير (495/7).

(2) عبد الله بن سخبرة الأزدي الشنوي الكوفي أبو معمر المشهور بكنيته، وهو صحابي جليل، وأحد العشرة المعدودين
من أصحاب عبد الله بن مسعود، وله أحاديث وقد خرج أبو عوانة حديثه في صحيحه وكذلك ابن حبان وتوفي
في ولاية عبيد الله بن زياد سنة (62هـ)، إكمال تهذيب الكمال (375/7، 376).

(3) رواه ابن جرير في تفسير (214/22) وابن حبان في الجامع الصحيح، باب الفقر والزهد والقناعة، حديث رقم
(688)، وصححه الألباني في صحيح ابن حبان (الظلال) حديث رقم (301).

(4) أبو الدرداء اسمه عويمر بن عامر بن مالك بن زيد بن قيس بن أمية الخزرجي وأمه محبة بنت واقد بن عمر بن
الأطنابية تأخر إسلامه قليلاً كان آخر أهل داره إسلاماً، كان فقيهاً عاقلاً حكيماً أخى رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - بينه وبين سليمان الفارسي شهد ما بعد أحد من المشاهد ولي أبو الدرداء قضاء دمشق، أسد الغابة في معرفة
الصحابة (168/3).

(5) جامع البيان (2159/22)، ومعالم التنزيل (446/7)، وتفسير ابن كثير (4969/07).

(6) ينظر: جامع البيان (216/22)، النكت والعيون (4349/5)، والدر المنثور (123/14).

(7) معالم التنزيل (447/7)، وتفسير ابن كثير (496/7).

وقوله ﴿أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ يعني الإنس والجن، كما جاء في الصحيح في حديث سؤال القبر يسمعه كل شيء إلا الثقلين وفي رواية إلا الإنس والجن، ثم قال: ﴿يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا﴾ أي: تجوزوا وتخرجوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: من جوانبها وأقطارها وأطرافها ﴿فَأَنْفُذُوا﴾ أي: إن استطعتم أن تهربوا من الموت والخروج من تلك الأقطار فاهربوا واخرجوا منها ولكن لا تستطعون هرباً من أمر الله وقدره بل هو محيط بكم لاتقدرون على التخلص من حكمه فيكم.

﴿إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ أي: بأمر الله ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُغُ﴾ ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٧﴾⁽¹⁾. ولهذا قال: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنَحَّاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ قال ابن عباس الشواظ: لهب النار أو دخانه⁽²⁾، وقال مجاهد: هو اللهب الأخضر المنقطع⁽³⁾ وقال أبو صالح: هو اللهب الذي فوق النار ودون الدخان⁽⁴⁾، وقال الضحاك: أي سيل من نار ونحاس أي دخان⁽⁵⁾ قال ابن جرير: والعرب تسمى الدخان: نحاساً، بضم النون وكسرهما⁽⁶⁾، والقراءة مجمعة على الضم، قال النابغة:

يضىء كضوء سراج السليط* * لم يجعل الله فيه نحاساً⁽⁷⁾
أي دخانا وعن نافع بن الأرزق أنه سأل ابن عباس عن الشواظ فقال: هو اللهب الذي لا دخان معه، فسأله شاهداً على ذلك من اللغة، فأنشد بيت أمية بن أبي الصلت⁽⁸⁾ في حسان:

(1) سورة القيامة الآية/12.

(2) جامع البيان (222/22)، والنكت والعيون (5م434)، وتفسير ابن كثير (7/497)، والدر المنثور (14/125).

(3) جامع البيان (223/22)، وتفسير ابن كثير (7/497)، والدر المنثور (14/125).

(4) ينظر: تفسير ابن كثير (7/497).

(5) تفسير الضحاك (821/822)، وتفسير ابن كثير (7/498).

(6) جامع البيان (226/22)

(7) ديوان النابغة الجعدي (2/244)

(8) أمية بن أبي الصلت الشاعر المشهور ذكره بن السكن في الصحابة، وقال لم يدركه الإسلام وقد صدقه النبي - صلى الله عليه وسلم - في بعض شعره وقال قد كاد أمية أن يسلم، وفي البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً في الحديث ((كاد أمية بن الصلت أن يسلم)) وأم أمية رقية بنت عبد شمس بن عباد بن عبد مناف، فلماً مرض مرض الموت جعل يقول: قد دنا أجلي وأنا أعلم أن الحنفية حق ولكن السك يداخلني.

ألا من مبلغ حسان عني** مغلغلة تدب إلى عكاظ
 أليس أبوك فينا كان قينا** إلى القينات فسلا في الحفاظ
 يمانيا يظل تشب كبيراً** وتنفخ ذا يبا لهب الشواظ (1)
 قال: صدقت، فما النحاس؟ قال: هو الدخان الذي لا لهب له، قال: فهل
 تعرفه العرب؟ قال: نعم، أما سمعت نابغة بني ذبيان يقول:

يضىء كضوء سراج السليط** لثم يجعل الله فيه نحاساً
 وقال مجاهد وغيره: النحاس هو الصفر يذاب فيصب على رؤوسهم (2)،
 والمعنى على كل قول: لو ذهبتم هاربين يوم القيامة لردتكم الملائكة والزبانية بإرسال
 اللهب من النار، والنحاس المذاب عليكم لترجعوا ولهذا قال: ﴿فَلَا تَنْتَصِرَانِ فَبِأَيِّ
 ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (36).

﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (37) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (38) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُعْرِفُ
 الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤَخِّدُهُمْ إِلَى التَّوَصُّي وَالْأَقْدَامِ (39) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (40)
 هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (41) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ (42) فَبِأَيِّ
 ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (43).

يعني ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ يوم القيامة وانفجرت كقوله ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ﴾ (3)
 ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ يذوب كما يذوب الدردي والفضة في السبك، ويتلون كما يتلون
 الأصباغ التي يدهن بها، فتارة حمراء، وتارة صفراء، وتارة خضراء وزرقاء وذلك من شدة الأمر
 وهول يوم القيامة، كما قال أنس بن مالك: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (يبعث
 الناس يوم القيامة والسماء يطيش عليهم) (4) قيل الطيش: المطر الضعيف.

(1) ديوان أمية ابن ألي الصلت (168)

(2) ينظر: جامع البيان (225/22)، البحر المحيط (198/8)، الدر المنثور (126/14)

(3) سورة الإنشقاق الآية/1.

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (320/21)، حديث رقم (13814)، وأبو الفضل في الجامع الصحيح للسنن
 والمسانيد (220/2)، باب تخفيف يوم القيامة على المؤمنين، حديث رقم (13841).

وقال ابن عباس: ﴿ وَرَدَّةٌ كَالِدِهَانِ ﴾ هو الأدهم الأحمر كالفرس الورد، وعن البغوي⁽¹⁾ وغيره: أن الفرس الورد يكون في الربيع صفراء وفي الشتاء حمراء فإذا اشتد البرد تغير لونها.

وقال الحسن ألوانا، وقيل: يكون كالمهل كدردي الزيت، قال مجاهد: يوم ذي ألوان، قال ابن جريج⁽²⁾: [تصير] السماء كالدهن الذائب، وذلك حين يصيبها حر جهنم.

وقوله: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾، كقوله: ﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾⁽³⁾ فهذا في مقام وحال ثم في مقام وحال، فإنه يسأل الخلائق عن جميع أعمالهم.

قال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾⁽⁴⁾ قال ابن عباس: لا يقال لهم هل عملتم كذا وكذا؛ لأنه تعالى أعلم بذلك ولكن يقال لهم: لم عملتم كذا وكذا، قال أبو العالية عن المجرم ذنب المجرم⁽⁵⁾، وقيل لا تسأل الملائكة المجرمين لأنهم يعرفونهم بسيماهم، وذلك بعد ما يؤمر بهم إلى النار، فيقادون إليها ويلقون فيها.

كما قال تعالى ﴿ يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ ﴾ يظهرهم عليهم قال الحسن وقتادة: يعرفونهم بأسوداد الوجوه وزرقة العيون. كما يعرف المؤمنون بالغرة والتحجيل من الضوء⁽⁶⁾.

وقوله: ﴿ فَيُؤَخِّدُ بِالتَّوَصَّى وَالْأَقْدَامِ ﴾ أي: بجميع الزبانية نواصيهم مع أقدامهم من خلف، ويلقون في النار، قال ابن عباس: يؤخذ بناصية الكافر وقدميه

(1) هو الإمام الحافظ المجتهد محيي السنة أبو محمد الحسين بن محمد الفراء البغوي الشافعي ويلقب بركن الدين أحد العلماء الذين خدموا الكتاب العزيز والسنة النبوية، من مصنفاته ((شرح السنة)) والمصابيح كان إماما زاهدا فقيها محدثا مفسرا، طبقات الشافعية الكبرى (75/7).

(2) معالم التنزيل (4369/5)، وتفسير ابن كثير (498/7).

(3) سورة المرسلات الآية/36.

(4) سورة الحجر الآية/93.

(5) ينظر: جامع البيان (230/22)، والنكت والعيون (436/5)، وتفسير ابن كثير (499/7).

(6) جامع البيان (231/22)، ومعالم التنزيل (450/7)، وتفسير ابن كثير (499/7)

ويكسر كما يكسر الحطب في التنور⁽¹⁾. فقال لهم تقريباً وتوبيخاً: ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ أي: هذه النار التي كنتم تكذبون بوجودها، هاهي حاضرة تشاهدونها عياناً.

وقوله: ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ أي: تارة يعذبون في الجحيم، وتارة يسقون من الحميم، وهو الشراب الذي هو كالنحاس يقطع الأمعاء والأحشاء، وهذا كقوله تعالى: ﴿ إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾⁽²⁾ ومعنى آن: حار قد بلغ الغاية في الحرارة لا يستطيع من شدته،

قال ابن عباس: قد انتهى عليه واشتد حره، وبه قال مجاهد وغير واحد⁽³⁾: ولما كان معاقبة العصاة المجرمين من عدله وتنعيم الهداة المتقين من فضله ولطفه بخلقه، وكان إنذاره لهم مما يزرهم عما هم فيه من المعاصي والكفر، قال ممتناً بذلك على بريته: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٦١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٢﴾ ذَوَاتَا أَفْتَانٍ ﴿٦٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٤﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٦٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٦﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٦٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

قال ابن شوذب⁽⁴⁾ وعطاء: نزلت آية ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ في أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - والصحيح أنها عامة أي: ولمن خاف مقامه بين يدي الله - تعالى - يوم القيامة ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾⁽⁵⁾ ولم يطع ولا آثر الحياة الدنيا، وعلم أن الآخرة خير وأبقى فأدى فرائض الله، واجتنب محارمه، فله يوم القيامة عند ربه جنتان.

(1) تفسير القرطبي (147/20)، والدر المنثور (130/14)، وتفسير الضحاك (823)

(2) سورة غافر الآية/72.

(3) جامع البيان (233/22)، وتفسير ابن كثير (500/7)، وتفسير السدي (447)

(4) عبد الله بن شوذب أبو عبد الرحمن الخرساني البلخي كان مولده سنة 86 هـ، سكن البصرة وسمع بها الحسن البصري وابن سيرين وأبا نضرة ثم انتقل إلى الشام وسكن بيت المقدس وقدم دمشق وسمع بها مكحولاً وحج معه، (ت 144هـ)، تاريخ دمشق (164/29) .

(5) سورة النازعات الآية/40

وفي الصحيحين عن عبد الله بن قيس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ أُنِيَّتَهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ أُنِيَّتَهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءٌ وَالْكَبِيرُ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ»⁽¹⁾.

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «قرأ يوماً هذه الآية: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ فقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ فقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ فقلت: وإن زنى وإن سرق يارسول الله؟ فقال: «وإن رغم أنف أبي الدرداء» رواه النسائي وابن جرير⁽²⁾.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة» رواه الترمذي⁽³⁾.

وهذه الآية شاملة للإنس والجن، فهي من أدل دليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا وانتقوا.

ولهذا امتنّ - تعالى - على الثقلين بعد الجزاء فقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ ثم نعت هاتين الجنيتين فقال: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ أي: أغصان نضرة حسنة تحمل من كل ثمرة نضيجة فائقة ﴿فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، قال عطاء وجماعة: الأفنان أغصان الشجر يمس بعضها بعض⁽⁴⁾، وقال مجاهد وغيره: واحدها فنن وهو الغصن المستقيم طولاً⁽⁵⁾. وقال ابن عباس وغير واحد: أي: ذواتا

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿وَمِنْ ذُنُوبِهِمَا جَنَّتَانٍ ٦٢﴾ رقم (4878)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم، رقم (296).

(2) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب سورة الرحمن (478/6)، حديث رقم (11560)، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (369/15) حديث رقم (7147).

(3) أخرجه الترمذي في سننه كتاب صفة القيامة، باب أيما مؤمن أطمع مؤمناً على جوع، حديث رقم (2450)، وصححه الترمذي، ووافقه الألباني في السلسلة الصحيحة الكاملة، حديث رقم (954).

(4) جامع البيان (241/22)، وتفسير ابن كثير (502/7)

(5) معالم التنزيل (452/7)، وتفسير الضحاك (825)

ألوان. يعني أنواعاً من الملاذ⁽¹⁾.

وقال قتادة: ﴿ذَوَاتًا أَفْنَانٍ﴾ يعني بفضلها وسعتها ومزيتها على ما سواها⁽²⁾.

وعن أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذكر سدره المنتهى فقال: «يسير في ظل الفن منها الراكب مائة سنة - أو قال يستظل في ظل الفن منها مائة راكب - فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال» رواه الترمذي⁽³⁾.

وقال عطاء⁽⁴⁾: كل غصن يجمع فنونا من الفاكهة⁽⁵⁾ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ أي: تسرحان لسقي تلك الأشجار والأغصان ليثمر من جميع الألوان، قال الحسن: يقال لأحدهما التسنيم وللآخر السلسبيل⁽⁶⁾.

وقال عطية⁽⁷⁾: أحدهما من ماء غير آسن، والآخر من خمرلذة للشاربين⁽⁸⁾. ولهذا قال بعدها ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ رَوْحَانٍ﴾ أي: من جميع أنواع الثمار مما تعلمون وخير مما تعلمون، فإن ثم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴿فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، قال ابن عباس: ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل. إلا إنه حلو، وليس في الدنيا مما في الآخرة إلا أسماء⁽⁹⁾ يعني: أن بين ذلك بوناً عظيماً، وفرقا بيناً في التفاضل والله أعلم .

(1) النكت والعيون (438/5)، والدر المنثور (139/14)، وتفسير الضحاك (825)

(2) ينظر: جامع البيان (241/22)، ومعالم التنزيل (452/7)

(3) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في صفة ثمار أهل الجنة، حديث رقم (2541)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي حديث رقم (458).

(4) عطاء بن عبدالله بن أبي مسلم، وأبو مسلم اسمه ميسرة الخرساني مولى المهلب بن أبي صفرة، سكن الشام، ومن الشام بيت المقدس، مات سنة (153هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال (358/5).

(5) معالم التنزيل (452/7)، وتفسير ابن كثير (502/7)

(6) معالم التنزيل (452/7)، وتفسير ابن كثير (503/7)

(7) عطية بن قيس الكلابي، ويقال الكلاعي أبو يحيى الحمصي روى عن أبي بن كعب ومعاوية والنعمان بن بشير وأبي الدرداء، روى عنه ابنه سعد وسعيد بن عبد العزيز وعبد الرحمن بن يزيد، وكان الناس يصلحون مصاحفهم على قراءة عطية بن قيس، (ت110هـ)، تهذيب التهذيب (116/3).

(8) معالم التنزيل (452/7)، وتفسير ابن كثير (503/7)

(9) الدر المنثور (141/14)، وتفسير القرطبي (152/20)، وروح المعاني (117/27)، والبحر المحيط (195/8).

﴿ مُتَّكِعِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَلَصِرَاتُ الْظَّرْفِ لَمْ يَطْمِئْتُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

﴿ مُتَّكِعِينَ ﴾ يعني: أهل الجنة، والانكاء هنا الاضطجاع وقيل: الجلوس على صفة التربع ﴿ عَلَى فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا ﴾ جمع بطانة وهي التي تحت الظهارة ﴿ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ وهوما غلظ من الديباج، وقيل: هو الديباج المعمول بالذهب، فنبه على شرف الظهارة شرف البطانة، تنبيهها بالأدنى على الأعلى.

قال ابن مسعود هذه البطائن، فكيف لو رأيتم الظواهر، وقال ابن دينار: بطائنها من إستبرق وظواهرها من نور. ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ أي: ثمرها قريب إليهم متى شاعوا تناولوه على أي صفة كانوا، كما قال: ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾⁽¹⁾ ولما ذكر الفراش وعظمتها قال بعده ﴿ فِيهِنَّ ﴾ أي: في الفراش ﴿ قَلَصِرَاتُ الْظَّرْفِ ﴾ أي: غضضات عن غير أزواجهن، فلا يرين شيئا أحسن من أزواجهن قاله ابن عباس وغيره⁽²⁾، وقد ورد أن الواحدة منهن تقول لبعلمها: والله ما أرى في الجنة شيئا أحسن منك.

فالحمد لله الذي جعلك لي وجعلني لك. ﴿ لَمْ يَطْمِئْتُنَّ إِنْسٌ ﴾ أي: لم يفتشهن ولم يجامعن، وأصله من الدم أي لم يدمهن بالجماع ﴿ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ عن أبي ثعلبة الخشني⁽³⁾.

قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الجن ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء، وصنف حيّات وكلاب، وصنف يحلون ويظعنون) رواه البيهقي⁽⁴⁾، ثم قال ينعتهن للخطاب ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ قال مجاهد:

(1) سورة الحاقة الآية/23

(2) ينظر: جامع البيان (246/22)، ومعالم التنزيل (453/7)، وتفسير ابن كثير (504/7)، وروح المعاني (118/27).

(3) أبو ثعلبة الخشني صاحب النبي - صلى الله عليه وسلم - روى عنه أحاديث، حدث عنه أبو إدريس الخولاني، وجبير بن نفير نزل بالشام وقيل: سكن داريا وقيل: اسمه حرثوم بن عمرو وقيل: جرهم بن ناشم ت 75 هـ تهذيب التهذيب (49/12)، وسير أعلام النبلاء (567/2).

(4) أخرجه الحافظ ابن حجر العسقلاني في المطالب العلية (85/10)، رقم الحديث (3532)، باب الإيمان بالجن، الحديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، المستدرک على الصحيحين (495/2) حديث رقم (3702).

أي في صفاء الياقوت وبياض المرجان⁽¹⁾.

عن ابن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حريرحتى يرى مخها) فإن الله تعالى يقول ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ وأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت عليه سلكاً ثم استصفيته لرأيته من ورائه) رواه ابن أبي حاتم ورواه الترمذي موقوفاً⁽²⁾.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: قال: (للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين، على كل واحدة سبعون حلة، يرى مخ ساقها من وراء الثياب) رواه أحمد⁽³⁾

وقال ابن سيرين⁽⁴⁾ إما تفاخروا وإما تذاكروا، الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟ فقال أبوهريرة: أولم يقل أبوالقاسم - صلى الله عليه وسلم -: (أن أول زمرة يدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضواء كوكب دري في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب) رواه أحمد⁽⁵⁾. وأهل الحديث مخرّج في الصحيحين.

وقوله: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ أي: ما لمن أحسن العمل في الدنيا إلا الإحسان إليه في الآخرة كما قال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ، وَزِيَادَةٌ﴾⁽⁶⁾.

(1) جامع البيان (250/22)، والدر المنثور (147/14).

(2) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة الجنة، باب صفة نساء أهل الجنة، حديث رقم (2533)، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادة (459/1) حديث رقم (4587).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (220/14) حديث رقم (8542)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، بلفظ (من ورائها).

(4) محمد بن سيرين الأنصاري مولاهم أبو بكر ابن أبي عمرة البصري إمام وقته روى عن أنس بن مالك وزيد بن ثابت، ومعاوية، وأبي الدرداء وهو من تلاميذته وطائفة من التابعين، ومات بالبصرة سنة (110هـ)، تهذيب التهذيب (190/9).

(5) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب صفة الجنة، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، (2834).

(6) سورة يونس الآية/26.

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:
﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ وقال: (هل تدرون ما قال ربكم) قالوا: الله
ورسوله أعلم. قال: (يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة) رواه البيهقي
في تفسيره. (1)

ولما كان في الذي ذكر نعمة عظيمة لا تقاومها عمل بل مجرد تفضل
وامتنان قال بعد ذلك كله: ﴿ فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٣٦﴾ فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٧﴾ مُدْهَمَّتَانِ ﴿٣٨﴾ فَبِأَيِّ
آءَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ﴿٤٠﴾ فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤١﴾
فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٤٢﴾ فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٣﴾ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٤٤﴾
فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ لَمْ يَطْمِئْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾
مُتَّكِعِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ تَبَرَّكَ
أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٥٢﴾ .

هاتان الجنتان دون اللتين قبلهما في المرتبة والفضيلة والمنزلة بنص القرآن،
وقد سبق في الحديث: جنتان من ذهب أنيتهما وما فيهما، فالأوليان للمقربين
والأخريان لأصحاب اليمين قاله أبو موسى (2).

قال ابن يزيد: من دونهما في الفضيلة والدرجة (3) هكذا عن ابن عباس.
والدليل على شرف الأوليين على الآخرين أنه نعت الأوليين قبل هاتين والتقديم يدل
على الاعتناء، وهو ظاهر في شرف التقدم وعلوه على الثاني وأنه قال هناك: ﴿ ذَوَاتَا
أَفْتَانٍ ﴾ وهي الأغصان والفنون وهي الملاذ.

وقال: ههنا ﴿ مُدْهَمَّتَانِ ﴾ أي: سوداوان من شدة الري قال ابن عباس: قد

(1) معالم التنزيل للبيهقي (456/7)، قال: أخبرنا أبو سعيد الشريحي، عن الزبير بن عدي عن أنس بن مالك.

وضعه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها حديث رقم (4984).

(2) جامع البيان (254/22)، ومعالم التنزيل (456/7)، وتفسير ابن كثير (506/7).

(3) ينظر: جامع البيان (254/22)، وتفسير ابن كثير (507/7).

اسودتا من الخضرة من شدة الري من الماء⁽¹⁾ وبه قال كثير من الصحابة والتابعين.
 وقال القرطبي: أي ممثلتان من الخضرة⁽²⁾، وقال هناك: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾
 وقال هنا: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ أي: فياضتان والجري أقوى من النضخ، وقيل:
 أي ممثلتان لا تقطعان. وقال هناك ﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ وقال ههنا ﴿ فِيهِمَا
 فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ ولا شك أن الأولى أعزّ وأكثر في الأفراد والتنوع على فاكهة، وهي
 نكرة في سياق الإثبات لا تعم ولهذا ليس قوله ﴿ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾.

من باب عطف الخاص على العام، كما قرره البخاري. وأفراد النخل والرمان
 بالذكر لشرفهما على غيرهما. وفي مسند عبيد بن حميد عن عمر بن الخطاب - رضي
 الله عنه - قال: جاء أناس من اليهود إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالوا: يا
 محمد أفي الجنة فاكهة؟ قال: (نعم فيها فاكهة ونخل ورمان) قالوا: أفيأكلون كما
 يأكلون في الدنيا؟ قال: (نعم وأضعاف) ذلك قالوا: فيقضون بالحوائج؟ قال: (لا
 ولكنهم يعرقون ويرشحون فيذهب الله ما بهم من أذى)⁽³⁾.

قال ابن عباس: نخل الجنة سعتها كسوة لأهل الجنة، منها مقطعاتهم ومنها
 حلهم وكربها ذهب أحمر وجذوعها زمرد أخضر، وثمرها أحلى من العسل وألين من
 الزبد وليس له عجم⁽⁴⁾.

وعن أبي سعيد - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:
 (نظرت على الجنة فإذا الرمانه من رمانتها كالبعير المقتب). رواها ابن أبي حاتم⁽⁵⁾.

ثم قال: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ أي: خيرات كبيرة حسنة في الجنة قاله
 قتادة، وقيل: جمع خيرة وهي المرأة الصالحة الحسنة الخلق والوجه، قاله الجمهور
 وعن أم سلمة قالت قلت: يارسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخبرني عن الخيرات

(1) ينظر: جامع البيان (256/22)، النك والعيون (441/9)، والدر المنثور (152/14).

(2) تفسير ابن كثير (507/7).

(3) أخرجه عبيد ابن حميد في مسنده، باب مسند عمر بن الخطاب، حديث رقم (35).

(4) ينظر: جامع البيان (261/22)، والدر المنثور (156/14)، وتفسير ابن كثير (508/7).

(5) لم أقف عليه عند ابن أبي حاتم، ورواه السيوطي في الدر المنثور (157/14)،

الحسان، قال: « خيرات الأخلاق، خيرات الوجوه»⁽¹⁾.

ثم قال: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ هناك قال ﴿ فِيهِنَّ قَلْصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾ ولا شك أن التي قصرت طرفها بنفسها أفضل من ممن قصرت وإن كان الجميع مخدرات. قال ابن مسعود: لكل مسلم خيرة، ولكل خيرة خيمة، أربعة أبواب يدخل عليه كل يوم تحفة وكرامة وهدية، لم يكن قبل ذلك لا مرحات ولا طمحات ولا بخرات ولا ذفرات، حور عين كأنهن بيض مكنون.

وقوله ﴿ فِي الْخِيَامِ ﴾ عن عبد الله بن قيس: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن في الجنة خيمة من لؤلؤ مجوفة عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخريين يطوف عليهم المؤمنون» رواه البخاري⁽²⁾.

وقال أبو الدرداء: الخيمة لؤلؤة واحدة فيها سبعون باباً من درّ رواه ابن أبي حاتم⁽³⁾.

وعن أبي سعيد - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم، واثنان وسبعون زوجة، وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء» رواه الترمذي⁽⁴⁾.

وقوله: ﴿ لَمْ يَطْمِئُنْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ سبق تفسيره قريباً إلا إنه زاد في وصف الأوائل بقوله: ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾.

وقوله: ﴿ مُتَّكِعِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ قال ابن عباس وغيره الرفرف: المحابس والبسط واحدها رفرقة⁽⁵⁾.

(1) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس، باب مآثور الخطاب (154/3)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (253/2)، حديث رقم (2230).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾، رقم (4879).

(3) تفسير ابن كثير (509/7).

(4) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة، باب ما جاء ما لأهل الجنة من كرامة، رقم (2565)، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد.

(5) جامع البيان (247/22)، النكت والعيون (443/5)، ومعالم التنزيل (458/5).

وقال العلاء ابن زيد الرفرف على السرير كهيئة المحابس المتدلي⁽¹⁾. وقيل يعني: الوسائد، قال ابن جبير: الرفرف رياض الجنة⁽²⁾، وقال ابن عباس وغير واحد: العبقرى: الزرابي⁽³⁾.

وقال سعيد بن جبير: هي: عتاق الزرابي يعني: جيادها⁽⁴⁾. وقيل: الديباج، وسئل الحسن عن العبقرى فقال: هي بسط أهل الجنة لا أبا لكم فاطلبوها⁽⁵⁾، وقيل: إنها المرافق، وقال زيد بن أسلم العبقرى: أحمر، وأصفر، وأخضر، والبسط أسفل من ذلك⁽⁶⁾، وقيل: هي الطنافس المحملة إلى الرقة، قال القبيسي: كل ثوب موشي عند العرب عبقرى، ومنه قال - عليه الصلاة والسلام - في عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: (فلم أر عبقرياً يفري فريه)⁽⁷⁾.

وعلى كل تقدير فصفة مرافق أهل الجنتين الأوليين أرفع وأعلى من هذه الصفة، فإنه قال هناك: ﴿مُتَّكِعِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ فنعت بطائن فرشهم، وسكت عن ظواهرها اكتفاء بما مدح به البطائن بطريق الأولى والأخرى وتام الخاتمة أنه قال بعد الصفات المتقدمة: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ فوصف أهلها بالإحسان، وهو أعلى المراتب والنهايات فهذه وجوه عديدة في تفضيل الجنتين الأوليين على هاتين الأخريين، جعلنا الله من أهلها، ثم قال: ﴿تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ أي: هو أهل أن يجلّ ولا يعصى، وأن يكرم فيعبد، ويشكر فلا يكفر، وأن يذكر فلا ينسى، قال ابن عباس: أي ذي العظمة والكبرياء⁽⁸⁾.

(1) تفسير ابن كثير (509/7).

(2) معالم التنزيل (458/7)، والدر المنثور (169/14).

(3) جامع البيان (276/22)، وتفسير ابن كثير (509/7).

(4) معالم التنزيل (459/7)، والدر المنثور (169/14)، وتفسير ابن كثير (509/7).

(5) تفسير ابن كثير (509/7).

(6) ينظر: جامع البيان (277/22)، ومعالم التنزيل (451/7).

(7) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي

العدوي - رضي الله عنه - رقم (3682)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل

الصحابة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - رقم (23923).

(8) جامع البيان (278/22)، وتفسير ابن كثير (510/7).

وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أجلّوا الله يغفر لكم» رواه أحمد⁽¹⁾.

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشبهة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه وإكرام السلطان المقسط» رواه أبو داود والبيهقي في شعب الإيمان⁽²⁾.

وعن أنس وغيره أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام» وفي رواية «بذي الجلال والإكرام» رواه أحمد والنسائي⁽³⁾.

ومعنى ألظوا: الزموا ويقال: الإلظاظ: هو الإلحاح وكلاهما واحد في المعنى وهو مداومة واللزوم، وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يقعد يعني بعد الصلاة إلا بقدر ما يقول: «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام»⁽⁴⁾.

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (199/5)، ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة وأثرها.
(2) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، رقم (4843)، والبيهقي، كتاب السنن الكبرى (163/8)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، رقم (4053).
(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (138/29)، والنسائي في السنن الكبرى، باب ذو الجلال والإكرام، حديث رقم (77169)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (1536).
(4) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، حديث رقم (591).

تفسير سورة الواقعة

وهي مكية

عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يارسول الله قد شبت، قال: «شبيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، و﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾⁽¹⁾ و﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾⁽²⁾» رواه الترمذي وحسنه⁽²⁾⁽³⁾، وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً» رواه البيهقي⁽⁴⁾ في شعب الإيمان، وعن ابن عساكر في ترجمة ابن مسعود عن جابر بن سمرة⁽⁵⁾ قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «يصلي الصلوات كنحو من صلواتكم التي تصلون اليوم، ولكنه كان يخفف، وكان يقرأ في الفجر الواقعة و نحوها من السور» رواه مسلم وغيره⁽⁶⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ۝ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۝ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَاءً مُتْبَثًّا ۝ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝﴾ .

(1) سورة التكويد الآية/1

(2) سورة النبأ الآية/1

(3) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة الواقعة (12/131 حديث رقم (3609)، وصححه الترمذي ووافقه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (1/604) حديث رقم (6036).

(4) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم (2498)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة حديث رقم (289).

(5) جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب بن حجيرة بن سودة بن عامر اختلف في كنيته فقيل: أبو خالد وقيل: أبو عبد الله وهو حليف بني زهرة بن أخت سعد بن أبي وقاص، وأمه خالدة بنت أبي وقاص روى أحاديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أحاديث كثيرة سكن الكوفة وابتنى بها ت 66هـ أسد الغابة (1/488).

(6) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب المساجد، باب وقت العشاء وتأخيرها، (4/258)، حديث رقم (1486)، والإمام أحمد في مسنده (34/504) حديث رقم (20995).

الواقعة اسم من أسماء يوم القيامة سميت بذلك لتحقق كونها ووجودها أي: قامت القيامة ونزلت صيحتها وهي النفخة الأخيرة .

﴿لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ أي: ليس لوقوعها إذا أراد الله كونها صارف يصرفها ولا مانع يدفعها، قال ابن جرير: (والكاذبة مصدر كالعافية والعاقبة)⁽¹⁾، بمعنى كذب يعني: لا بد وأن تكون ليس فيها رجعة.

وقوله: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أي: يخفض أقواماً إلى أسفل السافلين وإن كانوا في الدنيا أعزاء، ويرفع آخرين إلى أعلى عليين وإن كانوا في الدنيا أذلاء، قال الحسن وغيره، كما قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الساعة خفضت أعداء الله إلى النار ورفعت أولياء الله إلى الجنة فاسمعت القريب والبعيد⁽²⁾، وقوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾ أي: حركت تحريكاً، وزلزلت زلزلاً قاله ابن عباس وغيره⁽³⁾، كقوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾⁽⁴⁾، قال الربيع⁽⁵⁾: رَجَّتْ بما فيها فينهدم كل ما عليها كرجّ الغريال بما فيه، وأصل الرج التحريك⁽⁶⁾، وقوله: ﴿وُئِسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ أي: فتتفتتاً، قاله ابن عباس وغيره⁽⁷⁾.

وقال ابن زيد: أي: صارت الجبال ﴿كثيباً مهيلًا﴾⁽⁸⁾ وقوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ قال علي - رضي الله عنه - الهباء هو الذي يطير من النار إذا اضطربت يطير منه الشرر فإذا وقع لم يكن شيئاً.

وقال عكرمة: المنبث الذي ذرته الريح وبثته⁽⁹⁾، وقيل: كيبس الشجر الذي

(1) جامع البيان (22/279) .

(2) ينظر: جامع البيان (22/280، 281)، والدر المنثور (14/175)، وتفسير ابن كثير (7/514).

(3) معالم التنزيل (7/8)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل (1184).

(4) سورة الزلزلة الآية/1.

(5) الربيع ابن أنس البكري ويقال الحنفي، البصري، نزل خراسان، روى عن أنس بن مالك، وأبي العالية، مات في خلافة أبي جعفر المنصور، وذكر الذهبي أنه توفي سنة (139هـ)، تهذيب التهذيب (3/207).

(6) ينظر: تفسير ابن كثير (7/514).

(7) جامع البيان في تأويل القرآن (22/283)، ومعالم التنزيل (7/8).

(8) سورة المزملة الآية/14.

(9) تفسير ابن كثير (7/515).

تذروه الرياح، وهذه الآية كأخواتها الدالة على زوال الجبال عن أماكنها يوم القيامة، وذهابها وتسييرها ونسفها وصيرورتها كالعهن المنفوش.

وقوله: ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ أي: ينقسم الناس إلى ثلاثة أصناف: قوم عن يمين العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن، فيؤتون كتبهم بأيمانهم فيؤخذ بهم ذات اليمين، قال السدي: (وهم جمهور أهل الجنة، وآخرون عن يسار العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر فيؤخذ بهم ذات الشمال فيؤتون كتبهم بشمالهم وهم عامة أهل النار، وطائفة سابقون بين يديه، وهم أخص وأقرب من أصحاب اليمين وهم سادتهم، فيهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء، وهم أقل عدداً من أصحاب اليمين)⁽¹⁾.

ولهذا قال: ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۗ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۗ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۗ ﴾ هكذا قسمهم إلى هذه الأنواع الثلاثة في آخر السورة وهكذا ذكرهم في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ۖ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ ۗ ﴾⁽²⁾، على أحد القولين في الظالم لنفسه في سورة الملائكة، وبه قال ابن عباس⁽³⁾.

وقال مجاهد: ﴿ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ أي: فرقا وقيل: أفواجا وأصنافا اثنان في الجنة وواحدة في النار⁽⁴⁾، وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «أتدرون من السابقون إلى ظل الله يوم القيامة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «الذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا سئلوا بدلوه وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم» رواه أحمد⁽⁵⁾ وقيل: الأنبياء على مراتبهم، وقيل: السابقون في الإسلام، وقيل: إلى الهجرة، وقيل: هم الذين صلوا القبلتين.

(1) ينظر: جامع البيان (287/22)، ومعالم التنزيل (8/8)، وتفسير ابن كثير (515/7).

(2) سورة فاطر الآية/32.

(3) ينظر: تفسير القرطبي (181/20)، وتفسير ابن كثير (515/7).

(4) ينظر: جامع البيان (288/22)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل (1184).

(5) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (69/6)، حديث رقم (24443)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (101).

وقيل: المسارعون إلى التوبة وإلى أعمال البر، وقيل: إلى كل مادعى الله إليه، وقيل: أولهم رواحاً إلى المسجد، وأولهم خروجاً في سبيل الله ولكل وجهة ودليل من القرآن فمن سبق في هذه الدار إلى الخيرات كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة فإن الجزاء من جنس العمل.

ولهذا قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ أي: إلى جوار القدس. ﴿فِي جَنَّاتٍ

النَّعِيمِ﴾.

﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ۖ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ ١٣ ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۖ مُمْتَكِينَ بَيْنَ عَلَيْهَا مَتَابِلِينَ ۖ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۖ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۖ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۖ وَفَلَكَهَاتِمَا يَتَخَيَّرُونَ ۖ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۖ وَحُورٌ عِينٌ ۖ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُوبِ الْأَمْكُونِ ۖ جَزَاءً لِّمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا ۖ إِلَّا قِيْلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾.

أخبر - تعالى - عن هؤلاء السابقين المقربين أنهم ثلثة؛ أي: جماعة من الأولين وقليل من الآخرين، قيل: المراد بالأولين الأمم الماضية، وبالآخرين هذه الأمة، وهذا عن مجاهد والحسن، وهو اختيار ابن جرير⁽¹⁾، واستأنس بقوله - عليه الصلاة والسلام -: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة».

كما روى أبوهريرة، قال: لما نزلت ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ۖ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ شق ذلك على أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ثلاث أهل الجنة، بل أنتم نصف أهل الجنة، أو شطر أهل الجنة وتقاسمونها النصف الثاني» رواه أحمد وابن أبي حاتم⁽²⁾. فقوله - عليه الصلاة والسلام -: «إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، الحديث بتمامه وهو مفرد في صفة الجنة»، ولكن فيما اختاره ابن جرير نظر، أن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن، فيبعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر،

(1) ينظر: جامع البيان (291/22)، ومعالم التنزيل (9/8)، وتفسير القرطبي (184/20).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (328/23)، وابن أبي حاتم (3330/10) وابن ماجه في سننه، حديث رقم

(4283)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته حديث رقم (8142).

اللهم إلا أن نقابل مجموع الأمم بهذه الأمة⁽¹⁾.

والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم، والراجح في هذا المقام أن يكون المراد بقوله: ﴿ثُمَّ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ صدر هذه الأمة ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ أي: من هذه الأمة⁽²⁾، كما قال الحسن: أما السابقون فقد مضوا ولكن اللهم اجعلنا من أصحاب اليمين، فقرأ الحسن هذه الآية وقال: ﴿ثُمَّ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ممن مضى من هذه الأمة ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ كانوا يقولون أو يرجون أن يكونوا كلهم من هذه الأمة، وبه قال ابن سيرين: أن الجميع من هذه الأمة، ولاشك أن أول كل أمة خير من آخرها، فيحتمل أن تعم الآية جميع الأمم كل أمة بحسبها⁽³⁾.

ولهذا ثبت في الصحاح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» الحديث بتمامه⁽⁴⁾.

وأما الحديث الذي رواه أحمد والترمذي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره»⁽⁵⁾، فبعد الحكم بصحة إسناده، محمول على أن الدين كما هو محتاج إلى أول هذه الأمة في إبلاغه إلى من بعدهم، كذلك هو محتاج إلى القائمين به في أواخرها والفضل للمتقدم وكذلك الزرع محتاج إلى المطر الأول وإلى الثاني.

ولكن العمدة الكبرى للأول واحتياج الزرع إليه أكد، فإنه لولاه لما نبت في الأرض ولا تعلق أساسه فيها، ولهذا قال - عليه الصلاة والسلام -: «لا تزال طائفة من

(1) تفسير ابن كثير (518/7)، وأضواء البيان (824/7).

(2) الدر المنثور (182/14).

(3) تفسير ابن كثير (7519).

(4) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب فضائل، باب فضائل أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم (3450)، بلفظ (خير أمتي قرني)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم حديث رقم (2533) بلفظ (خير أمتي القرن الذين يلوني).

(5) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (334/19)، والترمذي في سننه، باب ما جاء في مثل ابن آدم وأجله وأمله. حديث رقم (2869)، وصححه الترمذي، ووافقه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، (293/22) حديث رقم (10793).

أمّتي ظاهرين على الحقّ لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم إلى قيام الساعة» وفي لفظ «حتى يأتي أمر الله - تعالى - وهم على ذلك» هكذا في الصحيحين⁽¹⁾، والغرض أن هذه الأمة أشرف من سائر الأمم والمقربون فيها أكثر من غيرها على منزلة لشرف دينها وعظم نبيها، والأحاديث في شرف هذه الأمة وفضلها كثيرة، وقوله: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ أي: منسوجة بالذهب واللؤلؤ، هكذا عن ابن عباس وغير واحد⁽²⁾.

قال عكرمة: (مشبكة بالدر والياقوت)،⁽³⁾ قال ابن جرير: (ومنه وضين الناقة التي تحت بطنها، لأنه مضافور، كذلك السرر في الجنة مضافورة بالذهب واللائي)⁽⁴⁾.

وقوله: ﴿مُتَّكِبِينَ عَلَيْهَا مُتَّقِلِينَ﴾ أي: وجوه بعضهم إلى بعض ليس أحد وراء أحد، ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ على صفة واحدة لا يكبرون عنها ولا يشيبون ولا يتغيرون، ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ أم الأكواب فهي: الكيزان التي لا خراطيم لها ولا آذان، والأباريق التي جمعت الوصفين والكؤوس الهنديات، أي: الفصاع والجميع من خمر من عين جارية معين ليس من أوعية تنقطع ويفرغ من عيون ساحة.

وقوله: ﴿لَّا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أي: لا يصدع رؤوسهم ولا ينزف عقولهم، بل هي ثابتة مع الشدة المطرية واللذة الحاصلة.

وقد سبق عن ابن عباس أنه قال: في الخمر أربع خصال: السكر، والصداع، والقيء، والبول، فذكر الله خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال، أي: ليس لهم فيها صداع رأس⁽⁵⁾، ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أي: لا يذهب بعقولهم.

وقوله: ﴿وَفَلَكِهَةٌ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ أي: يطوفون عليهم بما يتخيرون من

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب العلم، باب قوله: لا تزال طائفة من أمّتي، حديث رقم (71)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قوله: لا تزال طائفة من أمّتي، حديث رقم (5059).

(2) ينظر: النكت والعيون (450/5)، ومعالم التنزيل (9/8)، والدر المنثور (183/14).

(3) جامع البيان (292/22)، وتفسير ابن كثير (521/7).

(4) ينظر: جامع البيان (292/22، 293)، وتفسير القرطبي (185/20)، وتفسير ابن كثير (521/7).

(5) ينظر: جامع البيان (298/22)، والنكت والعيون (451/5)، ومعالم التنزيل (10/8).

الثمار، وفيه دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخير لها .

كما روى عكراش بن ذؤيب⁽¹⁾ قال: أتينا بجفنة كثيرة الثريد والوزر، فخطت يدي في نواحيها وأكل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين يديه فقبض بيده اليسرى على يدي اليمنى ثم قال: « ياعكراش كل من موضع واحد فإنه طعام واحد ». ثم أتينا يطبق ألوان التمر فجعلت آكل من بين يدي، وجالت يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الطبق فقال: « ياعكراش كل من حيث شئت فإنه غير لون واحد ». ثم أتينا بماء فغسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يده ومسح يده بببل كفيه وجهه وذراعيه ورأسه، وقال: « ياعكراش هذا الوضوء مما غيرت النار » رواه الترمذي وابن ماجه⁽²⁾.

وعن أنس قال: أتت امرأة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت: يارسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأيت كأني أتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنة، فسمعت وجبة ارتجت إليها الجنة، فنظرت فإذا فلان بن فلان وفلان بن فلان فسميت اثني عشر رجلاً.

كان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد بعثهم سرية قبل ذلك فجاء بهم عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم، فقيل اذهبوا بهم إلى نهر البيذخ أو البيذج، قال: فغمسوا فيه فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر، فأتوا بصحفة من ذهب فيها بسر فأكلوا من بسرها ما شاءوا فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا، وأكلت فجاء البشير من تلك السرية فقال: ما كان من رؤيا كذا وكذا فأصيب فلان وفلان حتى عدّ اثني عشر رجلاً، فدعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المرأة فقال: « قصي رؤياك فقصتها، وجعلت تقول: فجاء بفلان وفلان كما قال » هذا الحديث على شرط مسلم رواه أحمد⁽³⁾.

(1) عكراش بن ذؤيب التميمي المنقري بن حرقوص بن جعدة بن عبيد أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - بصدقات قومه،

ولم يذكر إتمام النسب قال عكراش بعثتني بنو مرة بن عبيد بصدقات أموالهم إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم -

فقدت المدينة فوجدته جالسا في المهاجرين والأنصار، أسد الغابة في معرفة الصحابة، (281/2).

(2) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الأطعمة، باب في ترك الوضوء قبل الطعام، حديث رقم (1848)، وابن ماجه

في سننه، كتاب الطهارة، باب الوضوء مما غيرت النار، حديث رقم (523) بلفظ (توضئوا مما غيرت النار،

وضئوا الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، حديث رقم (706).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (135/3)، وأبو يعلى في مسنده (44/6)، حديث رقم (3289)، وابن حبان في

الجامع الصحيح (418/13)، حديث رقم (6054)، وقال ابن حبان إسناده قوي على شرط مسلم كتاب الرؤيا.

وعن ثوبان⁽¹⁾ قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى» رواه الطبراني⁽²⁾.

وقوله: ﴿وَلَحْمَ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ عن أنس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «إن طير الجنة كأمثال البخت ترعى في شجرة الجنة» فقال أبو بكر: يارسول الله إن هذه لطير ناعمة، فقال: «آكلها أنعم منها - قالها ثلاثة - وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها» تفرد به أحمد⁽³⁾.

وعنه أيضاً أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- سئل عن الكوثر قال: «نهر أعطانيه ربي في الجنة أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر» فقال: عمر إنها لناعمة، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «آكلها أنعم منها» رواه الترمذي وحسنه⁽⁴⁾.

وقوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ وقرأ بعضهم بالرفع على تقدير: ولهم فيها حور عين! وقراءة الجر يحتمل معنيين: أحدها: أن يكون تابعا لما قبله من القرائن.

كما قال: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴿٢١﴾﴾⁽⁵⁾ والثاني: أن يكون مما يطوف به الولدان المخلدون عليهم الحور العين، ولكن يكون ذلك في القصور والخيام لا في المجالس والمجامع. وقوله: ﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ أي: كأنهم اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه، كما تقدم في سورة الصافات ﴿كَأَنَّهِنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢١﴾﴾⁽⁶⁾ وصفهن أيضاً.

(1) ثوبان بن جدد مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبوا عبد الرحمن وهو من حمير من اليمن وقيل هو من السراة موضع بين مكة واليمن فثبت على ولاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ولم يزل معه سفيراً وحضراً وخرج إلى الشام فنزل إلى الرملة، ت 54هـ. أسد الغابة (480/1).

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (102/2) وأبو الفضل في جامع السنن والمسانيد، حديث رقم (1358)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (1446).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (221/3)، حديث رقم (1331).

(4) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة الجنة، باب صفة طير الجنة، حديث رقم (2542)، وصححه الترمذي، ووافقه الألباني.

(5) سورة الإنسان الآية/21.

(6) سورة الصافات الآية/49.

ولهذا قال: ﴿ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: هذا الذي أتحفناهم به مجازاة لهم على ما أحسنوا من العمل، ثم قال: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا ۗ إِلَّا قِيلًا سَلَمًا سَلَمًا ۗ ﴾ أي: لا يسمعون في الجنة كلاماً لاغياً ؛ أي: عبثاً خالياً عن المعنى أو بلا فائدة في معنى حقير ﴿ وَلَا تَأْتِيًا ﴾ أي: ولا كلاماً قبيحاً ﴿ إِلَّا قِيلًا سَلَمًا سَلَمًا ﴾ أي: إلا التسليم منهم بعضهم على بعض.

كما قال: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۗ ﴾⁽¹⁾ ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۗ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ۗ وَظَلِّ مَمْدُودٍ ۗ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ۗ وَفَكَهْفٍ كَثِيرٍ ۗ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۗ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۗ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ۗ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۗ غُرَبًا ۗ أَثْرَابًا ۗ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ۗ ثُلَّةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ۗ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۗ ﴾

لما ذكر - تعالى - مآل السابقين وهم المقربون، عطف عليهم حال أصحاب اليمين، وهم الأبرار، فإن منزلتهم دون منزلة السابقين، فقال: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ يعني: أي شيء أصحاب اليمين تعجبا وما حالهم وكيف مآلهم ثم فسر فقال: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ فقال ابن عباس وجماعة وابن جرير: هو الذي لاشوك فيه.

وفي رواية عنه أنه هو الموقر بالثمر، والظاهر أن المراد كلاهما⁽²⁾، كما قال قتادة: كنا نتحدث أنه الموقر الذي لاشوك فيه، فإن سدر الدنيا كثير الشوك، قليل الثمر غالباً، وفي الآخرة على العكس موفر الثمر بلا شوك⁽³⁾.

وعن سليم بن عامر⁽⁴⁾ قال: أقبل أعرابي يوماً فقال: يارسول الله ذكر الله في الجنة شجرة تؤذي صاحبها، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (ما هي؟) قال: السدر فإن له شوكاً مؤذياً. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أليس الله يقول

(1) سورة يونس الآية/23.

(2) جامع البيان (307/22)، النكت والعيون (453/5).

(3) تفسير ابن كثير (525/7)

(4) سليم بن عامر، أبو عامر أدرك الجاهلية ولم ير النبي - صلى الله عليه وسلم - وهاجر في عهد أبي بكر الصديق، روى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعمار بن ياسر، (ت 130 هـ). الاستيعاب (1/289).

﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾؟ خضد الله شوكة فجعل مكان كل شوكة ثمرةً فإنها لتتبت ثمرًا يفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام ما فيها لون يشبه الآخر) رواه أبو بكر (1) النجاد (2)، يقال خضد شوكة إذا قطع ونزع منه وقوله: ﴿ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴾، قال أبو سعيد: هو الموز، وبه قال ابن عباس وغيره، وقال ابن زيد: أهل اليمن يسمون الموز الطلح (3)، وقال الحسن: هو شجر له ظل بارد طيب (4)، وقال السدي: منضود مصفوف، قال ابن عباس: يشبه طلح الدنيا، ولكن له ثمر أحلى من العسل (5)، قال الجوهري: الطلح في اللغة الطلع (6).

وقد روى عن علي - رضي الله عنه - أنه قال: وطلع منضود فعلى هذا يكون من صفة السدر، فكأنه مخضود أن طلعه منضود وهو كثرة ثمره وقوله: ﴿ وَظَلِّ مَّدُودٍ ﴾، في الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها) (7)، اقرأوا إن شئتم ﴿ وَظَلِّ مَّدُودٍ ﴾ قال ابن جرير: فبلغ ذلك كعبا فقال: صدق والذي أنزل التوراة على موسى والقرآن على محمد (8)، لو أن رجلاً ركب حقة أو جذعة ثم دار بأعلى تلك الشجرة ما بلغها حتى تسقط هرمًا، إن الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه، وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة، وما في الجنة إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة.

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، باب سورة الواقعة، حديث رقم (3778)، وصححه الذهبي في التلخيص.

(2) هو الإمام سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي، صاحب السنن، وله عدة تصانيف، من كبار حفاظ الحديث، كان إمام أهل العراق، سمع من أبي عمرو الضريري، ومسلم بن إبراهيم، حدث عنه الترمذي، والنسائي، ولد سنة (203هـ)، تذكرة الحفاظ (127/2).

(3) النكت والعيون (454/5)، ومعالم التنزيل (12/8).

(4) معالم التنزيل (12/8)، وتفسير ابن كثير (194/20).

(5) الدر المنثور (206/10)، وتفسير ابن كثير (526/7).

(6) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (401/2)، وتفسير ابن كثير (526/7).

(7) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب سورة الواقعة، حديث رقم (4599)، ومسلم في صحيحه، كتاب صفة الجنة، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها، حديث رقم (2826).

(8) جامع البيان (313/22).

وفي رواية في الصحيحين عن أبي سعيد وسهل بن سعد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام فما يقطعها»⁽¹⁾ وهذا حديث متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث لتعدد طرقه وقوة أسانيدِهِ.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ما في الجنة شجرة إلاّ وساقها من ذهب» رواه الترمذي وحسنه⁽²⁾.

وقوله: ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ يعني: مصبوب، يجري في غير أخدود، كما سبق في تفسير قوله تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾⁽³⁾.

وقوله: ﴿وَفَكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ أي: وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الألوان مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وفي الصحيحين في حديث صلاة الخسوف قال: «إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا»⁽⁴⁾.

وقوله: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾⁽⁵⁾ أي: لا تنقطع شتاء ولا صيفاً بل أكلها دائم مستمر مهما طلبوا وجدوا لا يمتنع عليهم بقدرة الله شيء.

وقال قتادة: لا يمنعهم من تناولها عود ولا شوك ولا بعد⁽⁵⁾، كما في الحديث: «إذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها أخرى». وفي رواية «ما قطعت من ثمار الجنة إلاّ أبدل الله مكانها ضعفين»⁽⁶⁾. وقوله: ﴿فُرُشٍ مَّرْقُوعَةٍ﴾ أي: عالية وطبينة ناعمة، عن أبي سعيد

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب صفة الجنة والنار، حديث رقم (3252)، ومسلم في صحيحه، كتاب صفة الجنة، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها، حديث رقم (2826).

(2) أخرجه الترمذي في سننه، باب صفة شجر الجنة، حديث رقم (2525) وقال: حديث حسن غريب من حديث أبي سعيد، وصححه الألباني.

(3) سورة محمد - صلى الله عليه وسلم - الآية/15

(4) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى الأمام في الصلاة، حديث رقم (748)، ومسلم في صحيحه، كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي - صلى الله عليه وسلم - في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار، حديث رقم (907).

(5) ينظر: جامع البيان (381/22)، وتفسير القرطبي (197/20).

(6) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (102/2)، حديث رقم (1449)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة (138/7)، حديث رقم (3146).

عن النبي - صلى الله عليه و سلم - في قوله: ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ قال: «ارتفاعها كما بين السماء والأرض» رواه النسائي والترمذي وحسنه⁽¹⁾، قال بعضهم: معنى هذا الحديث ارتفاع الفرش في الدرجات وبعد ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض.

وقال الحسن: ارتفاع فراش الرجل من أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة⁽²⁾ وقيل: المراد بالفرش النساء، والعرب تسمي المرأة فرشاً ولباساً مرفوعة أي: رفعت بالجمال والفضل على نساء الدنيا، ولهذا رتب عليه ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴾ أي: أعدناهن في النشأة الآخرة بعد ما كن عجائز رمصاً، صرن أبقاراً أي: بعد الثبوبة عدن أبقاراً عرباً متحبيبات إلى أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة. وقيل ﴿ عُرْبًا ﴾ أي: غنجات.

وعن أنس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم -: ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴾ «قال عجائز كن في الدنيا عمشاً رمصاً» رواه الترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم⁽³⁾.

قيل: جرى ضمير أنشأناهن على غير مذكور لكن لما دلّ السياق وهو ذكر الفرش على النساء اللاتي يضاجعهن فيها، اكتفى بذلك عن ذكرهن، وعاد الضمير عليهن كما في قوله ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾⁽⁴⁾ بمعنى الشمس على المشهور.

قال أبو عبيدة⁽⁵⁾: ذكرن في قوله: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ وفي مسند عبد بن حميد عن الحسن قال: أنت عجوز فقالت: يارسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال: «يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز»، قال: فولت تبكي قال:

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب ما جاء في صفة ثياب أهل الجنة، حديث رقم (3294)، وحسنه الترمذي، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، حديث رقم: (1609).

(2) معالم التنزيل (13/8)، والدر المنثور (198/14).

(3) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة الواقعة، حديث رقم (3296)، وابن جرير في تفسيره (321/22)، وابن أبي حاتم (3331/10)، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، حديث رقم (3204).

(4) سورة ص الآية/32.

(5) أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي مولاها، البصري النحوي، صاحب التصانيف، ولد في سنة (110هـ)، في الليلة التي توفي فيها حسن البصري، حدّث عن هشام ابن عروة، وحدث عنه علي بن المديني، سير أعلام النبلاء (471/17).

(فأخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله يقول: ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ۝ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۝ ﴾⁽¹⁾).

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكاراً» رواه الطبري⁽²⁾.

وعن أنس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «يعطى المؤمن قوة كذا وكذا في النساء، قلت: يارسول الله وبطيق ذلك؟ قال: يعطى قوة مائة» رواه الترمذي وصححه⁽³⁾.

وقال ابن عباس: العرب العواشق لأزواجهن وأزواجهن لهن عاشقون وبه قال كثيرون⁽⁴⁾، قال ابن بريرة⁽⁵⁾: في قوله: ﴿ عُرْبًا ﴾ هي الشكلة بلغة أهل مكة والغنجة بلغة أهل المدينة⁽⁶⁾.

وفي قوله: ﴿ أَتْرَابًا ﴾ قال ابن عباس: يعني في سن واحدة ثلاث وثلاثين سنة⁽⁷⁾. وقال مجاهد: الأتراب المستويات⁽⁸⁾. وقال السدي: أي في الأخلاق المتواخيات بينهن، ليس بينهن تباغض ولا تحاسد⁽⁹⁾، يعني: لا كما كن في الدنيا ضرائر متعاديات. وقيل: أي مستويات الأسنان يتألفن جميعاً ويلعبن جميعاً.

وعن علي - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «إن في الجنة لمجتمعاً للحوار العين رفعن أصواتاً لم تسمع الخلائق بمثلهما، يقلن

(1) أخرجه الترمذي، كتاب السنن، باب ما جاء في صفة مزاح رسول الله - صلى الله عليه وسلم- حديث رقم (230)، وعبد بن حميد، كتاب الشمائل المحمدية (199/1).

(2) رواه ابن جرير في تفسيره (322/22).

(3) أخرجه الترمذي، كتاب السنن، باب ما جاء في صفة جماع أهل الجنة، حديث رقم (2536)، وقال الألباني: حسن صحيح. صحيح سنن الترمذي حديث رقم (2059).

(4) ينظر: تفسير الإمام مجاهد (643)، البحر المحيط (207/8).

(5) عبدالله بن بريرة بن الحصيب الأسلمي، أبو سهل الأسلمي، المروزي، الإمام الحافظ، شيخ مرو وقاضيهما، حدث عن أبيه، وعمران بن الحصين، وذلك في سنن الترمذي، مات سنة (105هـ)، سير أعلام النبلاء (52/9).

(6) النكت والعيون (455/5)، وتفسير القرطبي (199/20)، والدر المنثور (202/14).

(7) النكت والعيون (455/5)، ومعالم التنزيل (15/8)، وتفسير ابن كثير (534/7).

(8) جامع البيان (329/22)، والدر المنثور (203/14).

(9) النكت والعيون (456/5)، وتفسير ابن كثير (534/7).

نحن الخالدات فلا نبديد، ونحن الناعمات نبأس⁽¹⁾، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له» رواه الترمذي⁽²⁾.

وعن أنس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن الحور العين ليغنين في الجنة يقلن: نحن خيرات حسان خلقنا لأزواج كرام» رواه الحافظ الموصلي⁽³⁾.

وقوله: ﴿لَأَصْحَابِ﴾ أي: خلقن وادّخرن لأصحاب اليمين وزوجهن لهم وهو متعلق بقوله: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾ قاله ابن جرير، ويمكن أن يكون متعلقاً بما قبله وهو قوله: ﴿أَثْرَابًا﴾⁽⁴⁾ أي: في إنشائهم.

كما في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على ضوء أشدّ كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتقلون ولا يتمخطون أمشاطهم الذهب ورسحهم المسك ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء»⁽⁵⁾.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يدخل أهل الجنة الجنة جرذاً مرداً بيضاً جعاداً مكحلياً أبناء ثلاث وثلاثين، وهم على خلق آدم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع» رواه أحمد وللترمذي نحوه⁽⁶⁾.

وقوله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ أي: جماعة من الأولين وجماعة من الآخرين، قال ابن عباس: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ قال

(1) نبأس: أي لا نفقر ولا نحتاج، قال في القاموس بؤس ككرم وبؤس كسمع، بؤساً اشتدت حاجته، تحفة الأحوزي (242/7).

(2) أخرجه الترمذي في سننه، باب كلام الحور العين، حديث رقم (2564)، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، حديث رقم (1982).

(3) أخرجه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (402/4)، والترمذي في سننه، باب ما جاء في كلام الحور العين، حديث رقم (2565)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (1602).

(4) التسهيل لعلوم التنزيل (401/2، 402).

(5) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب خلق آدم، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، حديث رقم (3327)، ومسلم في صحيحه، كتاب صفة الجنة، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة، حديث رقم (2834).

(6) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (210/14) حديث رقم (8524)، والترمذي في سننه، باب رؤية الرب تبارك وتعالى، حديث رقم (2552)، وصححه الترمذي، ووافقه الألباني في الجامع الصغير وزيادته (1404/1) حديث رقم (14032).

رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «هما جميعا من أمتي» رواه ابن جرير (1).

وعن ابن عباس قال: خرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يوماً فقال: «عرضت عليّ الأمم فجعل يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي معه الرهط والنبي ليس معه رهط، والنبي ليس معه أحد، ورأيت معه سواداً كثيراً سدّ الأفق فرجوت أن يكون أمتي فقيل هذا موسى في قومه، ثم قيل لي انظر فرأيت سواداً كثيراً سدّ الأفق فقيل لي انظر هكذا وهكذا، فرأيت سواداً كثيراً سدّ الأفق فقيل لي هؤلاء أمّتك ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم يبين لهم»، فتذاكر أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم- فقالوا: أمّا نحن فولدنا في الشرك ولكنّا آمنّا بالله ورسوله، ولكن هؤلاء هم أبناؤنا فبلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم- فقال: «هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكاشة بن محصن فقال: آمنهم أنا يارسول الله قال نعم، فقام آخر فقال: آمنهم أنا قال «سبقك بها عكاشة» رواه البخاري (2).

وعن عبد الله بن مسعود عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: «عرضت عليّ الأنبياء الليلة بأتباعها حتى أتى عليّ موسى كبكبة بني إسرائيل قلت أي ربّ فأين أمّتي؟ قال: انظر عن يمينك فإذا ظراب مكة قد سدت وجوه الرجال قيل: هؤلاء أمّتك أرضيت؟ قلت: ربّ رضيت فقيل انظر عن يسارك وإذا الأفق قد سدّ وجوه الرجال قيل: هؤلاء أمّتك أرضيت؟ قلت ربّ رضيت، فقيل إن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة لا حساب عليهم»، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم-: «إن تكونوا من السبعين فكونوا وإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الظراب وإن عجزتم فكونوا من أهل الأفق، فإني قد رأيت ثم أناساً يتهاوشون كثيراً» رواه ابن جرير وابن أبي حاتم (3).

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصْرُفُونَ عَلَى الْخَنِثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدًا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعْنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ

(1) رواه ابن جرير في تفسيره (334/22).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الطب، باب من لم يرق (2170/5) حديث رقم (5420).

(3) رواه ابن جرير في تفسيره (331/22)، وابن أبي حاتم في تفسيره (3333/10) والهيثم في مجمع الزوائد (406/10)، وصححه الألباني في صحيح ابن حبان، حديث رقم (6431).

﴿ ٤٨ ﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿ ٤٩ ﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿ ٥٠ ﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكذِّبُونَ ﴿ ٥١ ﴾ لَا كِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّن زُقُومٍ ﴿ ٥٢ ﴾ فَمَا لثُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿ ٥٣ ﴾ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿ ٥٤ ﴾ فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ ﴿ ٥٥ ﴾ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿ ٥٦ ﴾ .

لما بين - تعالى - حال أصحاب اليمين وهم السعداء عطف عليهم ذكر أصحاب الشمال وهم الأشقياء فقال: ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَآ أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴾ يعني: أي شيء هم وكيف مآلهم، ثم قسم ذلك، فقال: ﴿ فِي سَمُومٍ ﴾ وهو الهواء الحار ﴿ وَحَمِيمٍ ﴾ هو الماء الحار ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾ هو الدخان الأسود قاله ابن عباس وجماعة⁽¹⁾، وقيل: اليعقوم اسم من أسماء النار ﴿ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ أي: ليس طيب الهبوب ولا حسن المنظر.

كما قال قتادة: لا يبارد المنزل ولا كريم المنظر، والعرب تتبع هذه اللفظة في النفي فيقولون: هذا الطعام ليس بطيب ولا كريم⁽²⁾، ثم ذكر استحقاقهم لذلك فقال: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ أي: إنهم كانوا في الدنيا منعمين مبتلين بلذات أنفسهم معرضين عما جاءتهم به الرسل ﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ ﴾ يداومون ولا يتوبون توبة على الحنث أي: الذنب العظيم، وهو الكفر بالله، وجعل الأنداد والأوثان أرباباً من دون الله.

وقال الشعبي: هو اليمين الغموس⁽³⁾، ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدًا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعْيُنًا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ ﴿ ٤٧ ﴾ أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوْلُونَ ﴾ يعني: أنهم يقولون بذلك مكذبين به مستبشرين لوقوعه حالفين على ذلك.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿ ٤٩ ﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ أي: أخبرهم يا محمد أن الأولين والآخرين من لدن آدم سيجمعون إلى عرصات القيامة لا يغادر ولا يسامح منهم أحداً أي: هو موقت بوقت محدود، ولا يتقدم ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص، ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكذِّبُونَ ﴿ ٥١ ﴾ لَا كِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّن زُقُومٍ ﴿ ٥٢ ﴾ ﴾ وذلك أنهم يقبضون ويسجرون حتى يأكلوا من شجر الزقوم فيملأوا منها البطون،

(1) النكت والعيون (456/5)، ومعالم التنزيل (18/8)، وتفسير ابن كثير (537/7).

(2) جامع البيان (337/22)، ومعالم التنزيل (18/8)، وتفسير ابن كثير (538/7).

(3) النكت والعيون (457/5)، ومعالم التنزيل (18/8).

﴿فَشْرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٦﴾ فَشْرِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ﴾ وهي الإبل العطاش الظماء قاله ابن عباس وغيره⁽¹⁾، واحدها أهيم والأنثى هيماء، ويقال: هائم وهائمة.

وقال عكرمة: ﴿الْهَيْمِ﴾ الإبل المراض يمص الماء مصاً ولا يروى وأصله داء يأخذ الإبل فلا يروى حتى تموت⁽²⁾ وكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبداً ثم قال تعالى: ﴿هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ أي: هذا الذي وصفنا هو ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم.

كما قال في حق المؤمنين: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧﴾﴾⁽³⁾ أي: ضيافة وكرامة. ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

قال - تعالى - مقررًا للمعاد راداً على ذوي العناد من أهل الزيغ والضلال والإلحاد من الذين قالوا: ﴿بِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا ءَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ وذلك صدر منهم على وجه التكذيب والاستيعاد ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي: نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، وليس الذي قدر على البداء بقادر على الإعادة بطريق الأولى؟ ولهذا قال: ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ أي: فهلا تصدقون بالبعث.

ثم قال: مستدلاً عليهم بقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ أي: ما تصبونه من النطف أنتم تقرونه في الأرحام وتخلقونه فيها أم الله الخالق لذلك؟ ثم قال: ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ أي: قضينا وسوينا بينكم الموت ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي: معاجزين ﴿عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ﴾ أي: نغير خلقكم يوم

(1) جامع البيان (343/22)، ومعالم التنزيل (19/8)، والدر المنثور (212/14).

(2) النكت والعيون (457/5)، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون (211/10) وتفسير ابن كثير (538/7).

(3) سورة الكهف الآية/107.

القيامة ونأتي بخلق مثلكم ﴿وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: من الصفات والأحوال.
ثم قال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى﴾ أي: قد علمتم أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً، فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة، فهلا تتذكرون وتعرفون أن الذي قدر على هذه النشأة، وهي البدأة قادر على النشأة الأخرى، وهي الإعادة بطريق الأولى.

كما قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾⁽¹⁾ وغيره من الآيات البيّنات، ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾⁽²⁾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهَا أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾⁽³⁾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾⁽⁴⁾ أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾⁽⁵⁾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَمَتًا لِلْمُقِيمِينَ﴾⁽⁶⁾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿الحرث شق الأرض وإثارة البدرة فيها أي: أفريتم ما تثيرون من الأرض وتلقون فيها البدر ﴿ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهَا﴾ أي: بل نحن ننبته، وكان بعضهم إذا قرأ هذا وأمثاله قال بل أنت يارب.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا تقولن: زرعت ولكن قل: حرثت) قال أبوهريرة: ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ الآية رواه ابن جرير والبخاري⁽²⁾.

وقوله: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ﴾ أي: لأبيسناه قبل استوائه واستحصاده ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ ثم فسر ذلك بقوله: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾⁽³⁾ بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ﴿أي: لو جعلناه حطاماً لظلمت تفكّهون في المقالة تتوعون كلامكم فتقولون تارة إنا لمغرمون؛ أي: لملقون للشر والمغرم، هو الذي ذهب ماله من غير عوض، وقيل: أي: لمعذبون والغرام العذاب قاله ابن عباس⁽³⁾، وتارة يقولون: ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ أي:

(1) سورة الروم الآية/27

(2) رواه ابن جرير في تفسيره (348/22)، وابن حبان في صحيحه، حديث رقم (1135)، والبيهقي في السنن الكبرى من طريق مسلم أبي مسلم الجرمي، باب ما يستحب من حفظ المنطق في الزرع، حديث رقم (11751)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (715/6)، حديث رقم (2801).

(3) ينظر: الدر المنثور (216/14)، وتفسير ابن كثير (540/7).

ممنوعون من الحظ أي: حرمانا ما كنا نطلبه من الريح في الزرع، وقيل: أي ظلمت تعجبون وتفجعون، وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم وهو اختيار ابن جرير⁽¹⁾.

وقال قتادة والسدي: أي: ﴿ فَظَلْتُمْ ﴾ تتدمون أي: على ما أسلفتم من الذنوب أو من الإنفاق في الزرع والتفكه من الأضداد⁽²⁾، يقال: تفكمت بمعنى تنعمت، وبمعنى حزنت، ثم قال: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿١٦﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴾ يعني: السحاب، قاله ابن عباس غير واحد⁽³⁾.

﴿ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿١٦﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ﴾ شديد الملوحة ﴿ فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾
نعمة الله عليكم في إنزاله المطر لأجلكم عذاباً زلالاً ﴿ لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٧﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾⁽⁴⁾ الآية.

وفي الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - : «كان إذا شرب قال الحمد لله الذي سقانا عذاباً فراتاً برحمته ولم يجعله ملحا أجاجاً بذنوبنا» رواه ابن أبي حاتم⁽⁵⁾.

ثم قال: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ أي: تقدحون من الزناد وتستخرجونها من أصلها. ﴿ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا ﴾ أي: التي تقدح منها النار وهي المرخ والعفار، ﴿ أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴾ أي: بل نحن الذين جعلناه مودعة في وضعها فإذا أخذ من الشجرتين غصنان أخضران فحك أحدهما بالأخر خرجت من بينها النار.

وقوله: ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا ﴾ أي: النار الصغرى تذكرة للنار الكبرى، أي مذكرو لها.

وعن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها

(1) رواه ابن جرير في تفسيره (353/22)، والبغوي في معالم التنزيل (21/8)، وتفسير القرطبي (20م 213)، وتفسير ابن كثير (540/7).

(2) ينظر: معالم التنزيل (20/8)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل (1188)، وتفسير السدي (450).

(3) جامع البيان (354/22)، ومعالم التنزيل (21/8)، والدر المنثور (216/14).

(4) سورة النحل الآية/11.

(5) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (3334/10)، والبيهقي في شعب الإيمان حديث رقم (4479)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة، حديث رقم (4202).

منفعة لأحد» رواه أحمد⁽¹⁾.

وفي الصحيحين عنه أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قال: «ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»، قيل: يارسول الله إن كانت لكافية، قال: «فضلت عليهن بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها» واللفظ للبخاري⁽²⁾.

وفي رواية لمسلم «والذي نفسي بيده لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها»⁽³⁾ وقوله: ﴿وَمَتَّعْنَا لِلْمُتَّقِينَ﴾ قال ابن عباس وغير واحد: أي: للمسافرين واختاره ابن جرير⁽⁴⁾ وقيل: المقوى ههنا الجائع⁽⁵⁾.

وعن مجاهد: أي: للحاضر والمسافر، لكل طعام لا يصلحه إلا النار غنياً كان أو فقيراً، فإن الجميع محتاجون إليه للطبخ والاصطلاء وسائر المنافع والمضار ثم من لطف الله أن أو دعها في الحجار وخالص الحديد بحيث يمكن المسافر من حمل ذلك في متاعه بين ثيابه، فإذا احتاج إلى ذلك أخرج زنده وأورى وأوقد ناره وانتفع بها⁽⁶⁾.

ولهذا قال الحسن: أي بلغة للمسافر تبلغون بها إلى أسفارهم وإن كان ذلك عاما في حق الناس كلهم كما روى ابن عباس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «المسلمون شركاء في ثلاثة: النار والكأ والماء» رواه أبو داود وابن ماجه⁽⁷⁾.

وقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أي: الذي بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة: الماء الزلال العذب البارد، ولو شاء لجعله ملحا أجاجاً كما البحر، وخلق النار المحرقة وجعل ذلك مصلحة للعباد ومنفعة لهم في معاش دنياهم وزاداً لهم في المعاد. ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْجِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (280/12)، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (2018).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، حديث رقم (3265).

(3) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر جهنم، حديث رقم (2843).

(4) رواه ابن جرير في تفسيره (357/22).

(5) جامع البيان (356/22)، والنكت والعيون (461/5)، ومعالم التنزيل (21/8).

(6) ينظر: تفسير القرطبي (216/20)، وتفسير ابن كثير (542/7).

(7) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب البيوع، باب في منع الماء حديث رقم (3477)، وابن ماجه في سننه، كتاب الرهون، باب المسلمون شركاء في ثلاث، حديث رقم (2566) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود حديث رقم (2968).

إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْأُمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾

قال الضحاك إن الله لا يقسم بشيء من خلقه ولكنه استفتح بذلك كلامه (1) وهذا ضعيف، والذي عليه الجمهور أنه قسم من الله يقسم بما شاء من خلقه وهي دليل على عظمته.

ثم قال: بعضهم - لا - هنا زائدة وتقديره لا أقسم بمواقع النجوم، قاله ابن جرير (2).

عن سعيد بن جبير وتكون جوابه ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ وقال آخرون: ليست - لا - زائدة بل لها معنى منوى في أول القسم إذا كان مقسما به على نفي كما قالت عائشة - رضي الله عنها - (لا والله ما مست يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يد امرأة قط) (3)، وكذا ههنا وتقديره لا أقسم بمواقع النجوم، ليس الأمر كما زعمتم في القرآن أنه سحر أو كهانة، بل هو قرآن كريم.

وقال بعضهم: معناه فليس الأمر كما يقولون ثم استؤنف الكلام فقيل: أقسم. واختلفوا في معنى موقع النجوم، فعن ابن عباس يعني: نجوم القرآن فإنه نزل ليلة القدر جملة من السماء العليا إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرقا في السنين بعد. ثم قرأ هذه الآية ووافقه جماعة (4)، وقال مجاهد وغيره: مواقع النجوم في السماء ويقال: مطالعها ومشارفها وهو اختيار ابن جرير (5).

(1) النكت والعيون (468/5)، وتفسير الضحاك (838). وفيه وجهان: أحدهما أنه إنكار أن يقسم الله بشيء من مخلوقاته، والثاني: أنه يجوز أن يقسم الخالق بالمخلوقات تعظيماً من الخالق بما أقسم به من مخلوقاته. أما في قول (فلا) وجهان أحدهما: أن (لا) صلة زائدة ومعناه أقسم، والثاني: أن قول (فلا) ومعناه فلا تكذبوا ولا تجحدوا ما ذكرته من نعمة وأظهرته من حجة.

(2) أي: فأقسم مزيدة مؤكدة وقرئ فلا أقسم ومعناه فلأنا أقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر وهي أنا أقسم، ثم حذف المبتدأ ولا يصح أن تكون اللام القسم لأن حقاها أن تقرن بها النون المؤكدة، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (1188) (1189) قال آخرون: ليست (لا) زائدة لا معنى لها، بل يؤتى بها في أول القسم إذا كان مقسماً به على منفي، كقول عائشة - رضي الله عنها - لا والله ما مست يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يد امرأة قط) وهكذا هاهنا تقدير الكلام (لا) أقسم بمواقع النجوم ليس الأمر كما زعمتم في القرآن الكريم أنه سحر أو كهانة بل هو قرآن كريم.

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام، حديث رقم (2713).

(4) جامع البيان (359/22)، والنكت والعيون (463/5)، وتفسير ابن كثير (544/7).

(5) ينظر: جامع البيان (361/22)، ومدارك التنزيل (1199).

وعن قتادة: مواقعها منازلها وعن الحسن: انتشارها يوم القيامة وعن الضحاك: يعني: الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا امطروا قالوا: مطرنا بنوء كذا وكذا⁽¹⁾.

وقوله: ﴿وَأِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَّعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ أي: وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم، لو تعلمون عظمته لعظمتكم المقسم به عليه ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ أي: لكتاب عظيم ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ أي: محفوظ من موقر ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ قال ابن عباس: الكتاب الذي في السماء لا يمسه إلا الملائكة وبه قال كثيرون⁽²⁾.

وقال قتادة: لا يمسه عند الله إلا المطهرون، وأما في الدنيا فيمسه الكافر النجس، والمنافق الرجس⁽³⁾ والمراد به المصحف، وكان ابن عباس ينهى أن يمسن اليهود والنصارى من قراءة القرآن، وظاهر الآية نفي ومعناه نهي.

ولهذا قال مالك والشافعي وأكثر أهل العلم لا يجوز للجنب والحائض والمحدث حمل المصحف ومسه، وأبو حنيفة بخلافه في الجنب والمحدث وفي الكتاب الذي كتبه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعمر بن حزم «أن لا يمسن القرآن إلا طاهر» رواه مالك في الموطأ⁽⁴⁾.

وكما في صحيح البخاري ومسلم عن ابن عمر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «نهى أن يسافر القرآن إلى أرض العدو»⁽⁵⁾، وقوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: هذا القرآن منزل من الله رب العالمين وليس هو كما يقولون إنه سحر أو كهانة أو شعر بل هو الحق الذي لا مرية فيه وقوله: ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُّذْهِبُونَ﴾ أي: مكذبون غير مصدقين قاله ابن عباس وغيره⁽⁶⁾، ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ﴾ قال ابن عباس أي تجعلون شكركم أنكم تكذبون به⁽⁷⁾.

(1) تفسير الضحاك (838)، وتفسير ابن كثير (544/7).

(2) ينظر: جامع البيان (363/22)، وتفسير بن كثير (544/7).

(3) جامع البيان (386/22)، ذكره الطبراني عن ابن عباس. النكت والعيون (464/5).

(4) أخرجه الإمام مالك في الموطأ (199/1)، باب الأمر بالوضوء لمن مس القرآن، حديث رقم (469)، حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، نصب الرأية لأحاديث الهداية، (170/1).

(5) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم حديث رقم (1869).

(6) جامع البيان (3699/22)، ومعالم التنزيل (24/8).

(7) جامع البيان (368/22)، ومعالم التنزيل (24/8).

وعن الهيثم بن عدي⁽¹⁾ أن من لغة أزد شنوءة ما رزق فلان تعني ما شكر⁽²⁾ وهذا في الاستسقاء بالأنواء وذلك أنهم كانوا يقولون: إذا مطروا مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك من قبل الله ف قيل لهم ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾ أي: شكر رزقكم التكذيب.

وفي الصحيحين عن زيد بن خالد أنه قال: صلى بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا الله ورسوله أعلم.

قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله وبرحمته فذاك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»⁽³⁾.

وقد سبق حكم ذلك عند قوله: ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾⁽⁴⁾ وروى ابن جرير أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سمع رجلاً ومطروا: يقول مطرنا ببعض عثانين الأسد، فقال: «كذبت بل هو رزق الله»⁽⁵⁾.

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٧﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨١﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ يعني ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴾ وذلك حين الاحتضار.

ولهذا قال: ﴿ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴾ أي: إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ ﴾ أي: بالقدرة والرؤية أو ملائكتنا الذين يقبضون روحه ﴿ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ أي: لاترونهم وقوله: ﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ أي:

(1) الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن بن زيد بن أسيد بن جابر الطائي الأخباري العلامة أبو عبد الرحمن الطائي الكوفي المؤرخ، حدث عن هشام بن عروة وابن أبي ليلي، روى عنه محمد بن سعد وأبو الجهم توفي سنة سبع ومائتين وله ثلاث وتسعون سنة. سير أعلام النبلاء (85/19).

(2) جامع البيان (368/22)، معالم التنزيل (24/8).

(3) أخرجه الإمام مالك في الموطأ (192/1)، باب الاستمطار بالنجوم، حديث رقم (415)، والبخاري، كتاب الجامع الصحيح، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، حديث رقم (846)، ومسلم، كتاب الجامع الصحيح، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، حديث رقم (240).

(4) سورة فاطر الآية/2.

(5) رواه ابن جرير في تفسيره (370/22).

محاسبين ﴿ تَرْجِعُونَهَا ﴾ يعني: فلا ترجعون هذه النفس التي بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول ومقرها من الجسد إن كنتم غير محاسبين⁽¹⁾، قاله ابن عباس وغير واحد.
وعن ابن جبير والحسن أي: فلولا إن كنتم غير مصدقين أنكم تدانون وتبعثون وتحشرون فردوا هذه النفس⁽²⁾.

وقال مجاهد: غير موقنين وقيل: غير معذبين مقهورين⁽³⁾. ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴾ ﴿ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴾ ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ ﴿ فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴾ ﴿ فَنُزِّلُ مِنْ حَمِيمٍ ﴾ ﴿ وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ ﴾ ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾ ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم، إما أن يكون من السابقين ﴿ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴾ أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين، وإما أن يكون من المكذبين الضالين عن الهدى.

ولهذا قال: ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ ﴾ أي: المحتضر من المقربين وهم الذين امتثلوا أوامر الشريعة بأنواعها وآدابها ﴿ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴾ أي: فلهم ذلك وتبشرهم الملائكة عند الموت كما سبق في حديث البراء «أن ملائكة الرحمة تقول أيتها الروح الطيبة من الجسد الطيب الذي كنت تعمريه أخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان»⁽⁴⁾، قال ابن عباس: فروح أي راحة وريحان مستراحة⁽⁵⁾.

قال ابن جرير: الراحة من الدنيا⁽⁶⁾. وقال مجاهد وغيره: فروح وريحان جنة ورخاء⁽⁷⁾.

وعن مجاهد أيضاً: ريحان أي رزق والكل صحيح فإن من مات مقرباً حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة، والفرح والسرور والرزق

(1) ينظر: جامع البيان (375/22)، والنكت والعيون (466/5)، وتفسير ابن كثير (548/7).

(2) تفسير ابن كثير (548/7).

(3) ينظر: النكت والعيون (466/5)، ومدارك التنزيل (430/3).

(4) ينظر: النكت والعيون (467/5)، وتفسير ابن كثير (548/7)، والدر المنثور (243/14).

(5) جامع البيان (377/22)، والنكت والعيون (466/5)، وتفسير ابن كثير (548/7)، والدر المنثور (240/14).

(6) رواه ابن جرير في تفسيره (377/22)، وتفسير القرطبي (231/20).

(7) النكت والعيون (466/5)، وتفسير القرطبي (231/20)، وتفسير ابن كثير (549/7).

الحسن وجنة نعيم⁽¹⁾.

وقال أبو العالية⁽²⁾، لا يفارق الدنيا أحد من المقربين حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه فيقبض روحه فيه⁽³⁾. وقد سبق الكلام في ذلك مع الأحاديث في سورة إبراهيم عند قوله ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾⁽⁴⁾.

وعن عائشة - رضي الله عنها - أنها سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «يقرأ ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ يرفع الراء» رواه أحمد وأبوداود والترمذي⁽⁵⁾ وهي قراءة يعقوب وحده، قال الحسن: معناه يخرج روحه في الريحان وخالفه الباقر فقرأوا⁽⁶⁾ ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ بفتح الراء فله روح وفرح كما سبق.

وعن أم هانئ⁽⁷⁾ أنها سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أنتزاور إذا متنا ونرى بعضنا بعضاً، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يكون النسم طيراً يعلق بالشجر حتى إذا كانت يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها»⁽⁸⁾، وفي

-
- (1) جامع البيان (377/22)، وتفسير مجاهد (646)، وتفسير السدي (450).
- (2) أبو العالية رفيع بن مهران الإمام المقريء الحافظ المفسر أبو العالية البصري أحد الأعلام، كان مولى لامرأة من بني رياح أدرك زمان النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو شاب وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق حفظ القرآن وقرأه على أبي بن كعب وتصدر لإفادة العلم، وقيل: ت 93 هـ. سير أعلام النبلاء (207/4).
- (3) أورد هذه الأقوال الطبري في جامع البيان (378/22، 379) ثم قال مرجحاً: "وأولى هذه الأقوال في ذلك والصواب عندي قول من قال: عني بالروح: الفرح والرحمة والمغفرة وأصله من قولهم وجدت روحاً: نسيماً يستريح إليه من كرب الحر، وأما الريحان فإنه عندي الريحان الذي يتلقي به عند الموت كما قال العالية والحسن: ومن قال في نحو قولهما؛ لأن ذلك الأغلب والأظهر من معانيه"، معالم التنزيل (26/8)، تفسير ابن كثير (549/7).
- (4) سورة إبراهيم الآية/27 .
- (5) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، باب القراءة متواترة، حديث رقم (24352)، وأبوداود في مسنده، باب الحروف والقراءات حديث رقم (3991)، والترمذي سننه، كتاب القراءات، باب أبواب القراءات حديث رقم (3119)، وصححه الترمذي، ووافقه الألباني في صحيح سنن الترمذي حديث رقم (2340).
- (6) روح المعاني (160/27).
- (7) أم هانئ الأنصارية: لم أقف على نسبها وقد اختلف في اسمها فقيل: أم قيس وقيل: أم هانئ وفي الحديث عن در بنت معاد عن أم هانئ الأنصارية أنها سألت النبي - صلى الله عليه وسلم - ((أنتزاور إذا متنا، ويرى بعضنا بعضاً فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «النسم طيراً يعلق بالشجر حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في مكانها». أسد الغابة (392/7).
- (8) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (424/6)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (2989).

هذا بشارة لكل مؤمن ومعنى يعلق يأكل ويشهد له بالصحة.

ما رواه كعب بن مالك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه إلى جسده يوم يبعثه» رواه أحمد بإسناد قوي⁽¹⁾.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى⁽²⁾، قال: حدثني فلان بن فلان يسمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» فأكذب القوم بيكون قال: «ما يبكيكم» فقالوا إنا نكره الموت قال: «ليس ذلك ولكنه إذا احتضر ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ فإذا بشر بذلك أحب لقاء الله والله تعالى للقاءه أحب ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿١٦﴾ فَزُلٌّ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿١٧﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ﴾ فإذا بشر بذلك كره الله والله للقاءه أكره» رواه أحمد⁽³⁾.

وفي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - شاهد لمعناه وقوله: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ ﴿١٦﴾ أَي: المحتضر ﴿مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿١٧﴾ فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أي: تبشرهم الملائكة بذلك تقول لأحدهم: سلام لك؛ أي: لا بأس عليك أنت إلى سلامة أنت من أصحاب اليمين⁽⁴⁾.

كما قال عكرمة: تسلم الملائكة وتخبره أنه من أصحاب اليمين ويكون ذلك كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَتَخَفُوا وَلَا تَخْزَنُوا وَابْتَهِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (65/25)، حديث رقم (15787)، وحققه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (4138).

(2) عبد الرحمن بن أبي ليلى، الإمام العلامة الحافظ أبو عيسى الأنصاري الكوفي الفقيه ويقال أبو محمد من أبناء الأنصار ولد في خلافة الصديق، وحدث عن عمر، وعلي، وأبي نر، وابن مسعود، وكان عبد الرحمن من كبار الذين خرجوا مع عبد الرحمن بن الأشعث من العلماء والصلحاء ت 82 هـ سير أعلام النبلاء 267/4.

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (216/30)، حديث رقم (18283)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب من أحب الله أحب لقاءه حديث رقم (2684).

(4) ينظر: جامع البيان (381/22)، وتفسير ابن كثير (550/7)، والدر المنثور (244/14).

الْآخِرَةَ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلًا مِّنْ غَمُورٍ
رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾⁽¹⁾⁽²⁾، وقال قتادة: سلم من عذاب الله وسلمت عليه ملائكة الله⁽³⁾. وقال
البخاري: ﴿فَسَلِّمْ لَكَ﴾ أي فسلام لك أنك ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾.

وقوله: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ أي: المحتضر ﴿مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾ ﴿فَنُزِّلَ مِّنْ
حَمِيمٍ﴾ ﴿وَتَصْلِيَةٌ جَاحِمٍ﴾ أي: من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى ﴿فَنُزِّلَ﴾
أي: ضيافة ﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾ وهو المذاب الذي يصهر به ما في بطونهم والجلود
﴿وَتَصْلِيَةٌ جَاحِمٍ﴾ أي: وتقدير له في النار تغمره من جميع جهاته.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ أي: إن هذا الخبر له الحق
اليقين الذي لا مرية فيه ولا مفر لأحد عنه ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.

عن عقبة بن عامر⁽⁴⁾ قال: لما نزلت على رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ قال: «اجعلوها في ركوعكم» ولما نزلت ﴿سَبِّحْ
اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾⁽⁵⁾، قال: «اجعلوها في سجودكم» رواه أحمد وأبو داود⁽⁶⁾.

وعن جابر قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من قال سبحان
الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة» رواه الترمذي والنسائي⁽⁷⁾.

(1) سورة فصلت الآيات/30 - 32.

(2) رواه ابن جرير (381/22)، والدر المنثور (244/14)، وتفسير ابن كثير (550/7).

(3) جامع البيان (380/22)، والدر المنثور (244/14).

(4) عقبة بن عامر بن عيس بن عدي بن قيس بن الجهني يكنى أبا حماد وقيل: أبو ليبيد روى عنه أبو عسافة أنه قال: قدم
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا في غنم لي أرهاها فتركته ثم ذهبت إليه وكان من أصحاب معاوية بن أبي
سفيان وولي مصر وسكنها وتوفي بها. ت 58 هـ، أسد الغابة في معرفة الصحابة، (275/2).

(5) سورة الأعلى الآية/1.

(6) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (155/4)، وأبي داود في سننه، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه،
حديث رقم (869)، وابن ماجه في سننه، باب التسبيح في الركوع والجود، حديث رقم (887)، وضعفه الألباني
في ضعيف سنن ابن ماجه.

(7) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب فضل سبحان الله، حديث رقم (3460)، والنسائي في السنن الكبرى،
باب عمل اليوم والليلة، حديث رقم (10663)، وصححه الترمذي، ووافقه الألباني في صحيح سنن الترمذي حديث رقم
(2757).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله
 وبحمده سبحان الله العظيم)⁽¹⁾.

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التوحيد، باب ﴿وَتَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ حديث رقم (7563)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، حديث رقم (2694).

تفسير سورة الحديد

وهي مكية

عن العرياض بن سارية (1) أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد وقال: (إن فيهن آية أفضل من ألف آية) هكذا رواه أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي (2) والآية المشار إليها في الحديث هي والله أعلم.

قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ كما سيأتي بيانه قريباً إن شاء الله تعالى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾.

أخبر تعالى أنه يسبح له ما في السموات والأرض؛ أي: من الحيوانات والنبات كما قال في آية أخرى ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ (3).

وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي: الذي خضع له كل شيء ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خلقه وأمره وشرعه ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي: هو المالك المتصرف في خلقه فيحيي ويميت ويعطي من يشاء ما يشاء ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي:

(1) العرياض بن سارية السلمى، من أعيان أهل الصفة سكن حمص وروى أحاديث، وروى عنه جبير بن نفير وحبيب بن عبيد، وهو ممن نزل فيه قوله تعالى ((ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم)) الآية توفي العرياض سنة. (ت 75هـ) سير أعلام النبلاء (419/3)، وشذرات الذهب (313/1).

(2) أخرجه أبو داود في سننه، كتبها الأدب، باب ما يقال عند النوم، حديث رقم (5057)، والترمذي في سننه، كتاب ثواب القرآن، باب رقم 21، حديث رقم (2921)، والنسائي في السنن الكبرى، باب عمل اليوم والليلة، حديث رقم (10549)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود، حديث رقم (1073).

(3) سورة الإسراء الآية/44.

ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

وقوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٣) هذه الآية المشار إليها في حديث عرياض بن سارية أنها أفضل من ألف آية.

قال أبو زميل⁽¹⁾: سألت ابن عباس فقلت: ما شيء أجده في صدري؟ قال: ما هو؟ قلت: والله لا أتكلم به. فقال لي: أشيء من شك وضحك؟

قال: ما نجا من ذلك أحد، حتى أنزل الله ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقرءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ (٩٤)⁽²⁾، وقال لي: إذا وجدت في نفسك شيء فقل: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ رواه أبو داود⁽³⁾.

وقد اختلفت عبارات المفسرين وأقوالهم في هذه الآية نحواً من بضعة عشر قولاً، قال البخاري: قال يحيى: يعني ابن زياد الفراء⁽⁴⁾ (الظاهر على كل شيء علماً، والباطن على كل شيء علماً)⁽⁵⁾.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يدعو عند النوم «اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، فالق الحب والنوى لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر ليس فوقك شيء، وأنت الباطن ليس دونك شيء، اقض عنا الدين واغننا من الفقر» رواه مسلم والسياق لأحمد⁽⁶⁾.

(1) هو سماك بن الوليد أبو زميل الحنفي المشهور باسمه وكنيته روى عن ابن عباس وابن عمر ومالك بن مرثد روى عنه شعبة وعكرمة وعروة بن الزبير وغيرهم. تهذيب الكمال (127/12).

(2) سورة يونس الآية/94.

(3) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في رد الوسوسة، حديث رقم (5110)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود حديث رقم (4262).

(4) سليمان بن زياد الفراء مصري مولى بني سعد بن بكر من قبس عيلان أبو أيوب يروى عن ابن وهب وحجاج بن محمد الأعمور حدث عنه غلان بن الصقيل توفي سنة خمسين ومائتين. الإكمال في رفع الإرتياب (35/7).

(5) أخرجه البخاري في فتح الباري، كتاب الإيمان، باب تفسير سورة الحديد (361/13)، حديث رقم (4881).

(6) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، حديث رقم (2713)، والإمام أحمد في مسنده (140/15)، حديث رقم (9247).

وقال كعب الأحبار عمله بالأول كعمله بالآخر، وعمله بالظاهر كعمله بالباطن. ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾.

أخبر - تعالى - عن خلقه السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم أخبر باستوائه على العرش بعد خلقهن، وقد سبق الكلام في هذه الآية في سورة الأعراف⁽¹⁾ بما أغنى عن إعادته ههنا.

وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يعلم ما يدخل فيها من حب وقطر ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من زرع ونبات وثمار كما قال: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥١﴾﴾⁽²⁾.

وقوله: ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: من الأمطار، والثلوج والبرد والأقذار، والأحكام مع الملائكة الكرام، وقد سبق في سورة البقرة أن ما ينزل قطرة من السماء إلا ومعها ملك يقررها في المكان الذي يأمر الله به حيث يشاء تعالى.

وقوله: ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أي: من الملائكة والأعمال.

كما جاء في الصحيح: «يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل»⁽³⁾.

وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: رقيب عليكم، شهيد على أعمالكم، حيث كنتم، وأين ما كنتم من برٍ وبحرٍ وليلٍ أو نهارٍ، في البيوت أو الفقار⁽⁴⁾، الجميع في علمه على السواء، وتحت بصره وسمعه ويسمع

(1) في الآية/54.

(2) سورة الأنعام الآية/59.

(3) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب في قوله - صلى الله عليه وسلم - (إن الله لا ينام) حديث رقم (179).

(4) الفقار: القفر مفازة لا نبات فيها ولا ماء والجمع فقار، يقال أرض قفر ومفازة قفر وقفرة ومفقار، والفقار بالفتح الخبز بلا أدم يقال أكل خبزه فقارات، وأفقرت الدار أي خلت، وأفقر الرجل لم يبق عنده أدم، مختار الصحاح (560/1).

كلامكم ويرى مكانكم، ويعلم سركم ونجواكم كما قال تعالى ﴿يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (1).

وثبت في الصحيح أنه - عليه الصلاة والسلام - قال لجبريل: لِمَا سَأَلَهُ عَنِ الْإِحْسَانِ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» (2). وكان الإمام أحمد ينشد هذين البيتين:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل ** خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ** ولا أن ما تخفى عليه يغيب (3)
وقوله: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: هو المالك للعالمين كما قال: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ (4).

وهو المحمود على ذلك كما قال: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (5).

فجميع ما في السموات والأرض وأهلها عبيد أرقاء أدلاء بين يديه.

ولهذا قال: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ أي: إليه المرجع يوم القيامة، فحكم في خلقه بما يشاء وقوله: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ أي: هو المتصرف في الخلق يقلب الليل والنهار ويقدرهما بحكمته ما يشاء، فتارة يطول الليل والنهار وتارة بالعكس وتارة يتركهما معتدلين، وتارة يكون الفصل شتاءً ثم صيفاً، ثم خريفاً ثم ربيعاً، وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريد به خلقه ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: يعلم السرائر وإن دقت وخفيت.

﴿عَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ

(1) سورة هود الآية/5.

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب سورة ﴿الْم﴾ ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ حديث رقم (4499).

(3) ديوان أبي العتاهية (10/1) البحر طويل.

(4) سورة الليل الآية/13.

(5) سورة القصص الآية/70.

وَأَنْفِقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتَلَ أَوْلِيَاءَكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَهُوَ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ ﴿١٢﴾

لقد أخبر الله - تعالى - بالإيمان به وبرسوله على الوجه الأكمل، والدوام والثبات على ذلك، وحثَّ على الإنفاق مما جعلكم مستخلفين فيه؛ أي: مما هو معكم على سبيل العارية، فإنه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار إليكم، فأرشد تعالى إلى إنفاق المال في طاعته، وإن لو يفعلوا حاسبهم عليه وعاقبهم لتركهم الواجبات فيه وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ إشارة إلى أنه سيكون مخلفاً عنك، فلعلَّ وارثك أن يطيع الله فيه فيكون أسعد بما أنعم الله به عليك منك، أو يعصي الله به فيكون قد سعيت في معاونته على الإثم والعدوان. وعن عبد الله بن الشخير⁽¹⁾ قال: انتهيت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يقول: «ألهاكم التكاثر، يقول ابن آدم مالي مالي فهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيته أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟» رواه أحمد ومسلم⁽²⁾، «وزاد وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس»⁽³⁾.

وقوله: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ترغيب في الإيمان والإنفاق في الطاعة ثم قال: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ يعني: وأي شيء يمنعكم من الإيمان والرسول بين أظهركم يدعوكم إلى ذلك، ويبين لكم الحجج والبراهين على صحة ما جاءكم به .

(1) عبدالله بن الشخير بن عوف بن كعب بن واقد بن الحريش، واسمه معاوية بن كعب بن ربيعة العامري، له صحبة سكن البصرة، أسد الغابة (123/2).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (244/26)، حديث رقم (16322)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب الزهد والرقائق، حديث رقم (2958).

(3) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الزهد والرقائق، باب الزهد والرقائق، حديث رقم (2959).

وقوله: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ يعني: بيعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وزعم ابن جرير⁽¹⁾ أن المراد بذلك الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم وبه قال مجاهد⁽²⁾.
وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي: حججاً واضحة وبراهين قاطعات⁽³⁾.

﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: من ظلمات الختل والكفر والأراء المتضادة إلى نور الهدى واليقين والإيمان ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ أي: في إنزاله الكتب وإرساله الرسل لهداية الناس، وإزاحة العلل وإزالة الشبه.

ولما أمرهم أولاً بالإيمان والإنفاق، ثم حثهم على الإيمان، وبين أنه قد أزال عنهم موانعه حرّضهم أيضاً على الإنفاق فقال: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: أنفقوا ولا تخشوا فقراً وإقلالاً، فإن الذي أنفقتم في سبيله هو مالك السموات والأرض، وبيده مقاليدها، وعنده خزائنها.

وقد قال: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾⁽⁴⁾، فمن توكل على الله أنفق ولم يخش الفقر وعلم أنه سيخلفه.

وقوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ﴾ أي: لا يستوي من أنفق ماله وقاتل العدو مع الرسول - عليه الصلاة والسلام - قبل فتح مكة في الفضل والدرجة مع من أنفق وقاتل بعده فإن قبله كان الحال شديداً فلم يكن حينئذ إلا الصديقون، وأما بعد الفتح فقد ظهر الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجا⁽⁵⁾ ولهذا

(1) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، وكانت ولادته سنة أربع وعشرين ومائتين، وكانت وفاته يوم السبت ودفن يوم الأحد في داره في السادس والعشرين من شوال سنة (310 هـ) ببغداد. تنكرة الحفاظ (20/2).

(2) هو: مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي القرشي المخزومي، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي أحد أئمة التابعين والمفسرين وهو من أخصاء أصحاب ابن عباس، كان أعلم أهل زمانه بالتفسير توفي سنة 103 هـ. تهذيب التهذيب (42/10).

(3) تفسير ابن كثير (11/8)، ومعالم التنزيل (33/8).

(4) سورة سبا الآية/39.

(5) النكت والعيون (471/5)، وتفسير ابن كثير (12/8).

قال: ﴿أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقْتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ أي: وكلاً من الفريقين وعدهم الله الجنة بحسب درجاتهم، والجمهور على أن المراد بالفتح هنا فتح مكة⁽¹⁾، وعن الشعبي⁽²⁾ وغيره أنه صلح الحديبية⁽³⁾.

وفي الصحيحين عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا تسبوا أصحابي، فالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّاً أحدهم ولا نصيفه» وهكذا في الحديث الصحيح⁽⁴⁾: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير»⁽⁵⁾ فعطف بمدح الآخر والثناء عليه مع تفضيل الأول عليه.

ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: فلخبرته فاوت بين ثواب من أنفق قبل الفتح وقاتل، ومن فعل ذلك بعده وما ذاك إلا بعلمه بفضل الأول وإخلاصه التام وإنفاقه في حال الجهد والضيق ولاشك عند أهل الإيمان أن الصديق أبابكر - رضي الله عنه - له الحظ الأوفر من هذه الآية، فإنه سيد من عمل بها من سائر الأمم فإنه أنفق ماله كله ابتغاء وجه الله .

وقد روى ابن عمر قال: كنت عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعنده أبوبكر الصديق - رضي الله عنه - وعليه عباءة قد خلّها في صدره بخلال، فنزل جبريل - عليه السلام - فقال: مالي أرى أبابكر عليه عباءة قد خلّها في صدره بخلال؟ فقال: «أنفق ماله عليّ قبل الفتح» قال: إن الله يقول: اقرأ عليه السلام وقل

(1) فيه قولان: أحدهما لا يستوي من قبل فتح مكة وقاتل، ومن أسلم بعد فتحها وقاتل، قاله ابن عباس ومجاهد. الثاني: من أنفق ماله في الجهاد وقاتل قاله قتادة. تفسير الماوردي (471/5).

(2) هو عامر بن شراحبيل بن عبد الله، ويقال: هو عامر بن عبد الله، مولده في إمرة عمر بن الخطاب لست سنين خلت منها، حدث عن علقمة، والأسود، والحارث وغيرهم، توفي سنة 104 هـ تذكرة الحفاظ (79/1).

(3) صلح الحديبية كان قتالان كان أحدهما أفضل من الآخر، وكانت نفقتان إحداهما أفضل من الأخرى، كان القتال والنفقة قبل فتح مكة أفضل من القتال والنفقة بعد ذلك. تفسر الماوردي (471/5).

(4) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - (لو كنت متخذاً خليلاً) حديث رقم (3673)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب الصحابة - رضي الله عنه - حديث رقم (2541).

(5) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، حديث رقم (2664).

له: أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ فقال: رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «يا أبا بكر إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط» فقال: أبو بكر - رضي الله عنه- أسخط عليّ ربي؟ إني عن ربي راض» رواه محيي السنة في المعالم⁽¹⁾، مع أن هذا الحديث ضعيف الإسناد .

وقوله ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قال: عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- (هو الإنفاق في سبيل الله)⁽²⁾ وقيل هو النفقة على العيال، والصحيح أنه أعمّ من ذلك، فكل من أنفق في سبيل الله بنية خالصة، وعزيمة صادقة دخل في عموم هذه الآية.

ولهذا قال: ﴿فِيضَعِفُهُ لَهُ﴾ كما قال: في الآية الأخرى، ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾⁽³⁾ ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أي: جميل وورق جزيل وهو الجنة.

عن ابن مسعود - رضي الله عنه- قال: لما نزلت هذه الآية ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيَضَعِفُهُ لَهُ﴾ قال أبو الدحداح الأنصاري⁽⁴⁾: يارسول الله - صلى الله عليه وسلم- يريد منا القرض؟ قال: «نعم يأبا الدحداح» قال: أرني يدك يارسول الله. قال: فناوله يده. قال: فإني أقرضت ربي حائطي، وهو حائط فيه ستمائة نخلة، وأم الدحداح فيها وعيالها، قال ف جاء أبو الدحداح فناداها يأم الدحداح قالت: لبيك قال: «أخرجني فقد أقرضت ربي».

وفي رواية إنها قالت له: «ريح بيعك يأبا الدحداح». ونقلت منه متاعها وصبيانها. وأن الرسول - صلى الله عليه وسلم- قال: «كم من عذق رداح في الجنة

(1) رواه البغوي في تفسير، (34/8)، وضعفه الذهبي في الميزان (103/3).

(2) جامع البيان (396/22)، وفي عموم هذه الآية اختلف المفسرون على أقوال. منها أن القرض الحسن هو أن يقول: سبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله والله أكبر، ومنها: أنه النفقة على الأهل قاله زيد بن أسلم، ومنها: التطوع بالعبادات قاله الحسن، ومنها: النفقة في سبيل الله قالها بن حيان تفسير الماوردي (472/5).

(3) سورة البقرة الآية/245 .

(4) أبو الدحداح الأنصاري له صحبة وامرأته أم الدحداح هو أبو الدحداح أحمد بن محمد بن اسماعيل بن يحيى بن يزيد التميمي الدمشقي، روى عن أبي عامر موسى بن عامر ومحمود بن هشام، روى عنه الطبراني ومن بعده. الإكمال في رفع الإرتياب (317/3).

لأبي الدحداح»⁽¹⁾ وفي لفظ «رب نخلة مدلاة عروقتها درّ وياقوت لأبي الدحداح في الجنة» رواه ابن أبي حاتم⁽²⁾.

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٦﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُرٌ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٧﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٨﴾ قَالِيَوْمَ لَا يُؤَخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾

أخبر تعالى عن المؤمنين المصدقين أنهم يوم القيامة يسعون نورهم بين أيديهم في العرصات بحسب أعمالهم.

قال ابن مسعود: (على قدر أعمالهم يمشون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نوراً من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة أخرى) رواه ابن أبي حاتم⁽³⁾. وابن جرير،⁽⁴⁾

وقال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول: «من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبين وصنعاء»⁽⁵⁾ فدون ذلك حتى أن المؤمنين يضيء نوره من موضع قدميه»⁽⁶⁾.

(1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب ركوب المصلي على الجنابة، حديث رقم (2283).

(2) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (3339/10).

(3) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (3336/10).

(4) تفسير ابن كثير (15/8)، والدر المنثور (267/14).

(5) صنعاء: موضعان أحدهما باليمن، والآخر بالغوطة من دمشق ونذكر أولاً باليمانية فإنها اسم صنعاء في القديم أزال، فلما وافتها الحبشة قالوا نعم فسمي الجبل بنعم أي انظر فلما رأوا مدينتها وجدوها مبنية بالحجارة حصينة فقالوا هذه صنعة ومعناه حصينة فسميت صنعاء بذلك وبين صنعاء وعدن ثمانية وستون ميلاً. معجم البلدان (426/3).

(6) الحديث لم أفهم عليه في كتب الحديث، وذكره الطبري في تفسيره عن قتادة (178/23).

وعن جنادة بن أبي أمية⁽¹⁾ قال: إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسيماكم وحلالكم ونجواكم ومجالسكم، فإذا كان يوم القيامة، قيل: يا فلان هذا نورك، يا فلان لا نور لك.

وقرأ: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني: على الصراط وعن أبي ذر وأبي الدرداء يخبران عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود، وأول من يؤذن له برفع رأسه فانظر من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي فاعرف أمتي من بين الأمم» فقال له رجل: يا نبي الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم ما بين نوح إلى أمتك قال: «أعرفهم محجلون من أثر الوضوء ولا يكون أحد من الأمم غيرهم، أعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم بسيماهم ووجوههم وأعرفهم بنورهم بين أيديهم وذريتهم»⁽²⁾ رواه ابن أبي حاتم⁽³⁾.

وقوله ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ أي: وبأيمانهم كتبهم كما قال: ﴿فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَبِئَمِينِهِ﴾⁽⁴⁾ قاله الضحاك⁽⁵⁾.

وقوله: ﴿بُشِّرْنَاكُمْ الْيَوْمَ﴾ أي: يقال لهم بشراكم اليوم جنات أي: لكم البشارة ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ أي: ماكنين ﴿فِيهَا﴾ أبداً ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ وهذا إخبار عما يقع يوم القيامة في العرصات من الأهوال المزعجة،

(1) جنادة بن أبي أمية الأزدي، ويقال الدوسي أبو عبد الله الشامي روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أحاديث شهد فتح مصر وولي معاوية وهو من كبار التابعين وحدث عن معاذ بن جبل وأبي الدرداء روى عنه ولده سليمان ت 75 هـ تهذيب الكمال (134/5)، سير أعلام النبلاء (63/4).

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، والهيثمى في مجمع الزوائد (250/2) حديث رقم (5665) والحاكم في المستدرک (478/2)، والإمام أحمد في مسنده (199/5) حديث رقم (21788)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم (180).

(3) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ص (3336).

(4) سورة الإسراء الآية/71.

(5) ينظر: تفسير الضحاك ص (843).

والزلازل العظيمة، والأمور الفظيعة، وأنه لا ينجو يومئذ إلا من آمن بالله ورسوله، وعمل بما أمره وترك ما عنه زجره.

وعن أبي أمامة⁽¹⁾ قال: (يبعث الله ظلمة يوم القيامة فما من مؤمن ولا كافر يرى كفه حتى يبعث الله بالنور إلى المؤمنين بقدر أعمالهم فتبعهم المنافقون فيقولون انظرونا أي: أمهلونا أو انتظرونا نفتبس أي: نستضيء من نوركم فلا يضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضيء الأعمى ببصر البصير)⁽²⁾، ﴿قِيلَ أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين حيث قال: ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾⁽³⁾ فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيئاً فينصرفون إليهم وقد ضرب بينهم ﴿سُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ الآية رواه ابن أبي حاتم⁽⁴⁾.

وقال ابن عباس: بينما الناس في ظلمة إذ بعث الله نوراً، فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه وكان النور لهم دليلاً من الله إلى الجنة، فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتبعوهم فأظلم الله على المنافقين⁽⁵⁾.

فقالوا حينئذ ﴿أَنْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ فإننا كنا معكم في الدنيا قال المؤمنون: ارجعوا من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور.

وعن ابن عباس أيضاً قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إِنَّ اللَّهَ يَدْعُو النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِهِمْ سَتراً مِنْهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَأَمَّا عِنْدَ الصِّرَاطِ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْطِي كُلَّ مُؤْمِنٍ نُوراً وَكُلَّ مُنَافِقٍ نُوراً، فَإِذَا اسْتَوَوْا عَلَى الصِّرَاطِ سَلَبَ اللَّهُ نُورَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: ﴿أَنْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ وقال المؤمنون:

(1) أبو أمامة الباهلي واسمه صدي بن عجلان، سكن مصر ثم انتقل منها فسكن حمص من الشام وكان من المكثرين في الرواية وأكثر حديثه عند الشاميين، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - في قول بعضهم. (ت 81هـ) أسد الغابة (6/15).

(2) ينظر: معالم التنزيل (8/35)، وتفسير ابن كثير (8/16).

(3) سورة النساء الآية/142.

(4) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (10/3338).

(5) جامع البيان (22/40)، والدر المنثور (14/269).

﴿ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا ﴾⁽¹⁾ فلا يذكر عند ذلك أحد أحداً» رواه الطبراني⁽²⁾.

وقوله: ﴿ فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ ﴾ قال الحسن وقتادة: هو حائط بين الجنة والنار،⁽³⁾ وقال ابن زيد⁽⁴⁾ وغير واحد.

هو الذي قال الله تعالى: ﴿ وَيَبَيِّنُهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾⁽⁵⁾ وهو الصحيح⁽⁶⁾ ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ أي: النار قال ابن جرير: وقد قيل: إن ذلك السور سور بيت المقدس عند وادي جهنم، هكذا عن عبد الرحمن بن عمرو⁽⁷⁾، وعن عبادة بن الصامت⁽⁸⁾ وعلي بن الحسين زين العابدين⁽⁹⁾ وكعب الأحمار⁽¹⁰⁾ وهذا محمول عنهم على أنهم أرادوا بهذا تقريب المعنى ومثالاً له لا أن هذا هو الذي

(1) سورة التحريم الآية/8.

(2) رواه الطبراني في المعجم الكبير (122/11)، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (623/1)، حديث رقم (434).

(3) جامع البيان (402/22)، والدر المنثور (274/14).

(4) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم المدني، روى عن أبيه وصفوان بن سليم وأبي حازم وآخرين، روى عنه مالك بن مغول ويونس بن عبيد وزهير بن محمد التيمي ومرحوم بن عبد العزيز العطار، مات سنة اثنتين وثمانين ومائة. تهذيب التهذيب (177/6).

(5) سورة الأعراف الآية/46.

(6) جامع البيان (402/22)، الدر المنثور (273/14)، تفسير ابن كثير (17/14).

(7) هو الإمام الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان بن عمرو الشيخ الإمام الصادق، محدث الشام، روى عن أبي نعيم، وُلِدَ سنة (88 هـ)، وتوفي سنة (157 هـ)، سير أعلام النبلاء (314/25).

(8) عبادة بن الصامت بن قيس بن فهر بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري شهد بدرًا وشهد فتح مصر كان أحد النقباء بالعقبة وروى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحاديث كثيرة وأنه ممن جمع القرآن في عهد رسول الله وذهب إلى الشام مع معاذ وأبا الدرداء ليعلمهم القرآن، ت 34 هـ الإصابة (28/4).

(9) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو الحسين ويقال أبو الحسن، ويقال أبو عبد الله المدني زين العابدين روى عن أبيه وعمه الحسن وروى عن ابن عباس وأبي هريرة، وروى عنه محمد وزيد، تابعي أهل المدينة وكان ثقة كثير الحديث، (ت 92 هـ)، تهذيب التهذيب (154/3).

(10) كعب بن ماتع الحميري اليماني العلامة، الذي كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية ويأخذ السنن عن الصحابة، وكان حسن الإسلام، حدث عن عمر وصهيب حدث عنه أبو هريرة ومعاوية وابن عباس توفي سنة (75 هـ) سير أعلام النبلاء (490/3)، وشذرات الذهب (200/1).

أريد من معنى القرآن فإن الجنة في أعلى عليين، والنار في أسفل السافلين، وقول كعب: إن باباً ظاهره فيه الرحمة هو أحد أبواب المسجد الأقصى فهو من الترهات الإسرائيلية، فإن المراد بذلك سور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين، فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه، فإذا استكملوا دخولهم أغلق الباب وبقي المنافقون من ورائه من الحيرة والظلمة والعذاب، كما كانوا في الدنيا في كفر وجهل وشك⁽¹⁾ ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين إنا كنا معكم في الدنيا نشهد معكم الجمعات ونصلي معكم الجماعات ونقف معكم بعرفات ونحضر معكم الغزوات ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ أي: فأجاب المؤمنون المنافقين قائلين: بلى قد كنتم معنا ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: أهلكتموها بالنفاق واستعملتموها بالمعاصي والشهوات ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي: أخرتم التوبة من وقت إلى وقت ﴿وَأَرْبَبْتُمْ﴾ أي: شككتم في البعث بعد الموت ﴿وَعَزَّزْتُمُ الْأَمَانِي﴾ أي: قلتم: سيغفر لنا وقيل: غرتكم الدنيا، وما زلتم كذلك ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ يعني الموت ﴿وَعَزَّزْتُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ أي: الشيطان قال قتادة: (كانوا على خديعة من الشيطان، والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار) والمعنى أنكم معنا بالأبدان لا نية معها ولا إخلاص وإنما كنتم في شك وحيرة⁽²⁾.

كما قال مجاهد: كانوا مع المؤمنين أحياناً ويغشونهم ويعاشرهم، وكانوا معهم أمواتاً. وهذا القول من المؤمنين لا ينافي قولهم الذي أخبر تعالى عنهم⁽³⁾.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٣٨) ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْأَيْمَانِ﴾ (٣٩) ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٤٠) ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٤١) ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ (٤٢) ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ (٤٣) ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمَسْكِينِ﴾ (٤٤) ﴿وَكُنَّا نَحْوُ مَعَ الْحَائِضِينَ﴾ (٤٥) ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ (٤٦) ﴿حَتَّىٰ أَتَيْنَا الْيَقِينَ﴾ (٤٧) ﴿﴾ (4).

فهذا إنما خرج منهم على وجه التقرير لهم والتوبيخ ثم قال تعالى: ﴿فَمَا

(1) ينظر: جامع البيان (403/22)، ومعالم التنزيل (36/8)، والنكت والعيون (475/5).

(2) جامع البيان (406/22)، والنكت والعيون (476/5)، والدر المنثور (275/14).

(3) تفسير الإمام مجاهد (648).

(4) سورة المدثر الآية/47.

تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشُّفَعِينَ ﴿٤٨﴾ (1).

كما قال ههنا ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لو جاء أحدهم اليوم بملء الأرض ذهباً ومثله معه ليفتدي به من عذاب الله ما قبل منه فقوله: ﴿مَا أَوْلَكُمُ النَّارُ﴾ أي: هي مصيركم ومنقلبكم.

وقوله: ﴿هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: هي أولى بكم من كل منزل على كفركم وارتيابكم ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٧٦﴾﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٧﴾﴾ يعني: أما أن للمؤمنين ﴿أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: تلين وتخضع عند الذكر والموعظة، وسماع القرآن فتفهمه وتتقاد له وتسمعه وتطيعه.

قال ابن عباس: إن الله استبطناً قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن (2) فقال لهم: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ يعني: القرآن رواه ابن أبي حاتم (3).

وعن ابن مسعود قال: (ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾) وقال قتادة: ذكر لنا أن شداد بن أوس (5) روى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن

(1) سورة المدثر الآية/48.

(2) النكت والعيون (477/5)، ومعالم التنزيل (37/8) .

(3) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (3338/10).

(4) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب في قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ حديث رقم (3027).

(5) شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر وهو ابن أخي حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي يكنى أبا يعلى وقيل: أبا عبد الرحمن، نزل بالبيت المقدس من الشام وقيل: إنه شهد يدرا قال عبادة بن الصامت كان شداد ممن أوتي العلم والحلم وكان شداد كثير العبادة والورع والخوف من الله تعالى توفي شداد بن أوس ت 58هـ أسد الغابة (613/2).

أول ما يرفع من الناس الخشوع»⁽¹⁾.

وقوله: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ نهي الله المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب قبلهم من اليهود والنصارى فلما تطاول عليهم الأمد بدلوا كتاب الله بأيديهم واشتروا به ثمناً قليلاً، ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المؤتفة، وقلدوا رجالهم في دين الله واتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم ولا يقبلون موعظة ولا تلين قلوبهم بوعده ولا وعيد. ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ أي: في الأعمال فقلوبهم فاسدة وأعمالهم باطلة .

كما قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُوا مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ﴾⁽²⁾.

وقال ابن مسعود (إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقست قلوبهم اخترعوا كتاباً من عند أنفسهم استهوته قلوبهم واستحلته ألسنتهم واستلذته).

وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم فقالوا: تعالوا ندع بني إسرائيل إلى كتابنا هذا، فمن تابنا عليه تركناه ومن كره أن يتابعنا قتلناه، ففعلوا ذلك وكان بينهم رجل فقيه فلما رأى ما يصنعون عمد إلى ما يعرف من كتاب الله وكتبه في شيء لطيف ثم أدرجه، فجعله في قرن.

ثم علق ذلك القرن في عنقه فلما أكثروا القتل قال بعضهم لبعض: يا هؤلاء إنكم قد أفشيتم القتل في بني إسرائيل فادعوا فلاناً فاعرضوا عليه كتابكم فإنه إن تابعكم فسيتابعكم بقية الناس وإن أبى فاقتلوه، فدعوا فلاناً ذلك الفقيه فقالوا: له تؤمن بكتابنا هذا، قال: ما فيه أعرضوه عليّ؟، فعرضوا عليه إلى آخره، قالوا: أتؤمن بهذا قال: نعم آمنت بهذا وأشار بيده إلى القرن بما في هذا فتركوه فلما مات فنتشوه فوجدوه متعلقاً ذلك القرن فوجدوا فيه ما يعرف من كتاب الله فقال: بعضهم لبعض: يا هؤلاء

(1) رواه الطبري في تفسيره (131/27)، والطبراني في المعجم الكبير (295/7)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (2576).

(2) سورة المائدة الآية/113.

ما كنا نسمع هذا أصابه فتنة فافتقرت بنو إسرائيل على اثنين وسبعين ملة، وخير ملهم أصحاب ذي القرن⁽¹⁾.

قال ابن مسعود: (وإنكم أوشك بكم إن بقيتم أو من بقي منكم أن تتروا أموراً تتكرونها فلا تستطيعون لها غيراً، فبحسب المرء منكم أن يعلم الله من قلبه أنه لها كاره) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير⁽²⁾ مختصراً.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فيه إشارة إلى أنه - تعالى - يلين القلوب بعد قسوتها، ويهدي الحيارى بعد ضلتها، ويفرج الكروب بعد شدتها، فكما يحيي الأرض الميتة المجذبة بالغيث الهتان الوابل، كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن ويولج إليها النور بعد ما كانت مقفلة ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ يعني الدلالات الواضحات ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: لكي تفهموا ذلك وتنتهوا وتهتدوا.

﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿

أخبر تعالى عما يثيب به المصدقين والمصدقات بأموالهم على أهل الحاجة والفاقة ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي: دفعوه بنية خالصة ابتغاء وجه الله لا يريدون جزاء ممن أعطوه ولا شكوراً، ولهذا قال: ﴿يَضْعَفُ لَهُمْ﴾ أي: يقابل لهم الحسنة بعشر أمثالها، ويزاد ذلك إلى سبعمائة ضعف، وفوق ذلك ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أي: ثواب جزيل حسن ومرجع صالح ومأب [كريم]⁽³⁾.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ هذا تمام الجملة وصف المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون ثم قال: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ استئنافاً للكلام قاله ابن عباس وغير واحد، وعن ابن مسعود أن الشهداء عطف على

(1) جامع البيان (410/22)، والدر المنثور (278/14).

(2) ينظر: تفسير ابن جرير (410/22)، وتفسير ابن أبي حاتم (3340)،.

(3) ما بين المعكوفين ساقطة من الأصل ومنتزعة من تفسير ابن كثير.

الصديقون كما في قوله: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٦٩) ﴿١﴾.

ففرق بين الصديقين والشهداء فدلّ على أنهما صنفان ولا شك أن الصديق أعلى مقاماً من الشهيد.

كما روى أبو سعيد الخدري في الصحيحين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم» قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: «بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» (٢).

وقيل: المراد أنه أخبر عن المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون وشهداء قاله مجاهد (٣) كما روى البراء عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «مؤمنو أمّتي شهداء» (٤) ثم تلا هذه الآية رواه ابن جرير (٥).

وقال عمرو بن ميمون (٦): يجيئون يوم القيامة معاً كالأصبعين (٧) وقوله: ﴿ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ أي: في جنّات النعيم.

كما في الصحيحين: «أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت» (٨) الحديث وقوله: ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ أي: لهم عند الله أجرٌ جليل ونورٌ عظيم يسعى بين أيديهم، وهم في ذلك متفاوتون بحسب ما كانوا في دار

(1) سورة النساء الآية/69.

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، حديث رقم (3256)، ومسلم في الجامع الصحيح، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف، حديث رقم (28319).

(3) أي: يشهدون على أنفسهم بالإيمان بالله عزوجل، تفسير الإمام مجاهد، ص (649).

(4) رواه ابن جرير من طريق إسماعيل بن يحيى عن البراء بن عازب وقال: هذا الحديث ضعيف جداً ونكره بن جرير في تفسيره (414/22)، وعبد الرزاق في تفسيره (276/2)، والسيوطي في تفسيره (281/14).

(5) رواه ابن جرير في تفسيره (415/22).

(6) عمرو بن ميمون الأودي المدحجي الكوفي، الإمام الحجة أبو عبدالله، أدرك الجاهلية وأسلم في الأيام النبوية، وقدم الشام مع معاذ بن جبل، ثم سكن الكوفة، حدث عن عمر، وعلي، وابن مسعود، وروى عنه الشعبي، أبو إسحاق، توفي سنة (150 هـ)، سير أعلام النبلاء (174/7).

(7) (الإصبع) الأثر الحسن. يقال: فلان من الله عليه إصبع حسنة أي: أثر نعمة حسنة وعليه منك إصبع حسنة أي: أثر حسن وإنما قيل للأثر الحسن إصبع لإشارة الناس إليه بالإصبع. لسان العرب (192/8).

(8) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، باب أن أرواح الشهداء في الجنة، حديث رقم (1887).

الدنيا من الأعمال.

كما قال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «الشهداء أربعة: رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله فقتل، فذاك الذي ينظر الناس إليه هكذا» ورفع رأسه حتى سقطت قلنسوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقلنسوة عمر، والثاني: مؤمن لقي العدو فكأنما يضرب ظهره بشوك الطلح جاءه سهم غرب فقتله فذاك في الدرجة الثانية، والثالث: مؤمن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الثالثة، والرابعة: رجل مؤمن أسرف على نفسه إسرافاً كثيراً لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الرابعة) رواه الترمذي وحسنه (1).

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ لَمَّا تَبَيَّنَ حَالُ السَّعْدَاءِ وَمَأَلَمُ عَطْفِ بِذِكْرِ الْأَشْقِيَاءِ وَحَالِهِمْ وَقَالَ: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (١).

﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

لقد أهان الله أمر الحياة الدنيا وحقرها فقال: ﴿أَتَمَّا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ﴾ أي: إنما حصل أمرها عند أهلها هكذا.

كما قال: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ (٢).

ثم ضرب - تعالى - مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية زائلة فقال ﴿كَمَثَلِ

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب فضائل الجهاد، باب فضل الشهداء عند الله، حديث رقم (1644)، حسنه

الترمذي، وضعفه الألباني في الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (3446).

(2) سورة آل عمران الآية/14.

﴿ غَيْثٍ ﴾ وهو المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس كما قال: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَكِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (1).

وقوله: ﴿ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾ أي: يعجب الزراع نبات ذلك الزرع التي (2) نبت بالغيث، وكما يعجب الزراع ذلك، كذلك تعجب الحياة الدنيا للكفار فإنهم أحرص شيء عليها وأميل الناس إليها.

﴿ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتْرَتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُوْنُ حُطْمًا ﴾ أي: ثم يكهل ذلك الزرع فتراه مصفراً بعد ما كان أخضراً نضراً ثم يكون بعد ذلك كله إلى أن يصير يبساً منكسراً متحطماً، هكذا الحياة الدنيا تكون أولاً شابة ثم تكتهل ثم تكون عجوزاً شوهاء، والإنسان يكون كذلك في أول عمره وعنفوان شبابه غصاً طرياً لين الأعطاف، بهي المنظر.

ثم إنه شرع في الكهولة فتغير طباعه ويفقد بعض قواه ثم يكبر فيصير شيخاً كبيراً ضعيف القوى قليل الحركة يعجزه الشيء اليسير.

كما قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ (3)

ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة بلا شكٍ حذراً من أمرها ورجب في ما فيها من الخير.

فقال: ﴿ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ﴾ أي: ليس في الآخرة إلا هذا وأما ذلك، إما عذاب شديد وإما مغفرة من الله ورضوان.

وقوله: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ ﴾ (4) أي: هي متاعٌ فانٍ غارٍ (4) لمن ركن إليها، فإنه يغتر بها وتعجبه حتى يعتقد كأنه لا دار سواها، ولا معاد وراءها.

(1) سورة الشورى الآية/28.

(2) والصحيح كما جاء في تفسير ابن كثير (الذي).

(3) سورة الروم الآية/54.

(4) (غارٌ) (الغرر) الخطر نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن بيع الغرر (وغرته) الدنيا (غُرُوراً) من باب قعد خدعته بزینتها فهي غرورٌ، غَرَّ الشخص من باب ضرب (غرارة) بالفتح فهو غارٌ. المصباح المنير (445/2).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، اقرؤوا ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴾» رواه ابن جرير⁽¹⁾ وهو ثابت في الصحيح إلى قوله اقرؤوا.

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «للجنة أقرب إلى أحدكم من شرك نعله والنار مثل ذلك» رواه البخاري⁽²⁾.

ففي الحديث دليل على اقتراب الخير والشر من الإنسان فهذا حثه، - تعالى - على المبادرة إلى الخيرات والتباعد عن المحرمات والاشتغال بما يكفر عنه الذنوب والزلات، ويحصل له الثواب والدرجات.

فقال: ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ والمراد جنسهما كما في أية أخرى ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾⁽³⁾.

وقال ههنا ﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ﴾ أي: هذا الذي ألهم الله له هو من فضله ومنه عليهم وإحسانه إليهم ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ يتفضل على من يشاء بما يشاء من فضله وكرامته.

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ ﴿ لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَكُمْ ﴾ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾.

(1) رواه ابن جرير في تفسيره (417/22)، والبخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، حديث رقم (3078)، وابن ماجه في سننه، كتاب صفة الجنة، باب صفة الجنة، حديث رقم (4473) والإمام أحمد في مسنده (336/24)، حديث رقم (15564).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الرقاق، باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شرك نعله، حديث رقم (6123).

(3) سورة آل عمران الآية/133 .

أخبر - تعالى - عن قدره السابق في خلقه قبل أن يخلق البرية فقال: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ أي: في الآفاق وفي أنفسكم، ﴿ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ أي: من قبل: أن نخلق الخليقة ونبرأ النسمة. وقيل: ضمير نبرأها عائد إلى أنفسكم، وقيل: إلى المصيبة والأحسن عوده إلى الخليقة والبرية لدلالة الكلام عليها.

كما قال: الحسن في جواب السائل عن ذلك كل مصيبة بين السماء والأرض ففي كتاب الله من قبل أن يبرأ النسمة (1).

قال قتادة: (مصيبة الأرض السنون) يعني: الجذب (2).

﴿ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ الأوجاع والأمراض قال: وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا نكبة قدم ولا خلجان عرق إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر. وهذه الآية من أدل دليل على القدرية نفاة العلم السابق.

وعن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال: وعرشه على الماء» رواه مسلم (3).

وقوله: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ أي: إن علمه تعالى للأشياء قبل كونها وكتابتها لها على طبق ما يوجد في أحيائها سهل هين، لأنه يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

وقوله: ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ أي: أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها، وتقديرنا الكائنات قبل وجودها لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم وما أخطاكم لم يكن ليصيبكم، فلا تأسوا أي: فلا تحزنوا على ما فاتكم لأنه لو قدر شيء لكان ﴿ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ أي:

(1) ينظر: تفسير ابن كثير (26/8).

(2) ينظر: جامع البيان (419/22)، والدر المنثور (286/14).

(3) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، باب حجاج آدم وموسى - عليهما السلام - حديث رقم (2553).

جاءكم وأعطاكم يعني: ولا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم فإن ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم، وإنما هو من قدر الله، ورزقه لكم فلا تتخذوا نعمة الله أشراً وبطراً تفخرون بها على الناس.

ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي: متكبر على نفسه فخور على غيره.

وقال عكرمة: ليس أحد إلا هو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكراً والحزن صبراً، ثم قال: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ أي: يفعلون المنكر ويحرضون الناس عليه ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ أي: عن أمر الله وطاعته ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ هو كما قال موسى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (1).

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ يعني لقد أرسلنا رسلنا بالمعجزات الباهرات، والدلائل القاطعات ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ وهو النقل الصدق والميزان وهو العدل.

وقيل: هو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المخالفة للآراء السقيمة كما قال: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (2).

وقال: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ (3) ولهذا قال ههنا: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالحق والعدل، وهو اتباع الرسل فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا به فإن الذي جاءوا به هو الذي ليس وراءه حق.

كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ (4) وقوله ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ أي: وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى عن الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه

(1) سورة إبراهيم الآية/8.

(2) سورة الروم الآية/30.

(3) سورة الرحمن الآية/7.

(4) سورة الأنعام الآية/115.

ولهذا أقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة بعد النبوة ثلاث عشر سنة يوحى إليه بالسور المكية وكلها جدال مع المشركين، وبيان وإيضاح للتوحيد وبينات ودلالات، فلما قامت الحجة على من تخلف، شرع الله الهجرة وأمرهم بالقتال بالسيوف، وضرب الرقاب لمن خالف القرآن وعانده.

كما روى ابن عمر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «بعثت بالسيوف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحيء وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم» رواه أحمد وأبو داود⁽¹⁾.

ولهذا قال تعالى: ﴿ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ يعني: السلاح كالسيوف والحرايب والسنان والنصال والدروع ونحوها ﴿ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ ﴾ أي: في معاشهم كالسكين والفأس والقدم والمنشار والأزميل والمجرفة، وسائر الآلات التي يستعان بها في الحراثة والحياكة والطبخ والخبز، وما لا قوام للناس بدونه وغير ذلك. قال ابن عباس: ثلاثة أشياء نزلت مع آدم السندان⁽²⁾ والكلبتان⁽³⁾ والميعة⁽⁴⁾، يعني: المطرقة رواه ابن جرير وابن أبي حاتم⁽⁵⁾.

وقوله: ﴿ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ﴾ أي: ليرى الله من نيته في حمل السلاح نصره الله ورسوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ ﴾ أي: في أمره ﴿ عَزِيزٌ ﴾ أي: في ملكه ينصر من نصر دينه من غير احتياج منه إلى الناس ن وإنما شرع الجهاد ليلبو بعضكم ببعض.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ نَدِّ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَلَاقُوا ۖ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ عَائِلِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (126/9)، وأبو داود في سننه، باب الرجل يخطب على قوس حديث رقم (9901)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة، حديث رقم (1694).

(2) السندان: ما يطرق الحداد عليه الحديد (الوسيط (س ن د)).

(3) الكلبتان: التي تكون مع الحداد يأخذ بها الحديد المحمي، يقال: حديدة ذات كلبتين وحديدتان ذات كلبتين وحداد ذات كلبتين. اللسان (ك ل ن).

(4) الميعة: المطرقة، يقال: الميعة المسن الطويل. (و ق ع).

(5) رواه ابن جرير في تفسيره (425/22)

الْإِنْجِيلَ^ط وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً^ع وَرَحْمَةً^ع وَرَهْبَانِيَّةً^ط ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ^ط وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٧٧﴾.

أخبر - تعالى - أنه منذ بعث نوحاً لم يرسل بعده نبياً ولا رسولاً إلا من ذريته، وكذلك إبراهيم خليل الرحمن، لم ينزل من السماء كتاباً ولا أرسل رسولاً ولا أوحى إلى بشر من بعده إلا وهو من سلالته كما قال في آية أخرى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ حتى كان آخر الأنبياء بني إسرائيل عيسى ابن مريم الذي بشر من بعده محمد - صلى الله عليه وسلم -.

ولهذا قال: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ^ط ﴾ وهو الكتاب الذي أوحاه الله إليه ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ﴾ وهم الحواريون ﴿ رَأْفَةً^ع وَرَحْمَةً^ع ﴾ رقة وهي الخشية ﴿ وَرَحْمَةً^ع ﴾ بالخلق وقوله: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً^ط ابْتَدَعُوهَا ﴾ أي: ابتدعها أمة النصارى ﴿ مَا كَتَبْنَاهَا ﴾ أي: ما فرضناها عليهم وما شرعناها لهم، وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم.

وقوله: ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنهم قصدوا بذلك رضوان الله، قاله ابن جبير⁽¹⁾ وغير واحد. والثاني: ما كتبنا عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله.

وقوله: ﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا^ط ﴾ أي: فما قاموا بما التزموا حق القيام وهذا ذم لهم من وجهين، أحدهما: في الابتداء في دين الله ما لم يأمر به الله. والثاني: في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة يقربهم إلى الله .

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يا ابن مسعود» قلت لبيك يا رسول الله قال: «هل علمت أن بني إسرائيل تفرقوا على اثنتين وسبعين فرقة؟ لم تنجح منهم إلا ثلاث فرق، قامت بين يدي الملوك والجبابرة بعد عيسى ابن مريم فدعت طائفة إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم، فقاتلت الجبابرة

(1) ينظر: تفسير ابن كثير (29/8)، وهو قول سعيد بن جبير وقتادة.

فقتلت فصبرت ونجت.

ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال فقامت بين يدي الملوك والجبابة فدعوا إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم فقتلت وقطعت بالمناشير وحُرقت بالنيران فصبرت ونجت، ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال ولم تطق القيام بالقسط، فلحقت بالجبال فتعبدت وترهبت وهم الذين ذكر الله ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾⁽¹⁾ رواه ابن أبي حاتم في سنن النسائي⁽¹⁾.

عن ابن عباس قال (كانت ملوك بعد عيسى - عليه السلام - بدلت التوراة والإنجيل وكان فيهم مؤمنون يقرأون التوراة والإنجيل، فقيل لملوكهم ما نجد شيئاً أشدّ [علينا]⁽²⁾ من شتم يشتمونا هؤلاء، إنهم يقرأون ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾⁽³⁾).

هذه الآيات مع ما يعيونا فيه من أعمالنا في قراءتهم فادعوهم فليقرأوا كما نقرأ وليؤمنوا كما آمنّا فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها فقالوا: ما تريدون إلى ذلك دعونا، فقالت طائفة منهم: ابنوا لنا اسطوانة ثم ارفعونا إليها ثم أعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نردّ عليكم.

وقالت طائفة: دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا، وقالت طائفة: ابنوا لنا دوراً في الفيافي ونحتفر الآبار ونحرث البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم وليس لهم من القبائل إلا له مهم فيه ففعلوا ذلك فانزل الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَائِهَا﴾^ط.

والآخرون بعدهم ممن قد غير الكتاب قالوا: نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دوراً كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا

(1) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره بلفظ مغاير (3341/10)، رواه الطبراني في الأوسط بلفظ قريب (377/4) ن ورواه ابن كثير (29/8).

(2) ما بين المعقوفتين لم تذكر في تفسير ابن كثير.

(3) سورة المائدة الآية/44 .

به، فلما بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يبق منهم إلا القليل انحطّ منهم رجل في صومعته، وجاء سائح من سياحته، وصاحب الدّير من ديره فأمنوا به وصدّقوه، فقال الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾ (1).

وعن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «كان يقول لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديار رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم» رواه أبو داود (2).

وعن أبي سعيد الخدري (3) أن رجلاً جاءه فقال: أوصني، سألت عمّا سألت عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من قبلك، «أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض» تفرد به أحمد (4).

وقال أنس: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «لكل نبي رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله» رواه أحمد (5).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٨﴾ لَيْسَ يَعْزَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٣٩﴾﴾

(1) ينظر: الطبري (204/23)، وابن كثير (30/8).

(2) أخرجه أبو داود، كتاب السنن، باب في الحسد، حديث رقم (4904)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة حديث رقم (3468).

(3) أبو سعيد الخدري، سعد بن مالك ابن سنان الأتصاري الخزرجي المدني كان من علماء الصحابة وممن شهد بيعة الشجرة روى حديثاً كثيرة وأبوه من شهداء أحد حدث عنه ابن عمر وجابر وغيرهما من الصحابة له أحاديث في الصحيحين انفرد البخاري بستة عشر حديثاً وانفرد مسلم باثنين وخمسين حديثاً ت 74هـ تذكرة الحفاظ (44/1).

(4) أخرجه الإمام أحمد، كتاب المسند (82/3)، تحقيق الألباني (صحيح) في السلسلة الصحيحة الكاملة، حديث رقم (555).

(5) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (266/3)، وضعفه الألباني في الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (4739).

قد سبق فيما روى ابن عباس أنّ هذه الآية في شأن مؤمني أهل الكتاب وأنهم يؤتون أجرهم مرتين (1).

كما في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري (2) قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: الرجل تكون له الأمة فيعلمها فيحسن تعليمها ويؤدبها فيحسن أدبها ثم يعتقها فيتزوجها فله أجران، ورجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي فله أجران، وعبد مملوك أدى حقّ الله وحقّ مواليه فله أجران» (3).

وقال سعيد بن جبیر: لما افتخر مؤمنوا أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله هذه الآية في حقّ هذه الأمة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَعَامِلُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ أي ضعفين ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ وزادهم ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ يعني: هديّ يتبصر به من العمى والجهالة ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ففضلهم بالنور والمغفرة) رواه ابن جرير (4).

وسأل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حبراً من أحبار اليهود ما أفضل ما ضعف لكم حسنة؟ قال: كفل ثلاثمائة وخمسين حسنة قال: فحمد الله عمر على أنّه أعطانا كفلين (5).

وفي مسند أحمد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالاً فقال: من يعمل لي من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ ألا فعلت اليهود ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟

(1) ينظر: تفسير القرطبي (276/20)، وتفسير ابن كثير (31/8).

(2) أبو موسى الأشعري هو عبد الله بن قيس ابن سليم بن حرب صحابي جليل الإمام الكبير صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حدث عنه بريدة بن الحصيبي وأبو أمامة الباهلي، وأنس بن مالك وقد أرسله النبي إلى عدن وولي امرأة الكوفة لعمرن وغزا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - سير أعلام النبلاء (337/3).

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الجهاد، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم (2849)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -، حديث (404).

(4) رواه ابن جرير في تفسيره (442/22).

(5) جامع البيان (238/22).

ألا فعلت النصرارى ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين؟ ألا فأنتم الذين عملتم فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملاً وأقلّ عطاءً قال: هل ظلمتكم من أجركم شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فإنما هو فضلي أوتيته من أشياء» رواه البخاري⁽¹⁾.

وعن أبي موسى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوماً يعملون له عملاً يوماً إلى الليل إلى أجر معلوم فعملوا إلى نصف النهار فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل، فقال لهم: لا تفعلوا أكملوا بقية يومكم وخذوا أجركم كاملاً، فأبوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقال: أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت من الأجر فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا: ما عملنا باطل ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه فقال: أكملوا بقية يومكم فإنما بقي من النهار شيء يسير فأبوا. فاستأجر قوماً أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس، فاستكملوا أجرة الفريقين كليهما، فذلك مثلهم مثل ما قبلوا من هذا النور» تفرد به البخاري⁽²⁾.

ولهذا قال تعالى: ﴿لَيْلًا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي: ليتحقق أنهم لا يقدرون على ردّ ما أعطاه الله ولا أعطاه ما منع الله. ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٣).

قال ابن جرير: ﴿لَيْلًا يَعْلَمَ﴾ أي: ليعلم⁽³⁾ وقد ذكر عن ابن مسعود أنه قرأ (لكي يعلم) ووافقه ابن جبير وغيره لأن العرب تجعل (لا) صلة في كل الكلام دخل في أوله وآخره جدد غير مصرح⁽⁴⁾ فالسابق كقوله: ﴿مَنْعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾⁽⁵⁾. ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾⁽⁶⁾.

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الإجارة، باب الإجارة إلى نصف النهار، حديث رقم (2268).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الإجارة، باب الإجارة من العصر إلى الليل، حديث رقم (2271).

(3) رواه ابن جرير في تفسيره (444/22).

(4) جامع البيان (444/22)، والنكت والعيون (486/5).

(5) سورة الأعراف الآية/12.

(6) سورة الأنعام الآية/109.

تفسير سورة المجادلة

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾⁽¹⁾ عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾⁽¹⁾ هكذا رواه البخاري.

وفي رواية لابن أبي حاتم عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء، إني لا أسمع كلام خولة بنت ثعلبة⁽²⁾ ويخفى عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهي تقول: يارسول الله أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سنّي، وانقطع ولدي ظاهر منّي، اللهم إني أشكو إليك فاقتي، قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ وهو أوس بن الصامت⁽³⁾ وكان امرءاً به لم، وكان إذا أخذ له لمة واشتد به يظاهر من امرأته، وإذا ذهب لم يقل شيئاً فأتت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تستفتيه في ذلك وتشتكي إلى الله.

فأنزل الله هذه الآية، ومعنى تجادلُك تخاصمك وتراجعك في شأن زوجها⁽⁴⁾،

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب سورة المجادلة، حديث رقم (339).

(2) خولة بنت ثعلبة، قيل خولة بنت حكيم، كانت تحت أوس بن الصامت أخي عبادة بن الصامت وفيها نزلت أول آية من سورة المجادلة، وقال عمر بن الخطاب: وهي المرأة التي سمع الله شكواها من سبع سموات. الاستيعاب (513/2).

(3) أوس بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن الخزرج الأنصاري، شهد بدرًا وأحدًا وسائر المشاهد مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبقي إلى زمن عثمان بن عفان وهو الذي ظاهر من امرأته فوطئها قبل أن يكفر، ت (34هـ)، الاستيعاب (78/1).

(4) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ص (3342/10)، وهي من طريق الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة، حديث رقم (18840).

والتحاور المراجعة في الكلام، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ أي: لما تتاجيه وتضرع إليه ﴿بَصِيرٌ﴾ من يشكو إليه.

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِمَّنِيسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

وفي مسند أحمد عن يوسف بن عبد الله بن سلام⁽¹⁾، عن خويلة بنت ثعلبة قالت: فيّ والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة، قالت: كنت عنده وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه، قالت: فدخل عليّ يوماً فراجعت به بشيء، فغضب فقال: أنت عليّ كظهر أُمي. قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل عليّ فإذا هو يريدني عن نفسي قالت: قلت: كلاً، والذي نفسي بيده لا تخلص إليّ، وقد قلت ما قلت، حتّى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه، قالت: فواثبني، فامتعت منه فغلبته بما تغلب المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عني، قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثياباً، ثم خرجت حتى جئت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه، قالت: فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «ياخولة ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه». قالت: فوالله ما برحت حتّى نزل في القرآن، فتعشى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما يتغشاها ثم سري عنه فقال لي: «ياخولة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآناً».

ثم قرأ عليّ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ إلى قوله: ﴿أَلِيمٌ﴾. قالت: فقال لي رسول الله - صلى

(1) يوسف بن عبد الله بن سلام، صحابي جليل، كنيته يوسف أبو يعقوب، وهو مدني أجلسه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حجره ووضع يده على رأسه وسماه يوسف، وروى عن عثمان وعلي وأبي الدرداء، روى عنه يزيد بن أبي أمية وابن أبي الهيثم وغيرهم، (ت 43هـ)، تهذيب الأسماء واللغات (728/1).

الله عليه وسلم-: «مريه فليعتق رقبة» قالت: فقلت يارسول الله - صلى الله عليه وسلم- ما عنده ما يعتق، قال: «فليصم شهرين متتابعين» قالت: فقلت والله إنه لشيخ كبير ما به من صيام قال: «فليتصدق سنتين مسكيناً وسقا من تمر» قالت: فقلت يارسول الله - صلى الله عليه وسلم- ما ذاك عنده، قالت: فقال: رسول الله - صلى الله عليه وسلم- «فإننا سنعيّنه بعرق من تمر» قالت: فقلت يارسول الله سأعيّنه بعرق آخر قال: «قد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدقني به عنه ثم استوصي بآب من عمك خيراً» قالت: ففعلت رواه أبو داود (1).

وفي روايته خولة من غير تصغير ولا منافاة بينهما هذا هو الصحيح في سبب نزول صدر هذه السورة، وبه قال ابن عباس والأكثر من: وأما قضية سلمة بن صخر البياضي (2) فكانت بعد ذلك والله أعلم.

فقوله: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِّن نِّسَائِهِمْ﴾ أصل الظهار مشتق من الظهر، وذلك أن الجاهلية كانوا إذا تظاهر أحدهم من امرأته قال لها: أنت عليّ كظهر أمي، ثم في الشرع كان الظهار في سائر الأعضاء قياساً على الظهر وكان في الجاهلية طلاقاً فأرخص الله - تعالى - لهذه الأمة وجعل فيه كفارة ولم يجعله طلاقاً كما كانوا يعتمدونه في الجاهلية، قال سعيد بن جبير: كان الإيلاء (3)، والظهار من طلاق الجاهلية، فوَقَّعَ اللهُ الإيلاء أربعة أشهر وجعل في الظهار الكفارة، وقد استدل مالك على أن الكافر لا يدخل في هذه الآية بقوله ﴿مِنْكُمْ﴾ فالخطاب للمؤمنين.

وأجاب الجمهور بأن هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له، واستدلوا عليه بقوله: ﴿مِّن نِّسَائِهِمْ﴾ على أن الأمة لا ظهار منها ولا تدخل في هذا الخطاب.

وقوله: ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾ أي: لا تصير المرأة بقول الرجل أنت عليّ كأمي، أو مثل أمي، أو كظهر أمي، ونحوه أمه بذلك، إنما

(1) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطلاق، باب في الظهار، حديث رقم (2214)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود حديث رقم (1934).

(2) سلمة بن صخر البياضي بن سلمة بن حارثة بن الحارث بن الخزرجي سكن المدينة، وروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم- أحاديث كثيرة، وهو أحد البكائين الذين أتوا رسول الله، معجم الصحابة (117/3).

(3) الإيلاء: مصدر آلى يؤلوا إذا حلف وهي الألية وظاهر الآية يدل على أن إيلاءه ألا يجامعها لم يكن طلاقاً وأنه جعل له انتظار تمام أربعة أشهر لا يطالب فيها بالفيء، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي (1/3331).

أمه التي ولدته، ولهذا ذمهم الله وقال: ﴿وَأَنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ أي: كلامافاحشاً باطلاً ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ أي: عما كان منكم في حال الجاهلية وهكذا أيضاً عما خرج من سبق اللسان، ولم يقصد إليه المتكلم.

كما رواه أبو داود أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سمع رجلاً يقول لا مرأته يا أختي، فقال: «أختك هي؟»⁽¹⁾ فهذا إنكار، ولكن لم يحرمها عليه لمجرد ذلك؛ لأنه لم يقصده، ولو قصده لحرمت عليه؛ لأنه لا فرق على الصحيح بين الأم وغيرها من المحارم من أخت، وعمة، وخالة، وما أشبه ذلك.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَابِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ اختلفوا في المراد بقوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ﴾ فقال بعضهم: العود هو أن يعود إلى لفظ الظهر فيكرره وهذا قول باطل وهو اختيار ابن حزم⁽²⁾.

وقال الشافعي: هو أن يمسكها بعد الظهر زماناً يمكنه أن يطلق فيه فلا يطلق⁽³⁾.

وقال مالك وأحمد: هو العزم على الجماع والإمساك، وأنه الجماع، فلا تحلُّ له حتى يكفر⁽⁴⁾.

وقال أبو حنيفة هو أن يعود إلى الظهر بعد تحريمه ورفع ما كان عليه في الجاهلية، فمتى ظاهر الرجل من امرأته فقد حرّمها تحريماً لا يرفعه إلا الكفارة، وإليه

(1) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطلاق، باب في الرجل يقول لأمرأته بأختي، حديث رقم (2212)، ضعفه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود، حديث رقم (2210).

(2) القول بأنه العود إلى لفظ الظهر فهو باطل قطعاً لا يصح وإنما يشبه أن يكون من جهالة ولأن الله تعالى وصفه منكر من القول وزور فكيف يقال له إذا أعدت القول المحرم والسبب المحذور وجبت عليك الكفارة، أحكام لابن العربي (192/4).

(3) مذهب الشافعي أن الظهر هو أن يقول الرجل لأمرأته أنت علي كظهر أمي، فإن قال أنت مني أو أنت معي كظهر أمي وما أشبه ذلك فهو ظاهر، وإن قال لا نية لي فليس بظاهر، ولو قال إذا نكحتك فأنت علي كظهر أمي فنكحتها لم يكن متظاهراً، لأن التحريم إنما يقع من النساء، ولو قال أنت طالق كظهر أمي يريد الظهر فهي طالق لأنه صرح بالطلاق. الأم لشافعي (203/1).

(4) قول علماء المالكية في العود بوجوب أن يحدث منهم شيء والمظاهر لم يطلق في حال ظهاره ولا قبل ذلك فإذا تظاهرا ثم لم يطلق بعد الظهر فهو كما كان لم يحدث منه شيء في الطلاق فيستحيل معنى ثم يعود لأن العائد إنما يعود إلى شيء قد كان فارقه والمظاهر لم يفارق زوجته في حال الظهار ولا قبله ولا بعده وإنما فارق المسيس فهو يريد أن يعود فقد وجبت عليه الكفارة في حال انفصل اللفظ في الظهار، أحكام القرآن لأبي إسحاق المالكي (181/1).

ذهب الصحابة⁽¹⁾.

وقال بن جبير: يعني يريدون أن يعودوا إلى الجماع الذي حرموه على أنفسهم. وقال الحسن: يعني غشيان الفرج، وكان لا يرى بأساً أن يغشى فيما دون الفرج قبل أن يكفر⁽²⁾.

وقال ابن عباس: المس: النكاح، يعني: الوطىء. وقال الزهري: ليس له أن يقبلها ولا أن يمسه حتى يكفر.

وعن ابن عباس أن رجلاً ظاهر من امرأته فغشيتها قبل أن يكفر فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكر ذلك له فقال: «ما حملك على ذلك» قال يارسول الله: رأيت بياض حجلتيها في القمر فلم أملك نفسي أن وقعتُ عليها فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «وأمره أن لا يقربها حتى يكفر» رواه ابن ماجه وأبو داود والنسائي نحوه وكذا الترمذي وحسنه وصححه⁽³⁾.

فقوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي: فإعتاق رقبة كاملة من قبل أن يتماساً فالرقبة ههنا مطلقة غير مقيدة بالإيمان وفي كفارة القتل مقيدة به. فالشافعي حمل ما أطلق ههنا على ما قيد هناك لا تحاد الموجب وهو عتق الرقبة⁽⁴⁾.

واعترض في ذلك بما رواه عن مالك بسنده عن معاوية بن الحكم السلمي⁽⁵⁾

(1) الظهار عند الأحناف: وهو أن يشبه امرأته أو عضواً يعبر به عن بدنها أو جزءاً شائعاً منها لا يحل النظر إليه على التأبيد، وحكمه حرمة الجماع ودواعيه حتى يكفر فإن جامع قبل التكفير استغفر الله تعالى، والعود الذي تجب به الكفارة أن يعزم على وطئها وينبغي لها أن تمنع نفسها منه وتطالبه بالكفارة ويجبره القاضي عليها ولو قال أنت عليّ مثل أمي أو كأمي فإن أراد الظهار فظهار وإن أراد الطلاق فواحدة بائنة والكفارة عتق رقيق تجزيء، الاختيار لتعليل المختار (37/1).

(2) ولا يحل له أن يوطئ حتى يكفر، فإن وطئ قبل الكفارة لم تتعد عليه الكفارة. ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (193/4).

(3) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الطلاق، باب المجامع بظاهر قيل أن يكفر، حديث رقم (2065)، وأبو داود سننه، كتاب الطلاق، باب في الظهار، حديث رقم (2223)، والنسائي السنن الكبرى، كتاب الطلاق، باب الظهار، (167/6)، والترمذي في سننه، كتاب الطلاق، باب في المظاهر، حديث رقم (1199)، وصححه الترمذي، ووافقه الحاكم في المستدرک (657/1)، حديث رقم (1777).

(4) قول الشافعي (بتحرير الرقبة) دلالة الكلام عليه أي فعلهم تحرير رقبة والمجمع عليه عند العلماء أن قول أنت عليّ كظهر أمي منكر من القول وزور فمن قال هذا القول حرم عليه وطئ امرأته فمن عاد لما قال لزمه كفارة الظهار، المجموع شرح المذهب (358/17).

(5) معاوية بن الحكم السلمي صحابي جليل نزل المدينة وسكن فيها وروى أحاديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وله صحبة في أهل الحجاز ثم نزل البصرة وقيل مات بخرسان وقد روى معاوية السلمي ثلاثة عشر حديثاً وقد روى الإمام مسلم بعض هذه الأحاديث، الإصابة (102/3)، وتهذيب الأسماء واللغات (636/1).

في قصة الجارية السوداء، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (أعتقها فإنها مؤمنة) رواه مسلم⁽¹⁾.

وقوله: ﴿ذَلِكُمْ تُوَعِّظُونَ بِهِ﴾ أي: تزجرون وتؤمرون به ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: خبير بما يصلحكم عليكم بأحوالكم وقوله: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ الآية مفسراً بما سبق في الحديث ﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: شرعنا هذا وقوله: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي: محارمه فلا تنتهكوها.

وقوله: ﴿وَاللَّكْفِيرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: الذين لم يؤمنوا ولم يلتزموا بأحكام هذه الشريعة، لا تعتقدوا أنهم ناجون من البلاء بل لهم عذاب أليم؛ في الدنيا والآخرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

أخبر - تعالى - عن شاقوا الله ورسوله وعاندوا شرعه أنهم ﴿كُتِبُوا﴾ أي: أُهينوا ولعنوا وأُخزوا كما فعل بأشياءهم ممن كان قبلهم ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي واضحات لا مخالقات ولا يعاندها إلا كافر فاجر مكابر ﴿وَاللَّكْفِيرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ أي: في قبالة ما استكبروا من اتباع شرع الله والانقياد له والخضوع لديه.

ثم قال: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ وذلك يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ أي: فيخبرهم بما صنعوا من خير وشر.

﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ أي: ضبطه الله وحفظه عليهم وهم قد نسوا بما كانوا

(1) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب العتق والولاء، باب ما يجوز من العتق في الرقبة الواجبة، 595/2 حديث رقم (8) ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، حديث رقم (537).

عملوا ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ أي: لا يغيب عنه شيء ولا يخفى ولا ينسى شيئاً
ثم قال - تعالى - مخبراً عن إحاطة علمه، وإطلاعه عليهم وسماعه كلامهم،
ورؤية مكانهم حيث كانوا وأين كانوا فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَى
مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ أي: مطلع عليهم يسمع كلامهم وسرهم
ونجواهم ورسله أيضاً مع ذلك تكتب ما يتناجون به مع علم الله به وسمعه له

كما قال: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ ﴾ (1).

وقال: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ (2)،
قال: ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه - تعالى - ولا
شك في إرادة ذلك، ولكن سمعه أيضاً مع علمه بهم وبصره نافذ فيهم فهو مطلع على
خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء.

ثم قال: ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ قال
الإمام أحمد: افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ التَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ
لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُونَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ يتأيتها الذين آمنوا
إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا
اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿ إِنَّمَا التَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ
بِضَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾.

قال مجاهد: هم اليهود (3)، وذلك أنه كان بين النبي - صلى الله عليه وسلم -
وبين اليهود مودة، وكانوا إذا مرَّ بهم رجل من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -

(1) سورة التوبة الآية/78.

(2) سورة الزخرف الآية/80.

(3) جامع البيان (470/22)، وتفسير ابن كثير (42/8).

وسلم- يتتاجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتتاجون بقتله أو بما يكره المؤمن، فإذا رأى المؤمن ذلك خشيم فترك طريقه عليهم، فنهاهم النبي - صلى الله عليه وسلم- عن النجوى فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوى، فأنزل الله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ وعن أبي سعيد الخدري قال: كنا نتناوب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- نبيت عنده يطرقه من الليل أمرٌ وتبدو له حاجة.

فلما كانت ذات ليلة كثر أهل النواب والمحتسبون حتى كنا أندية نتحدث، فخرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، فقال: «ما هذه النجوى؟ ألم تنتهوا عن النجوى» فقلنا تبنا إلى الله رسول الله، إننا كنا في ذكر المسيح فرقا منه، فقال: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي منه؟» قلنا: بلى يا رسول الله! قال: «الشرك الخفي أن يقوم الرجل يعمل لمكان رجل» حديث ضعيف رواه ابن أبي حاتم (1).

وقوله: ﴿ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ أي: يتحدثون فيما بينهم ﴿ بِالْإِثْمِ ﴾ وهو ما يختص بهم ﴿ وَالْعُدْوَانِ ﴾ وهي ما يتعلق بغيرهم، ومنه معصية الرسول - عليه السلام- ومخالفته يصرون عليها ويتراضون بها.

وقوله: ﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ ﴾ عن عائشة - رضي الله عنها- قالت: دخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقالت عائشة: وعليكم السام قالت: فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: (يا عائشة إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش) قلت: ألا تسمعهم يقولون السام عليك؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: (أو ما سمعت أقول وعليكم) فأنزل الله ﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ ﴾ رواه ابن أبي حاتم (2).

وفي الصحيح عن عائشة - رضي الله عنها- نحوه وفي رواية فيه أنها قالت لهم: عليكم السام والذام واللعنة، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: (إنه

(1) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (3343/10)، والإمام أحمد في مسنده (355/17)، حديث رقم (11252)،

وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن بن ماجه (204/9) حديث رقم (4204).

(2) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (3343/10)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل

الكتاب بالسلام، حديث رقم (1265).

يستجاب لنا فيهم، ولا يستجاب لهم فينا⁽¹⁾.

وقوله: ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ أي: يفعلون هذا ويقولون ما يحرفون من الكلام وإيهام السلام، وإنما هو شتم في الباطن، ومع هذا يقولون في أنفسهم لو كان نبياً لعذبنا الله بما نقول له في الباطن بالعقوبة في الدنيا لأن الله يعلم تفسيره فقال تعالى: ﴿ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ أي: جهنم كفايتهم في الآخرة ﴿ يَصَلُّونَهَا فَيَبُوءُ الْمَصِيرُ ﴾ أي: جهنم لهم.

وقال ابن عباس: كان المنافقون إذا حيَّوه يقولون: السام عليك⁽²⁾. قال: الله حسبهم، ثم قال الله: مؤدباً عباده المؤمنين أن لا تكونوا مثل الكفرة والمنافقين: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ أي: كما يتنجا به الكفرة من أهل الكتاب، ومن ما لأهم على ضلالهم من المنافقين ﴿ وَتَنَجَّجُوا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَآتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ أي: فيخبركم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي قد أحصاها عليكم وسيجزيك بها.

في الصحيحين عن صفوان بن محرز⁽³⁾ قال: كنت آخذاً بيد بن عمر إذ عرض له رجلٌ قال: كيف سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول في النجوى يوم القيامة؟

قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إِنَّ اللَّهَ لِيَدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيُضَعُ كَنَفَهُ وَيَسْتَرُهُ مِنَ النَّاسِ وَيَقْرُرُهُ بِذُنُوبِهِ وَيَقُولُ لَهُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ حَتَّىٰ إِذَا قَرَّرَهُ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ قَالَ: فَإِنِّي سَتَرْتَهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ يُعْطَىٰ كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين، حديث رقم (6395)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، حديث رقم (1264).

(2) ينظر: جامع البيان (470/22)، ومعالم التنزيل (55/8).

(3) صفوان بن محرز المازني البصري العابد أحد الأعلام، حدث عن أبي موسى الأشعري وعمران بن حصين وحكيم بن حزم، روى عنه جامع شرار ويكر المزني وقتادة وثابت، كان واعظاً قانتاً لله، وكان كثير الصيام والقيام وكان زاهداً في الدنيا، (ت74هـ)، سير أعلام النبلاء (286/4).

الأشهاد»: ﴿ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (1) (2).

ثم قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ أي: إنما النجوى وهي المسارة حيث يتوهم مؤمن بها سوءاً ﴿ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ يعني: إنما يصدر هذا من المتتاجين عن تسويل الشيطان وتزيينه ﴿ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أي: ليسوءهم وليس ذلك بضارهم شيئاً إلا بإذن الله، ومن أحس من ذلك شيئاً فليستعذ بالله وليتوكل على الله فإنه لا يضره شيء إلا بإذن الله، وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتتاجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه» (3).

وعن ابن عمر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتتاجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه فإن ذلك يحزنه» انفرد به مسلم (4).

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (5).

قال - تعالى - مؤدباً عباده المؤمنين أمراً لهم أن يحسن بعضهم إلى بعض في المجالس: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا ﴾ أي: توسعوا ﴿ فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا ﴾ أي: أوسعوا فقال: فسح يفسح فسحاً إذا أوسع في المجلس ﴿ يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ أي: يوسع الله لكم في مجالس الجنة، وذلك أن الجزاء من جنس العمل كما جاء في الحديث الصحيح «من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة» (5) ولهذا أشباه

(1) سورة هود الآية/18.

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب «وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا» حديث رقم (4685)، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، حديث رقم (2768).

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الاستئذان، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة والمناجاة، حديث رقم (6290)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الإثنين دون الثالث بغير رضاه، حديث رقم (2184).

(4) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الإثنين دون الثالث بغير رضاه، حديث رقم (2183).

(5) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الصلاة، باب من بنى لله مسجداً، حديث رقم (450) ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب فضل بنا المساجد والحث عليها، حديث رقم (533).

كثيرة، وقال قتادة: نزلت هذه الآية في مجالس الذكر، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلاً ضنوا بمجالسهم عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض⁽¹⁾ قال مقاتل ابن حيان⁽²⁾: نزلت هذه الآية ليوم الجمعة وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يومئذ في الصفة وفي المكان ضيق، فجاء ناس من أهل بدر وكانوا مكرمين.

وقد سبقوا في المجلس فقاموا حيال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: السلام عليك، فردّ عليهم النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم سلّموا على القوم فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشقّ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: لمن حوله «قم يا فلان وأنت يا فلان فأقام من المجلس بقدر النفر الذين قاموا بين يديه من أهل بدر فشقّ ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي - صلى الله عليه وسلم - الكراهة في وجوههم»⁽³⁾ فأنزل الله هذه الآية يوم الجمعة، وفي الصحيحين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن افسحوا وتوسعوا»⁽⁴⁾ وفي رواية أحمد «ولكن افسحوا يفسح الله لكم»⁽⁵⁾.

وفي جواز القيام للوارد إذا جاء أقوال أحدها أنه يجوز لحديث: «قوموا إلى سيدكم»⁽⁶⁾ والثاني لا يجوز لحديث: «من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده

(1) جامع البيان (477/22)، وتفسير مجاهد (650)، وتفسير ابن كثير (45/8).

(2) مقاتل بن حيان بن روال الإمام العالم المحدث الثقة حدث عن الشعبي ومجاهد والضحاك وعكرمة، روى عنه شيخه علقمة بن مرثد وإبراهيم بن أدهم وعبد الله بن المبارك هرب من خرسان بن أبي مسلم صاحب الدولة توفي في سنة (150هـ). سير أعلام النبلاء (341/6).

(3) رواه قطب في ظلال القرآن (294/1) رقم الحديث (833).

(4) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الاستئذان، باب «إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجْلِسِ فَأَفْسَحُوا» حديث رقم (6270)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه، حديث رقم (2177).

(5) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (483/2)، حديث رقم (10271)، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها (216/6).

(6) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الصلاة، باب إذا نزل العدو على حكم رجل، حديث رقم (3043)، ومسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب جواز قتال من نقض العهد، حديث رقم (1768).

من النار»⁽¹⁾ والثالث التفصيل وهو أنه يجوز لمن قدم من سفر وللحاكم في محل ولايته كما دلّ عليه قصة سعد بن معاذ حين حكمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بني قريظة فطلبه فلما رآه مقبلاً قال للمسلمين: «قوموا إلى سيدكم» وما ذاك إلا ليكون أنفذ لحكمه، وأمّا اتخاذه عادة فإنه شعار العجم، وكانوا يومئذٍ غير مسلمين فمخالفتهم أولى وقد جاء في السنن أنه لم يكن شخص أحبّ إليهم من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكان إذا جاؤا لا يقومون له لما يعلمون من كراهته لذلك»⁽²⁾.

وفي السنن أنه - عليه الصلاة والسلام - كان يجلس حيث انتهى به المجلس ولكن حيث يجلس يكون صدر ذلك المجلس، وكان الصحابة يجلسون منه على مراتبهم، كالصديق يجلس عن يمينه وعمر عن يساره، وبين يديه غالباً عثمان وعلي لأنهما كانا يكتبان الوحي، وكانا يأمرهما بذلك.

كما روى ابن مسعود أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول: «ليليني منكم أولوا الأحلام والنهي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» رواه مسلم⁽³⁾ وما ذاك إلا ليعقلوا عنه ما يقوله من أحكام الشرع، وآدابه ودقائقه، وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا يحل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما» رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه⁽⁴⁾.

قال ابن عباس وغيره أي: فافسحوا في مجالس الحرب⁽⁵⁾ ومعنى: ﴿وَإِذَا قِيلَ أُدْشِرُوا فَأَنْشِرُوا﴾ إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا .

وقال ابن زيد: كانوا يكونون عند النبي - صلى الله عليه وسلم - في بيته

(1) أخرجه أبو داود في سننه، باب في قيام الرجل للرجل، حديث رقم (5229)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4357).

(2) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل، حديث رقم (2756) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2211).

(3) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها، حديث رقم (432).

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (576/1)، وأبو داود في سننه، كتاب الآداب، باب في تنزيل الناس منازلهم، حديث رقم (4845) والترمذي في سننه، كتاب الآداب، باب ما جاء في كراهية الجلوس بين رجلين بغير إذنهما، حديث رقم (5753)، وصححه الترمذي، ووافقه الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (4054).

(5) ينظر: جامع البيان (478/22)، والنكت والعيون (492/5)، وتفسير ابن كثير (48/8).

ويحبُّون أن يلبثوا طويلاً، فربما يشق ذلك عليه فأمرُوا أنهم إذا أمرُوا بالانصراف أن ينصرفوا بلا مكث كقوله: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارجِعُوا فَأرجِعُوا هُوَ أَزكى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾⁽¹⁾.

وقوله: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ﴾ أي: لا تعتقدوا أنه إذا تفسح منكم أحدٌ لأخيه إذا قبل أو أمر بالخروج والانصراف فخرج، أن يكون ذلك نقصاً في حقه بل هو رفعة ورتبة عند الله، والله لا يضيع ذلك له، بل يجزيه بها في الدارين فإن من تواضع لأمر الله رفع الله قدره ونشر ذكره، ولهذا قال: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أي: بمن يستحق ذلك ممن لا يستحقه وقد ذكرنا فضل العلم وأهله في شرح صحيح البخاري في كتاب العلم والله أعلم.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَظْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

أمر - تعالى - عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يناجي رسول الله - صلى الله عليه و سلم -؛ أي: يساره فيما بينه وبينه، أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهره وتركيه وتؤهله؛ لأن يصلح لهذا المقام، ولهذا قال ذلك: أي تقديم الصدقة ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ﴿وَأَظْهَرُ﴾، ثم قال: ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا﴾ أي: فمن عجز عن ذلك لفقره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فإنه ما أمر بها إلا من قدر عليها .

ثم قال: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ أي: أخفتم من استمرار هذا الحكم عليكم من وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول. ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ أي: ما أمرتم ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: تجاوز عنكم وخفف ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: المفروضة ﴿وَعَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ الواجبة.

(1) سورة النور الآية/28.

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ فنسخ وجوب ذلك عنهم، وقد قيل: إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قدّم ديناراً صدقة فتصدق بها، ثم ناجى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فسأله عن عشر خصال ثم أنزلت الرخصة، وعن مجاهد قال: قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد بعدي، كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم، فكننت إذا ناجيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تصدقت بدرهم، فنسخت لم يعمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي، ثم تلا هذه الآية⁽¹⁾.

وعن علي - رضي الله عنه - قال: لما نزلت هذه الآية قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «ما ترى ديناراً؟» قال: لا تطيقونه، قال: «نصف دينار» قال: لا تطيقونه، قال: «ما ترى؟» قال: شعيرة. فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إِنَّكَ الزهيد» رواه بن جرير وللترمذي مثله⁽²⁾، قال علي: فبني خفف الله عن هذه الأمة. ومعنى قوله شعيرة: وزن شعيرة من ذهب.

وقال ابن عباس: إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عنه فلما قال ذلك جبن كثير من المسلمين وكفوا عن المسألة⁽³⁾.

فأنزل الله بعده: ﴿ وَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقْتُمْ فَأِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ فوسّع الله عليهم ولم يضيق، قال قتادة: ما كانت إلا ساعة من نهار فنسخت⁽⁴⁾.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا

(1) ينظر: تفسير ابن كثير (50/8) .

(2) رواه ابن جرير في تفسيره (22/2)، والترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة المجادلة، حديث رقم

(3300) وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي، حديث رقم (652).

(3) جامع البيان (484/22)، وتفسير ابن كثير (50/8).

(4) ينظر: معالم التنزيل (61/8)، والدر المنثور (337/14).

يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ تُعْزِي عَنَّهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَّا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾.

أنكر - تعالى - على المنافقين وموالاتهم الكفار في الباطن وهم في نفس الأمر لا معهم ولا مع المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ ﴿١٦٣﴾ (1).

فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: اليهود الذين كان المنافقون يمالونهم ويوالونهم في الباطن.

ثم قال: ﴿مَا هُمْ مِّنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ هؤلاء المنافقون ليسوا في الحقيقة منكم أيها المؤمنون، ولا من الذين يوالونهم وهم اليهود، ثم قال: ﴿وَيَحْلِفُونَ﴾ أي: المنافقون ﴿عَلَىٰ الْكُذِبِ﴾ وهم عالمون أنهم كاذبون فيما حلفوا به وهي اليمين الغموس، لا سيما في مثل حالهم لأنهم لا يعتقدون صدق ما قالوه وإن كان في نفس الأمر مطابقاً، ولهذا شهد الله بكذبهم في إيمانهم وشهادتهم لذلك، ثم قال: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ رصد الله لهم على هذا الصنيع العذاب الأليم على أعمالهم السيئة وهي موالات الكافرين ومعادات المؤمنين، وغشهم، ولهذا قال: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: أظهروا الأيمان وأبطنوا الكفر واتقوا بالأيمان الكاذبة، فيظن كثير ممن لا يعرف حقيقة أمرهم فاغترَّ بهم، فحصل بهذا صدٌّ عن سبيل الله لبعض الناس ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ أي: في مقابلة ما امتهنوا من الحلف باسم الله العظيم في الإيمان الكاذبة الحائثة، ثم قال: ﴿لَنْ تُعْزِي عَنَّهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ أي: لن يدفع ذلك عنهم بأساً إذا جاءهم ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

(1) سورة النساء الآية/143.

ثم قال: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ أي: يحشرهم يوم القيامة جميعاً لا يغادر منهم أحداً ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أي: يحلفون بالله أنهم كانوا في الدنيا على الهدى والاستقامة كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا ؛ لأن من عاش على شيء مات عليه وبعث عليه، ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كما ينفعهم عند الناس، فيجرون عليهم الأحكام الظاهرة.

ولهذا قال: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أي: حلفهم ذلك لربهم، قال منكراً عليهم حسابانهم ذلك: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ فأكد الخبر عنهم بالكذب.

وعن ابن عباس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان في ظلّ حجرة من حجره وعنده نفر من المسلمين قد كاد يقلص عنهم الظلّ قال: «إنّه سيأتىكم إنسانٌ ينظر بعيني شيطان فإذا أتاكم فلا تكلموه» فجاء رجل أزرق فدعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكلمه فقال: «علام تشتمني أنت وفلان وفلان» نفر دعاهم فحلفوا له واعتذروا إليه فأنزل الله ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ الآية) رواه أحمد وابن أبي حاتم ولاين جرير نحوه⁽¹⁾ وحال هؤلاء كما أخبر - تعالى - عن المشركين حيث قال: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾⁽²⁾ ثم قال: ﴿أَسْتَحْوِذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: غلب واستولى على قلوبهم الشيطان حتى أنساهم أن يذكر الله وكذلك يصنع من استحوذ عليه.

كما روي أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية» رواه أبو داود⁽³⁾، يعني: الصلاة في الجماعة.

ثم قال: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ يعني: الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله. ثم قال: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾⁽⁴⁾ أي: في الدارين.

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (231/4)، حديث رقم (2407)، وابن أبي حاتم في تفسيره (10/10)، وابن جرير في تفسيره (489/22).

(2) سورة الأنعام الآية/23.

(3) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب التشديد في ترك الجماعة، حديث رقم (547) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود حديث رقم (511).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ٥ ﴾ كَتَبَ اللَّهُ لِأَعْلَبِ بْنِ أَنَا
وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٦﴾ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ
الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٧﴾

أخبر تعالى عن الكفار المعاندين المحاديين لله ورسوله؛ يعني: الذين هم في حدّ
والشرع في حدّ، أي: مجانبون للحقّ مساقون له هم في ناحية والهدى في ناحية ﴿أُولَئِكَ
فِي الْأَذَلِّينَ﴾ أي: في الأشقياء المبعدين المطرودين عن الصواب الأذلين في الدارين.

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لِأَعْلَبِ بْنِ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ أي: قد حكم وكتب في كتابه الأول وقدره الذي
لا يخالف ولا يمانع ولا يبدّل، بأنّ النصره له، ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدارين
وأن العاقبة للمتقين ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أي: كتب القوي العزيز أنه الغالب على
أعدائه، وهذا قدرٌ محكم وأمرٌ مبهم أن العاقبة والنصرة للمؤمنين في الدنيا والآخرة، ثمّ
قال تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ أي:
لا يوادون المحاديين ﴿ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ ولو كانوا من الأقربين.

كما قال ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكُفْرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ
الْمَصِيرُ ﴾ (1).

قال: بعضهم نزلت هذه الآية ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ في
أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح (2) حين قتل أباه يوم بدر.
ولهذا قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين جعل أمر الخلافة
شورى بعده في أولئك السنة، ولو كان ابن عبيدة حيّاً لاستخلفته.

(1) سورة آل عمران الآية/28.

(2) عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن الحارث بن فهر بن مالك أحد السابقين الأولين ومن
عزم الصديق على توليته الخلافة يجتمع في النسب هو والنبي - صلى الله عليه وسلم - في فهر شهد له
النبي بالجنة وسمّاه أمين الأمة روى أحاديث كثيرة، أسد الغابة (125/3).

وقيل في قوله: ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ في الصديق هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن ﴿أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾ في مصعب ابن عمير، قتل أخاه عبيد بن عمير⁽¹⁾ ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ في عمر قتل قريباً له يومئذ أيضاً، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ.

قال الشيخ: ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسلمين في أسرى بدر، فأشار الصديق بأن يفادوا فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين، وهم بنو العم والعشيرة، ولعل الله أن يهديهم.

قال عمر: لا أرى ما رأى، يارسول الله بل مكنني من فلان قريب لعمر فاقتله وتمكن علياً من عقيل، وتمكن فلاناً من فلان ليعلم الله ليست في قلوبنا مودة للمشركين القصة بطولها⁽²⁾.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ أي: من اتصف بأنه لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كانوا أباه أو أخاه، فهو ممن كتب الله في قلبه الإيمان.

قال ابن عباس: ﴿وَأَيَّدَهُمْ﴾ أي: قواهم⁽³⁾ ﴿بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي: بنصر منه. وقال الحسن: سمي نصره إياه روحاً لأن نصرهم يحيي به⁽⁴⁾.

وقيل أي: الإيمان بالقرآن وحججه وقيل عبر بمثل.

وقوله: ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الآية سبق تفسيرها غير مرة.

(1) عبيد بن عمير بن قتادة بن سعد بن عامر بن جندع بن كنانة الليثي يكنى أبا عاصم، قاضي أهل مكة وهو معدود في كبار التابعين، روى عن عمر وغيره، مكي ثقة، مات سنة (68هـ) الإصابة في تمييز الصحابة (60/5)..

(2) أخرجه الإمام أحمد، كتاب المسند (335/1) حديث رقم (208)، وكنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (682/10) حديث رقم (29939).

(3) جامع البيان (494/22)، النكت والعيون (496/5).

(4) النكت والعيون (496/5).

وفي قوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ لطيفة وهوانة لما سخطوا على القرائب والشعائر في الله عوّضهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفضل العميم.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ أي: هؤلاء عباد الله وأهل كرامته.

وفي قوله: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾ تلميح بفلاحهم وسعادتهم ونصرتهم في الدارين في مقابلة ما أخبر عن أولئك بأنهم حزب الشيطان.

ونقل أن أبا حازم الأعرج كتب إلى الزهري اعلم أن الجاه جاهان: جاه يجريه الله على أيدي أوليائه لأوليائه، وأنهم الخامل ذكرهم الخفية شخوصهم.

ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا حضروا لم يدعوا قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة» فهؤلاء أولياء الله الذين قال الله: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ رواه ابن أبي حاتم⁽¹⁾.

وعن الحسن قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يداً ولا نعمة، فإني وجدت فيما أوحيته إلي⁽²⁾) ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ قال سفيان: قيل: إنها نزلت في من يخالط السلطان.

(1) لم أقف عليه عند ابن أبي حاتم، ووقفت عليه في سنن ابن ماجه، باب من ترجى له السلامة من الفتن، حديث رقم (4124)، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (484/1)، حديث رقم (4839).

(2) رواه الزيعلي في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف (432/3)، حديث رقم (1314).

تفسير سورة الحشر

وهي مدنية

عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس فيمن أنزلت سورة الحشر؟ قال: أنزلت في بني النضير⁽¹⁾ وفي رواية قلت لابن عباس سورة الحشر، قال: قل سورة بني النضير. رواه البخاري⁽²⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁽¹⁾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَّتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾

أخبر تعالى أن جميع ما في السموات وما في الأرض من شيء يسبح له ويمجده ويقده، ويصلي له ويوحده.

كما قال: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾⁽³⁾ وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي: منيع الجناب ﴿الْحَكِيمُ﴾ في قدره وشرعه وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني: يهود بني النضير⁽⁴⁾. قاله ابن عباس

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، حديث رقم (4029)، ومسلم في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، حديث رقم (3031).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الحشر، حديث رقم (4883).

(3) سورة الإسراء الآية/44.

(4) جامع البيان (496/22)، النكت والعيون (498/5).

وغير واحدٍ وذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لمّا قدم المدينة هادئهم، وأعطاهم عهداً وذمةً على أن لا يقاتلهم ولا يقاتلونه، فنقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه فأحل الله بهم بأسه الذي لا يردّ، وأنزل عليهم قضاءه الذي لا يصدّ فأجلاهم النبي - صلى الله عليه وسلم - وأخرجهم من حصونهم الحصينة التي ما طمع فيها المسلمون، وظنّ اليهود أنّها ما نعتهم من بأس الله، فما أغنى عنهم من الله شيئاً وسيّرهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأجلاهم من المدينة فكان منهم طائفة ذهبوا إلى أذرعات⁽¹⁾ من أعالي الشام وهي أرض المحشر والمنشر، ومنهم طائفة ذهبوا إلى خيبر، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد أجلاهم عنها، على أنّ لهم ما حملت إبلهم، وكانوا يقلعون ما في بيوتهم من المنقولات التي لا يمكن أن تحمل معهم، ولهذا قال: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ تفكروا في عاقبة من خالف أمر الله وأمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - وكذب كتابه كيف يحلّ به من بأسه المخزي له في الدنيا مع ما يدّخره له في الآخرة من العذاب الأليم.

وملخص غزوة بني النضير مما ذكره أصحاب المغازي والسير أنّه لمّا قتل أصحاب بئر معونة - رضي الله عنهم - وكانوا سبعين من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأفلت منهم عمرو بن أمية الضمري⁽²⁾، فلمّا كان في أثناء الطريق راجعاً إلى المدينة قتل رجلين من بني عامر، وكان معهما عهدٌ من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمان لم يعلم به عمرو، فلمّا رجع أخبر بذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «قتلت رجلين لابد من ديّتهما»⁽³⁾ بين بني النضير وبين بني عامر حلفٌ وعهدٌ فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بني النضير يستعينهم في

(1) أذرعات بالفتح ثم السكون وكسر الراء وعين مهملة وألف وتاء كأنه جمع أذرة جمع قلة وهو بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان، وقال الحافظ أبو القاسم أذرعات مدينة بالبقاء. معجم البلدان (130/1).

(2) عمرو بن أمية بن خويلد الضمري، ابن عبد الله بن إياس بن عبيد بن كعب بن كنانة بعثه النبي - صلى الله عليه وسلم - عينا إلى قریش فحمل حُبیب، أسلم وهو من مهاجرة إلى الحبشة ثم هاجر إلى المدينة شهد بدرًا وأحدًا. أسد الغابة (181/4).

(3) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج والإمارة، باب في خبر النضير، حديث رقم (3004)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (2595).

ديّة ذينك الرجلين وكانت منازل بني النضير بظاهر المدينة على أميال منها شرقها. قال محمد ابن اسحاق: في كتابه السيرة ثمّ خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إلى بني النضير يستعينهم في ديّة ذينك القنيلين من بني عامر اللذين قتلها عمرو بن أمية للجوار الذي كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- عقد لهما. فلما أتاهم وطلب إليهم قالوا نعم: يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه، ثمّ خلا بعضهم ببعض وقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ورسول الله - صلى الله عليه وسلم- إلى جنب جدار يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحش⁽¹⁾ بن كعب أحدهم فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرة وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في نفر من الصحابة فيهم أبوبكر وعمر وعلي- رضي الله عنهم- فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة. من غير أن يعلم الصحابة فلما استلبثوا⁽²⁾ قاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة، فسألوه عنه، فقال: رأيتُه داخلاً إلى المدينة.

فأقبل أصحابه حتّى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت الغدر به، وأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم. ثمّ سار حتّى نزل بهم فتحصّنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بقطع النخل والتحريق فيها، فنادوه أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من يصنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها؟

وقد كان رهط من بني عوف من الخزرج منهم عبد الله بن أبي ابن سلول، ووديعة⁽³⁾، ومالك بن أبي قوئل⁽¹⁾، وسويد، وداعس قد بعثوا إلى بني النضير أن

(1) الصواب كما ورد في تفسير ابن كثير (جحش) وليس كما في المخطوط (حجاش).

(2) استلبثوا: أي تلبثوا في الأمور والنظر والشيء وفيه تدبره وأعاد النظر فيه مرّة بعد أخرى ليستقيّه، المعجم الوسيط (27/1).

(3) وديعة بن عمرو بن جراد بن الجهني، وقال الكلبي: وديعة بن عمرو بن يسار بن عوف بن جراد بن طحيل حليف لبني سواد بن مالك النجار. أسد الغابة (413/5).

اثبتوا وتمتعوا، فإننا لن نسلمكم إن قتلتم قاتلنا معكم، وإن خرجتم خرجنا معكم، فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقذف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة يعني: السلاح ففعلوا فاحتملت من أموالهم ما استقلت به الإبل، فكان الرجل يهدم بيته عن إيجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام وخلوا الأموال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكانت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - خاصة يضعها حيث يشاء فقسّمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا سهل بن حنيف⁽²⁾ وأبا دجاجة⁽³⁾ - سماك بن خرشة - ذكراً فقراً فأعطاهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يُسلم من بني النضير إلا رجلاً: يامين بن عمر بن كعب⁽⁴⁾ ابن عم عمرو بن جحش، وأبو سعيد بن وهب⁽⁵⁾ أسلما على أموالهما فأحرزها.

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليامين: «ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شأني»⁽⁶⁾ فجعل يامين بن عمير لرجل على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله، ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها، هكذا قال ابن إسحاق.

-
- (1) هو النعمان بن ملك بن ثعلبة بن أكرم بن فهر بن ثعلبة بن قوئل واسمه غنم بن عوف وقوئل لقب لثعلبة بن أكرم نسب النعمان إلى جابر وأبو صالح أبو صالح عنه لم يدركه تهذيب الأسماء (166/2).
- (2) سهيل بن حنيف بن وهب بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث بن خنساء وهو أنصاري يكنى أبا سعيد شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو الذي ثبت مع رسول الله حين انهزم الناس ومات سهيل بالكوفة سنة ثمان وثلاثين، ت (38هـ) سير أعلام النبلاء (2/325)، وأسد الغابة (2/572، 573).
- (3) أبو دجاجة الأنصاري سماك بن خرشة بن لوذاي بن زيد الساعدي، كان يوم أحد عليه عصابة حمراء يقال: أخی النبي - صلى الله عليه وسلم - بينه وبين عتبة بن غزوان ثبت بن دجاجة يوم أحد مع النبي وبايعه على الموت وهو ممن شارك في قتل مسيلمة الكذاب واستهد يومئذ، (ت 12هـ)، سير أعلام النبلاء (1/243).
- (4) يامين بن عمير بن كعب بن عمرو من بني النضير أسلم وحسن إسلامه وهو من كبار الصحابة ونزلت آية من سورة الحديد فأسلم ومن معه، أسد الغابة (5/434).
- (5) أبو سعيد بن وهب القرظي نسب إلى قريظة، نزل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم قريظة فأسلم، وقال أبي سعيد بن وهب أن أباه قال شهدت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقضي في سبيل مهزور ورآه هاهنا قرظياً أو نصرياً وإنما نسبه في الأنصار بالحلف لأن قريظة والنضير حلفاء الأنصار، أسد الغابة (6/141).
- (6) ينظر: السيرة النبوية لأبن هشام (2/192).

فقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني: بني النضير ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ قال ابن عباس: من شك أن أرض المحشر ههنا؛ يعني: الشام فليقرأ هذه الآية رواه ابن أبي حاتم⁽¹⁾.

وقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «أخرجوا» قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى أرض المحشر»⁽²⁾.

وعن الحسن قال: لما أجلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- بني النضير قال: «هذا أول الحشر وأنا على الأثر» رواه ابن جرير⁽³⁾.

وقوله: ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ أي: في مدة حصاركم لهم وقصرها وكانت ستة أيام مع شدة حصونهم ومنعتها.

ولهذا قال: ﴿وَلَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ أي: جاءهم من أمر الله ما لم يكن في بال كما قال في آية أخرى: ﴿وَأَنْتُمْ أَلْعَابُ مِنَ الْحَبَابِ﴾⁽⁴⁾.

وقوله: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ قال: كان النبي - صلى الله عليه وسلم- قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ فأعطوه ما أراد منهم، فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم وأن يخرجهم من أرضهم إلى أرض أخرى، وروى أنه عليه - الصلاة والسلام- بعث محمد بن مسلمة⁽⁵⁾ إلى بني النضير، وأمرهم أن يؤجلهم في الجلاء ثلاثة ليالٍ.

(1) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (3345/10)، حديث رقم (18850)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي (82/11).

(2) أخرجه البيهقي في سننه، باب دلائل النبوة (359/3)، وصححه الحاكم في المستدرک، (610/4) حديث رقم (8691).

(3) رواه الطبري في تفسيره (499/22)، وابن سعد في الطبقات (59/2).

(4) سورة النحل الآية/26.

(5) محمد بن أبي مسلمة بن عبد الأسد المخزومي ولد على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فإن أبا سلمة توفي في حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وتزوج رسول الله امرأته أم سلمة فيكون لأولاده رؤية وإدراك وهم أرباؤه فمن أولى بالصحبة منهم، توفي سنة (43هـ)، أسد الغابة (88/5 - 89).

وقوله: ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ النَّارِ﴾ أي: حتم لازم لا بدّ لهم منه. وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: إنّما فعل الله بهم ذلك وسلط عليهم رسوله وعباده المؤمنين ؛ لأنّهم خالفوا الله ورسوله وكذبوا بما أنزل الله على رسوله في البشارة لمحمد - صلى الله عليه وسلم - وهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم.

ثمّ قال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

وقوله: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّيْنَةٍ﴾ اللين وهو نوع من التمر وهو جيّد. قال أبو عبيدة: وهو ما خالف العجوة والبرني⁽¹⁾ من التمر. وقال بعضهم: اللينة ألوان التمر سوى العجوة.

قال ابن جرير: هو جميع النخل ونقله عن مجاهد وهو [البويرة] أيضاً⁽²⁾، وذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لمّا حاصرهم أمر بقطع نخيلهم إهانة لهم وإرعاباً وإذهاباً لعقولهم يعني: ما قطعتم وما تركتم من الأشجار فالجميع بإذنه ومشينته وقدره ورضاه، وفيه نكاية بالعدوّ وخزي لهم، وإرغاماً لأنوفهم.

وقال مجاهد: نهى بعض المهاجرين بعضاً عن قطع النخل، وقالوا: إنّما هي مقام للمسلمين فنزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الإثم، وإثماً قطعه وتركه بإذنه⁽³⁾.

وعن جابر قال: رخص لهم في قطع النخل، ثمّ شدّد عليهم فأتوا النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: يا رسول الله علينا إثم فيما قطعنا أو علينا وزر فيما تركنا، فأنزل الله: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّيْنَةٍ أَوْ تَرَكَتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ رواه الحافظ الموصلي⁽⁴⁾.

(1) العجوة: هي ضرب من التمر، ويقال: هو ممن غرسه النبي - صلى الله عليه وسلم - بيده ويقال: هو نوع من تمر المدينة أكبر من الصبحان يضرب إلى السواد، ويقال: العجوة ضرب من أجود التمر بالمدينة ونخلتها تسمى لينة، لسان العرب (29/5). والبرني: هو نوع جيد من التمر مدور أحمر شرب بصفرة ويقال: نخل برني ونخل برنية.

(2) ينظر: جامع البيان (507/22، 508)، وتفسير مجاهد (652).

(3) ينظر: مجاهد (652)، وتفسير ابن كثير (6/8).

(4) أخرجه أبو يعلى في مسنده (135/4)، ووضعّه الهيثمي في مجمع الزوائد (125/7).

وعن ابن عمر قال: «حاربت النضير وقريظة، فأجلى بني النضير وأقرَّ قريظة ومنَّ عليهم حتَّى حاربت قريظة، فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم بين المسلمين إلاَّ بعضهم لحقوا بالنبي - صلى الله عليه وسلم - فأمنهم وأسلموا، وأجلى يهود المدينة، كلُّهم بني قينقاع، وهم رهط عبد الله بن سلام، ويهود بني حارثة، وكلُّ يهود بالمدينة» رواه البخاري ولمسلم نحوه⁽¹⁾.

وفي البخاري عن ابن عمر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حرَّق نخل بني النضير وقطع، وهي: البويرة ولها يقول حسان⁽²⁾:

وهان على سارة بني لؤي * * حريق بالبويرة مستطير
فأجابه أبو سفيان بن الحارث⁽³⁾ يقول:

أدام الله ذلك من صنيع * * وحرَّق في نواحيها السعير
ستعلم أينما منها بنزه * * وتعلم أي أرضينا نضير⁽⁴⁾
وقال كعب بن مالك⁽⁵⁾: يذكر إجلاء بني النضير وقتل بن الأشرف:

لقد خزيت بغدتها الحبور * * كذاك الدهر ذو صرف يدور
وذلك أنهم كفروا برب * * عظيم أمره أمر كبير
وقد أوتوا معافهما وعلما * * وجاءهم من الله النذير
نذير صاق أدى كتابا * * وآيات مبينة تنير

-
- (1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، حديث رقم (4029).
(2) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناه بن عدي بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري ثم من بني مالك النجار شاعر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - ينصب له منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً وفضل حسان على الشعراء؛ لأنه شاعر النبي، (ت 54 هـ)، أسد الغابة (6/2)، وشذرات الذهب (1/253).
(3) أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي الهاشمي ابن عم النبي، وكان أخا النبي - صلى الله عليه وسلم - من الرضاعة أرضعتها حليلة بنت أبي دؤيب السعدية وأمه غزية بنت قيس بن طريف من ولد فهر بن مالك وكان أبو سفيان قد لقي النبي بثنية العقاب بين مكة والمدينة، (ت 20 هـ) أسد الغابة (6/141)، وشذرات الذهب (1/171).
(4) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، حديث رقم (4033).
(5) كعب بن مالك بن أبي كعب واسم أبي كعب عمرو بن القين بن سواد بن سلمة الأنصاري الخزرجي يكنى أبا عبد الله أمه ليلى بنت بن ثعلبة من بني سلمة شهد العقبة في قول وأخى رسول الله بينه وبين طلحة بن عبد الله لما قدم المدينة وهو أحد الذين نزل فيهم قرآن كريم، ت (50) هـ، أسد الغابة (4/461)، وشذرات الذهب (1/244).

- فقالوا ما أتيت بأمر صدق * * وأنت بمنكر منا جد ير
فقال بلى لقد أديت حقاً * * يصدقني به الفهم الخبير
فمن يتبعه يهد لكل رشد * * ومن يكفر به يجرز الكفور
فلما أشربوا غدرا وكفرا * * وجدَّ بهم عن الحق النفور
أرى الله النبي برأي صدق * * وكان الله يحكم لا يجور
فأيده وسلطه عليهم * * فكان نصيره نعم النصير
فغودر منهم كعب صريحا * * فذلت بعد مصرعه النصير
على الكافرين ثم وقد عاتته * * بأيدينا مشهرة ذكور⁽¹⁾
بأمر محمد إذ دس ليلاً * * إلى كعب أخوا كعب يسير
فما كره فأنزله بمكر * * ومحمود أخوه ثقة جسر
فتلك بنو النصير بدار سوء * * أبارهمو بما اجترم المبير
غداة أتاهم في الزحف * * زهواً رسول الله وهو بهم بصير
وغسان الحماة موازروه * * على الأعداء وهو لهم وزير
فقال السلم ويحكم فصدوا * * وخالف أمرهم كذب وزور
فذاقوا غبَّ أمرهم وبالاً * * لكل ثلاثة منهم بعير
وأجلوا عامدين لقيناق * * وغودر منهمو نخل ودور⁽²⁾

قال ابن إسحاق: وقعة بني النصير بعد واقعة أحد بئر معونة.

وفي البخاري عن عروة أنه قال: كانت واقعة بني النصير بعد بدر بستة أشهر⁽³⁾ والله أعلم.

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَا كِنٍّ
اللَّهُ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ
أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ

(1) أي: سيوف مسلولة من أغمادها.

(2) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (199/2)، وهي قصيدة لكعب بن مالك يذكر فيها إجلاء بني النصير.

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الجهاد، باب ومن سورة الحشر (329/7) حديث رقم (330).

دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٠٠﴾

في هذه الآية بيان مال الفيء وصفته وما حكمه، فالفيء: كل مال أخذ من الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، كأموال بني النضير هذه فإنها مما لم يجف عليه بخيل ولا ركاب؛ أي: لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هيبته رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فأفاهه على رسوله، فلهذا تصرف فيه كما يشاء فردّه على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله تعالى: فقال ﴿ وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ ﴾ أي: من بني النضير ﴿ فَمَا أَوْجَفْتُمْ ﴾ أي: أسرتم من خيل ولا ركاب، يقال له وجف الفرس والبعير إذا سار سريعاً وأوجفه صاحبه إذا حمّله على السير السريع، والمراد بالركاب: الإبل الذي يركب عليه ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أي: هو قدير لا يغالب ولا يمانع، بل هو القاهر لكل شيء.

ثم قال: ﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ أي: جميع البلدان التي تفتح هكذا فحكمها حكم أموال بني النضير ولهذا قال: ﴿ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ إلى آخرها، والتي بعدها، فهذه مصارف أموال الفيء ووجوهه.

في الصحيحين عن مالك بن أوس قال: قال عمر - رضي الله عنه - أن الله قد خصّ رسوله في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحداً غيره ثم قرأ: ﴿ وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَا كِنٍّ اللَّهُ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وكانت هذه خالصة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - «ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال⁽¹⁾، ثم يأخذ ما بقي فيجعل مال الله، وفي رواية أخرى كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، وكانت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الجهاد، باب المجن ومن يتّرس بتّرس صاحبه، حديث رقم

(2904)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب حكم الفيء، حديث رقم (1757).

خاصة ينفق على أهله نفقة سنتهم، ثم يجعل مابقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله»⁽¹⁾ وهذه هي المصارف المذكورة في خمس الغنيمة، وقد سبق بيانها في سورة الأنفال⁽²⁾، وعن مالك بن أوس قال: فما احتج به عمر أن قال: «كانت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم- ثلث صفايا بني النضير وخيبر و نذك، أما بنو النضير فكانت حبساً لنوابه، وأما نذك فكانت لأبناء السبيل، وأما خيبر فجزأها رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ثلاثة أجزاء جزئين بين المسلمين وجزءاً نفقة لأهله فما فضل عن نفقة أهله جعله بين فقراء المهاجرين» رواه أبو داود⁽³⁾.

وقوله: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ أي: جعلنا هذه المصارف لمال الفيء كيلا يبقى مأكلة يتغلب عليها الأغنياء ويتصرفون فيها بمحض الشهوات والأراء، ولا يصرفون منه شيئاً إلى الفقراء.

وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ أي: مهما أمركم بشيء فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما أمر بخير وإنما ينهى عن شر.

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله، فجاءته امرأة فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت، فقال: مالي لا ألعن من لعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وهو في كتاب الله، فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول، قال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه أما قرأت ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا﴾ قالت: بلى. قال: فإنه قد نهى عنه⁽⁴⁾.

وقد ثبت في الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة قال: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: (إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (25/1).

(2) وهي قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمُسَهُ. وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ سورة الأنفال، الآية/41.

(3) أخرجه أبو داود في سننه، باب في صفايا رسول الله من الأموال، حديث رقم (2969)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود، حديث رقم (2967).

(4) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ حديث رقم (4886)، ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة، حديث رقم (2125).

فاجتنبوه⁽¹⁾ وقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

أي: لمن عصاه وخالف أمره وأباه وارتكب ما زجر عنه ونهاه.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁽²⁾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

قال تعالى مبينا حال الفقراء المستحقين لمال الفيء أنهم ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ أي: خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضات الله ورضوانه، ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ أي: هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم، وهؤلاء هم سادات المهاجرين ثم قال تعالى: مادحاً للأنصار ومبيناً فضلهم وشرفهم وكرمهم، وإيثارهم مع الحاجة ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: الذين سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم.

قال عمر بن الخطاب: - رضي الله عنه - (وأوصى الخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقاً ويحفظ لهم ذمتهم، وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوعوا الدار والإيمان من قبل أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئتهم) رواه البخاري⁽²⁾.

وقوله: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: من كرمهم وشرف أنفسهم أنهم يحبون

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الإعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم (7288)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب توقيير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم (1337).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ حديث رقم (4888).

المهاجرين، ويواسونهم بأموالهم.

عن أنس قال: قال المهاجرون: ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بديلاً في كثير، لقد كفونا المؤنة وأشركونا في المهناً، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله، قال: «ألا ما أثبتتم عليهم ودعوتهم الله لهم» رواه أحمد وللترمذي مثله وصححه⁽¹⁾.

وقوله: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ أي: ولا يجدون في أنفسهم حسداً للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف، والتقديم في الذكر والرتبة. قال ابن زيد: وقد تكلم بعض الأنصار في أموال بني النضير طمعاً في قسمتها فعاتبهم الله في ذلك⁽²⁾

فقال: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن خوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم» فقالوا: أموالنا بيننا قطائع، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أو غير ذلك» قالوا: وما ذلك يارسول الله؟ قال: «هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر»⁽³⁾ فقالوا: نعم يارسول الله.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قالت: الأنصار للنبي - صلى الله عليه وسلم - أقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال «لا يكفوننا المؤنة ونشرككم في الثمرة، قالوا سمعنا وأطعنا» رواه البخاري⁽⁴⁾.

وقوله: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ يعني: الفاقة والحاجة أي: يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ويبدعون بالناس قبلهم، وقد ثبت في

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (360/20)، حديث رقم (1375)، والترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، باب دعاء الله والثناء عليه، حديث رقم (2675) وصححه الترمذي، ووافقه الألباني في السلسلة الصحيحة (610/2).

(2) معالم التنزيل (76/8)، وتفسير ابن كثير (70/8).

(3) رواه الطبري في تفسيره (526/22).

(4) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب المزارعة، باب إذا قال: اكفني مؤنة النخيل وغيره، حديث رقم (2200).

الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «أفضل الصدقة جهد المقل»⁽¹⁾ وهذا المقام أعلى من حال الذين وصفهم الله بقوله: ﴿ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَّامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾⁽²⁾.

فإن هؤلاء تصدقوا وهو يحبون ما تصدقوا به، وقد لا يكونوا لهم حاجة إليه ولا ضرورة به، وهؤلاء آثروا أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه، ومن هذا المقام تصدق الصديق - رضي الله عنه - بجميع ماله، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ما أبقيت لأهلك؟»⁽³⁾ فقال: أبقيت لهم الله ورسوله.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: أتى رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال يارسول الله أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «ألا رجل يضيف الليلة» فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يارسول الله، فذهب إلى أهله فقال: لامراته: ضيف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا تدخره شيئاً، فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية.

قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنومهم، وتعالى فأطفيء السراج ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت ثم غدا الرجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «لقد عجب الله - أو ضحك - من فلان وفلانة»⁽⁴⁾ وأنزل الله - عز وجل - ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾.

وقوله: ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ ﴾ أي: من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح. وعن جابر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم

(1) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، من حديث عبدالله بن حبشي الخثعمي، حديث رقم (1449) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (1286).

(2) سورة الإنسان الآية/8.

(3) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - حديث رقم (3939) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2902).

(4) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، مناقب الأنصار، باب ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ حديث رقم (3798)، ومسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل وإيثاره، حديث رقم (2054).

واستحلُّوا محارمهم» انفرد به مسلم وأحمد⁽¹⁾.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ هؤلاء هم: القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء وهم: المهاجرون ثم الأنصار ثم التابعون لهم بإحسان كما قال في آية براءة.

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽²⁾.

فالتابعون لهم بإحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة الداعون لهم في السر والعلانية، ولهذا قال في هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ﴾ أي: قائلين ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ قالت: عائشة أمروا أن يستغفروا لهم فسبُّوهم ثم قرأ هذه الآية وعنها قالت: أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد - صلى الله علي وسلم - فسببتموهم سمعت نبيكم - صلى الله عليه وسلم - يقول: «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها» رواه البغوي⁽³⁾.

وعن مالك بن أوس⁽⁴⁾ قال: قرأ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ حتى بلغ ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾⁽⁵⁾.

(1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، باب تحريم الظلم، حديث رقم (2578)، والإمام أحمد في مسنده (323/3).

(2) سورة التوبة الآية/100.

(3) رواه البغوي في معالم السنن (321/4).

(4) مالك بن أوس بن الحدثان بن الحارث بن عوف بن ربيعة بن نضر بن معاوية، أدرك النبي - صلى الله عليه وسلم - شهد مع عمر بن الخطاب فتح بيت المقدس، حدث عن عمر وعلي وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن ابن عوف توفي بالمدينة سنة اثنتين وتسعين، أسد الغابة (10/5)، وسير أعلام النبلاء (171/4).

(5) سورة التوبة الآية/60.

فقال: هذه لهؤلاء ثم قرأ: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمُسَهُ
وَلِلرُّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴿٤١﴾﴾⁽¹⁾.

فقال: هذه لهؤلاء ثم قرأ: ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ
فَلِلَّهِوَلِلرُّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ حتى بلغ ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ ثم
قال: هذه استوعبت المسلمين عامة فلئن عشت فليأتين الراعي وهو بسرو حمير
نصيبه منها مالم يعرف فيها جبينه⁽²⁾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ
أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ
يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ
نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُصَرُّونَ ﴿١٢﴾ لِأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يَقْتُلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ
بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحَسَّبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ
لِلْإِنْسَانِ أَكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ
عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾﴾.

أخبر - تعالى - عن المنافقين كإبن سلول وأضرابه حين بعثوا إلى بني
النضير يعدونهم النصر من أنفسهم فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا
أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: فيما وعدوهم به إماما
لأنهم قالوا لهم قولاً، ومن عادتهم أن لا يفوا لهم به، وإماماً لأنهم لا يقع منهم الذي
قالوه، ولهذا قال: ﴿وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾ أي: لا يقاتلون معهم ﴿وَلَئِنْ

(1) سورة الأنفال الآية/41.

(2) ينظر: تفسير عبدالرزاق (284/2)، وتفسير القرطبي (360/2).

تَصْرُوهُمْ ﴿ أَي: قاتلوا معهم ﴾ لِيُوَلِّنَ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُنْصِرُونَ ﴿ وهذه بشارة مستقلة بنفسها.

ثم قال تعالى: ﴿ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ ﴾ أي: يخافون منكم أشد من خوفهم من الله، ولهذا قال: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾.

ثم قال: ﴿ لَا يُقْتَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ﴾ يعني: أنهم من جنهم وخلعهم لا يقدرّون على مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة والمقاتلة بل إمّا في حصون أو من وراء جدر، محاصرون فيقاتلون ليدافعوا عنهم ضرورة ثم قال: ﴿ بِأَسْهُمَ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ﴾ أي: عداوتهم فيما بينهم شديدة، كما قال: ﴿ وَيُذِيقُ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ (٦٥) (1).

ولهذا قال: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ أي: تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين وهم مختلفون غاية الاختلاف.

ثم قال: ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاتُ أَوْ وِبَالٍ أَمْرِهِمْ ﴾ يعني: كمثل ما أصاب كفّار قريش يوم بدر قاله مجاهد وغيره (2)، وقال ابن عباس: يعني: يهود بني قينقاع، كذا قال قتادة وغيره، وهو أشبه بالصواب فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أجلاه قبل ذلك (3).

وقوله: ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ ﴾ يعني: مثل هؤلاء اليهود في اغترارهم بالذين وعدوهم النصر من المنافقين وقولهم لهم لنن قوتلتم لننصرنكم، ثم لما حقّت الحقائق وخذلهم الحصار والقتال، وأعرضوا عنهم وأسلموهم للمهلكة، كمثل الشيطان إذ يقول للإنسان اكفر - والعياذ بالله - فإذا دخل فيما سؤله له تبرأ منه وتباعد عنه، وقال: ﴿ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ ولهذا المثل قصة شبيهه به روى ابن جرير أن علياً أو ابن مسعود - رضي الله عنهما - قال: إن راهباً تعبد ستين سنة

(1) سورة الأنعام الآية/65.

(2) جامع البيان (540/22)، والنكت والعيون (509/5)، وتفسير مجاهد (653).

(3) جامع البيان (539/22)، وتفسير ابن كثير (75/8).

أراد الشيطان فأعياه فعمد إلى امرأة فأجنبها، ولها إخوة فقال إخوتها: عليكم بهذا القسّ فيداويها.

قال: فجاؤوا بها إليه فداواها وكانت عنده فبينما هو يوماً عندها إذ أعجبه فأتاها فحملت، فعمد إليها فقتلها فجاء إخوتها، فسألوه عنها فقال: قد جاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه، فصدّقه فأتى الشيطان إليهم في المنام فقال لهم إن الراهب قد فجر بأختكم، فلما أحبلها قتلها ثم دفنها في مكان كذا وكذا.

فلما أصبحوا قال رجل منهم: رأيت البارحة رؤيا أقصّها عليكم أم أترك؟ قالوا بل قصّها علينا. فقصّها فقال: كل واحد منهم أنا رأيت البارحة مثل هذا، قالوا: فوالله ما هذا إلا لشيء، فانطلقوا واستعادوا ملكهم على ذلك الراهب، فأتوه فأنزلوه ثم انطلقوا به فلقبه الشيطان، فقال: إني أنا الذي أوقعك في هذا ولن ينجيك منه غيري، فاسجد لي سجدة واحدة، وأنجيك من ذلك، فسجد له فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه⁽¹⁾ ﴿قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ فقتله.

وكذا روي عن ابن عباس وكثير من السلف والمشهور أنّ الراهب هو برصيصة⁽²⁾.

وهذه القصة مخالفة لقصة جريج الراهب كما هي مبسطة في الصحيحين وقوله: ﴿فَكَانَ عَقِبَتُهُمَا أَتَّهَمًا فِي النَّارِ﴾ أي: عاقبة الأمر بالكفر والفاعل له ومصيرهما إلى جهنم خالدين فيها ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾،

(1) أخرجه البخاري، كتاب التاريخ الكبير (213/5) من طريق النضر بن شميل به وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره

(285/2) من طريق إسحاق البيهقي في الشعب، ينظر: الجرح والتعديل (185/5) وجامع البيان (541/22).

(2) كان الراهب في الفترة يقال له برصيصة قد تعبد في صومعته سبعين سنة، لم يعصي الله فيها طرفة عين حتى أعيى إبليس فجمع إبليس مرده الشياطين، فقال: ألا أجد منكم من يكفيني أمر برصيصة، الجامع لأحكام القرآن (37/18).

أمر الله - تعالى - بتقواه وهو يشمل فعل المأمورات وترك المنكرات.

وقوله: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ أي: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ تأكيد ثان ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي: اعلّموا أنه عالمٌ بجميع أعمالكم وأحوالكم، ولا يخفى عليه منكم خافية ولا يغيب عنه من أموركم جليل ولا حقير.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ أي: لا تنسوا ذكر الله فينسيكم العمل لصالح أنفسكم التي تنفعكم في معادكم فإن الجزاء من جنس العمل، ولهذا قال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: الخارجون عن طاعة الله الهالكون يوم القيامة الخاسرون يوم معادهم.

كما قال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (1).

وعن بعض السلف قال: كان في خطبة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - (أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم، فمن استطاع أن يقضي الأجل وهو في عمل الله فليفعل، ولن يفعل ذلك إلا بالله، إن قوماً جعلوا آجالهم لغيرهم فنهاكم الله أن تكونوا أمثالهم). ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ أين: من تعرفون من إخوانكم؟

قدموا على ما قدموا في أيام سلفهم، وخلوا بالشقوة والسعادة، وأين الجبارون الأولون الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط؟

قد صاروا تحت الصخر والآبار، هذا كتاب الله لا تفنى عجائبه فاستضيئوا منه ليوم ظلمة، واستضيئوا بسنائه وبيانه، إن الله أنثى على زكريا وأهل بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ (2). لا خير في قول لا يراد به وجه الله، ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله، ولا خير فيمن

(1) سورة المنافقون الآية/9.

(2) سورة الأنبياء الآية/90.

يغلب جهله حلمه، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم) رواه الطبراني بإسناد جيد⁽¹⁾.
 وقوله: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ أي: لا يستوي هؤلاء
 وهؤلاء في حكم الله يوم القيامة.

كما قال: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾⁽²⁾ وغيرها من الآيات
 البينات وهذا دالٌّ على أن الله يكرم الأبرار ويهين الفجار.

ولهذا قال ههنا: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ أي: الناجون المسلمون من
 عذاب الله.

﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ
 الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁽¹⁾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ
 وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ⁽²⁾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ
 الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ⁽³⁾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ
 الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

عظم الله أمر القرآن وبيّن علو قدره، وأنه ينبغي أن تخشع القلوب وتتصدّع
 عند سماعه، لما فيه الوعد الحقّ والوعيد الأكيد

فقال: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ
 اللَّهِ﴾ أي: إذا كان الجبل في غلظته وقساوته لو أفهم هذا القرآن فتدبّر ما فيه تخشع
 وتتصدّع من خوف الله، فكيف يليق بكم يا أيّها البشر أن لا تلين قلوبكم ولا تخشع ولا
 تتصدّع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبّرتم كتابه؟

ولهذا قال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: لكي
 ينتبهوا ويتعظوا.

(1) ورواه الطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (39)، والهيثمي في مجمع الزوائد (3152).

(2) سورة الجاثية الآية/21.

قال ابن عباس: لو أني أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه تصدّع وخشع من ثقله ومن خشية الله، فأمر الله الناس إذا نزل عليهم القرآن أن يأخذه بالخشية الشديدة والتخشع⁽¹⁾.

وقد ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما عمل له المنبر، وقد كان يوم الخطبة يقف إلى جانب جذع من جذوع المسجد، فلما وضع المنبر أول ما وضع وجاء النبي - صلى الله عليه وسلم - لخطيب فجاوز الجذع إلى نحو المنبر، وجعل يئن كما يئن الصبي الذي يسكت لما كان يسمع الذكر والوحي عنده⁽²⁾.

ففي بعض روايات هذا الحديث قال الحسن البصري: فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الجذع وهكذا هذه الآية الكريمة، إذا كانت الجبال لوسمعت كلام الله وفهمته لخشعت وتصدّعت من خشيته، فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم؟

كما قال: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْعَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾⁽³⁾ أي: لكان هذا القرآن، وقال: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾⁽⁴⁾.

ثم قال: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أخبر تعالى أنه الذي لا إله إلا هو فلا ربّ غيره ولا إله موجود سواه، وكلُّ ما يعبد من دونه فباطلٌ، وأنه ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: يعلم جميع الكائنات والمشاهدات لنا والغائبات عنّا، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء من جليل وحقير حتى الدرّ في الظلمات.

وقوله: ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ سبق تفسيره في أول الكتاب، والمراد أنه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات، فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، وقد

(1) النكت والعيون (512/5)، والدر المنثور (396/14).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، حديث رقم (3583، 3585).

(3) سورة الرعد الآية/31 .

(4) سورة البقرة الآية/74.

قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۗ ﴾ (١٥٦).⁽¹⁾

وقال: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۗ ﴾⁽²⁾، ثم قال: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ ۗ ﴾ أي: المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة.

وقوله: ﴿ الْقُدُّوسُ ۗ الطاهر المبارك تقدسه الملائكة ﴾ السَّلَامُ ۗ أي: من جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله.

وقوله: ﴿ الْمُؤْمِنُ ۗ ﴾ قال ابن عباس: أي أمن خلقه أن يظلمهم، وقيل: صدق عباده المؤمنين في إيمانهم به بما وعدهم من الثواب، وهو من الإيمان الذي هو ضدَّ التخويف.

كما قال: ﴿ وَعَامَتَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۗ ﴾⁽³⁾ وقوله: ﴿ الْمُهَيَّمِنُ ۗ ﴾ قال ابن عباس: وغير واحد أي: الشاهد على خلقه بأعمالهم⁽⁴⁾ أي: هو رقيب عليهم كما قال: ﴿ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ۗ ﴾⁽⁵⁾.

وقوله: ﴿ الْعَزِيزُ ۗ ﴾ أي: الذي قد عزَّ كلَّ شيء فقهره، وغلب الأشياء فلا ينال جنابه بعزته وعظمته وجبروته وكبريائه، ولهذا قال: ﴿ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۗ ﴾ أي: الذي لا تليق الجبرية إلا له، ولا الكبرياء إلا لعظمته.

كما تقدّم في الصحيح: «العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحداً منهما عذبتة»⁽⁵⁾.

وقال قتادة: ﴿ الْجَبَّارُ ۗ ﴾ الذي جبر عباده على ما يشاء⁽⁶⁾. وقال ابن جرير: ﴿ الْجَبَّارُ ۗ ﴾ المصلح أمور خلقه المتصرف لهم فيما فيه صلاحهم⁽⁷⁾.

(1) سورة الأعراف الآية/156.

(2) سورة الأنعام الآية/54.

(3) سورة قريش الآية/4.

(4) معالم التنزيل (655/8)، وتفسير ابن كثير (544/8).

(5) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة، باب تحريم الكبر، حديث رقم (2620).

(6) جامع البيان (554/22)، النكت والعيون (514/5).

(7) جامع البيان (554/22)، ومعالم التنزيل (655/8)، والدر المنثور (401/14).

وقال قتادة: ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ يعني: عن كل سوء خلقه ثم قال: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تشريفاً بها وتقديساً له عما يقول الظالمون.

وقوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ الخلق التقدير والبرء هو الفري، وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود وليس كل من قدر شيئاً وربّه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله تعالى.

يعني: الذي إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون على الصفة التي يريد، والصورة التي يختار ولهذا قال: ﴿الْمُصَوِّرُ﴾ أي: الذي ينفذ ما يريد إيجادها على الصفة التي يريدتها.

وقوله: ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ سبق تفسيره في سورة الأعراف⁽¹⁾.

والحديث الذي في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (إنّ لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحدة، من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر)⁽²⁾.

وقوله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كقوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ الْأَسْبَعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾⁽³⁾.

وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي: فلا يرام جنابه.

﴿الْحَكِيمُ﴾ في شرعه وقدره. وعن معقل بن يسار⁽⁴⁾ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «من قال حين يصبح ثلاث مرّات أعوذ بالله السميع العليم من

(1) ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحدة، حديث رقم (6957)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب في أسماء الله تعالى وفضل، حديث رقم (6986).

(3) سورة الإسراء الآية/44 .

(4) معقل بن يسار بن عبد الله بن معبر بن حرقّ بن كعب بن مضر المزني يكنى أبا يسار سكن البصرة وابتنى بها دار وإليه ينسب فهر بن معقل شهد بيعة الحديبية وتوفي بالبصرة في آخر خلافة معاوية الاستيعاب (255/2)

الشیطان الرجیم، ثم قرأ ثلاث آیات من آخر سورة الحشر، وكَلَّ اللهُ به سبعین ألف ملك یصلُّون علیه حتَّى یمسی، وإن مات فی ذلك الیوم مات شهیداً، ومن قال حین یمسی كان بتلك المنزلة» رواه أحمد والدارمی والترمذی وغریبه⁽¹⁾ والله أعلم .

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (36/5)، حديث رقم (20320)، والدارمي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب حم الدخان والحواميم والمسبحات (233/1) باب الطهر كيف، حديث رقم (857)، والترمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب قراءة ثلاث آيات من سورة الحشر، حديث رقم (3172)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (5732).

تفسير سورة الممتحنة

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوٓءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝ لَن نَّفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝﴾

سبب نزول صدر هذه السورة قضية حاطب بن أبي بلتعة⁽¹⁾ وذلك أن حاطباً كان رجلاً من المهاجرين، من أهل بدر، وكان له بمكة أولاد وأموال ولم يكن من قريش، بل كان حليفاً لعثمان، فلما عزم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على فتح مكة لما نقض أهلها العهد، أمر المسلمين بالتجهيز لذلك.

وقال: (اللهم عمّ عليهم خبرنا حتى نأخذهم بغتة)⁽²⁾ فعمد حاطب فكتب كتاباً وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة، يعلمهم بما عزم عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليتخذ بذلك عندهم يداً، فأطلع الله ذلك رسوله استجابة لدعائه، فبعث في إثر المرأة فأخذ الكتاب منها.

كما ثبت في الصحيحين عن علي - رضي الله عنه - قال: بعثني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنا والزيبر⁽³⁾ والمقداد⁽⁴⁾ فقال: (انطلقوا حتى تأتوا روضة

(1) حاطب بن أبي بلتعة واسم أبي بلتعة عمرو بن عمير بن سلمى من بني خالفة بن عدي حليف بني أسد وكنيته أبو عبد الله وكان حليفاً للزيبر بن العوام بن خويلد بن أسد وكان مولى لعبيد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد شهد بدرًا، توفي حاطب سنة ثلاثين، أسد الغابة (1/659).

(2) ينظر: مجمع الزوائد، باب غزوة الفتح، حديث رقم (10233)، والطبراني في المعجم الكبير (435/23).

(3) الزيبر بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن كلاب القرشي الأسدي أبو عبد الله أمه صفية بنت عبد المطلب ابن عمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وابن أخي خديجة بنت خويلد أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة، وكان إسلامه بعد أبي بكر وكان رابعاً أو خامساً في الإسلام، هاجر إلى الحبشة، (ت 36هـ)، أسد الغابة (2/307).

(4) المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ثمامة بن مطرود بن نهير المعروف بالمقداد بن الأسود وهذا الأسود الذي نسب إليه بن عبد يغوث الزهري ونسب إليه لأن المقداد حالفه فتنبأه وهو الذي هاجر إلى الحبشة وشهد بدرًا وكانت وفاته في خلافة عثمان ومات بأرض له بالجرف، ت (33هـ)، أسد الغابة (5/243).

خاخ⁽¹⁾ فَإِنَّ بِهَا طَعِينَةً معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالطعينة قلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، قلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب، قال: فأخرجت الكتاب من عقاصها، فأخذنا الكتاب فأتينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ياحاطب ما هذا؟».

قال: لا تعجل عليّ إني كنت امرأً ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهلهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «إنه صدقكم» فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»⁽²⁾.

وزاد البخاري في كتاب المغازي: فأَنْزَلَ اللهُ السُّورَةَ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾⁽³⁾ وفي رواية له فقد وجبت لكم الجنة ولهذا الحديث روايات متعددة وعبارات متفاوتة.

فقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني: المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ورسوله وللمؤمنين، الذين شرع الله عداوتهم ومصارمتهم، ونهى أن يتخذوا أولياء وأصدقاء كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾⁽⁴⁾ وهذا تهديد شديد ووعيد

(1) ينظر: معجم البلدان (335/2).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الجهاد، باب الجاسوس، حديث رقم (3007)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر، حديث رقم (2494).

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح، حديث رقم (4274).

(4) سورة المائدة الآية/51.

أكيد، وغيرها من الآيات البيّنات؛ ولأن حاطباً فعل ذلك مصانعة لقريش حماية لحاله لا ارتداداً، قبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عذره .

وقوله: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ هذا مع ما قبله من التهيج على عداوتهم، وعدم موالاتهم لأنهم يخرجون الرسول وأصحابه من بين أظهرهم كراهة لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العمل لله، ولهذا قال: ﴿أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ أي: لم يكن لكم عندهم ذنب إلا إيمانكم بالله.

كقوله: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (1)

وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي﴾ أي: إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء، فإنهم أعدائي وأعداءكم، وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم، حقاً عليكم وسخطاً لدينكم.

وقوله: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾ أي: يفعلون ذلك وأنا العالم بالسرائر والضمائر والظواهر ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: أخطأ طريق الهدى، ثم قال: ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ﴾ أي: إن يظفروا بكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾ أي: لو قدروا عليكم لما اتقوا فيكم من أذى ينالونكم به بالمقال والفعال ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ أي: ويحرصون على أن لا تتالوا خيراً، وعداوتهم لكم كامنة وظاهرة فكيف توالون مثل هؤلاء؟ وهذا تحريض على عداوتهم أيضاً.

وقوله: ﴿لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: قراباتكم لا تنفعكم عند الله إذا أراد الله بكم سوءاً، ونفعم لا يصل إليكم إذا رضيتموهم بما يسخط الله. ومن وافق أهله على الكفر ليرضيهم فقد خاب وخسر، ولا ينفعه عند الله قرابته من أحد، ولو كان قريباً إلى نبي من الأنبياء .

عن أنس أن رجلاً قال: يارسول الله أين أبي؟ قال: (في النار)، فلما قفى

(1) سورة البروج الآية/8.

دعاه فقال: (إن أبي وأباك في النار) رواه مسلم وأحمد⁽¹⁾.

﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ فيكون فريق في الجنة وفريق في السعير، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيحاسبكم بحسب أعمالكم.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

قال تعالى لعباده المؤمنين: الذين أمرهم بمصادمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري منهم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ﴾ أي: قدوة ﴿حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أي: وأتباعه الذين آمنوا معه ﴿قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ﴾ أي: تبرأنا منكم ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أي: بدينكم وطريقتكم ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ﴾ أي: وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم، ما دتم على كفركم فنحن أبداً نتبرأ منكم ونبغضكم ﴿حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ يعني: إلى أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له وتتركوا ما تعبدون معه من الأنداد والأصنام والأوثان.

وقوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ أي: لكم في إبراهيم إسوة متابعة حسنة تمتدون بها إلا في الاستغفار لأبيه فإنه إنما كان عن موعدة.

﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِتْيَاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾⁽²⁾، وقال لأبيه ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ﴾ أي: لا

(1) أخرجه مسلم في الجامع، كتاب الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار، حديث رقم (347).

والإمام أحمد في مسنده (263/3).

(2) سورة هود الآية/114 .

أغني ولا أدفع عنك عذاب الله إن أشركت به، وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لأبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم، قائلين إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه فأنزل الله ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (١١٣) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ (1)، يعني: ليس لكم في إبراهيم إسوة في الاستغفار للمشركين قاله ابن عباس وغير واحد

ثم أخبر - تعالى - عن قول إبراهيم والذين معه حين فارقوا قومهم وتبرعوا منهم، فلجأوا إلى الله وجزعوا إليه فقالوا: ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَتْنَا ﴾ أي: توكلنا عليك في جميع الأمور وسلمنا أمورنا إليك وفوضناها ﴿ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ أي: المعاد في الدار الآخرة. ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا .

وقال قتادة: لا تظهرهم علينا فيفتنونا بذلك يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحقهم على ذلك، واختاره ابن جرير (2).

وقوله: ﴿ وَأَغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ أي: واستر ذنوبنا واعف عنا فيما بيننا وبينك ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ ﴾ الذي لا يضام من لاذ بجناحك ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في أقوالك وشرعك وقدرك ثم قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ تأكيد لما تقدم، ومستثنى منه أيضاً ما تقدم لأن هذه الأسوة المثبتة هنا هي الأولى بعينها.

وقوله: ﴿ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ تهيج إلى ذلك لكل مؤمن وبالمعاد. وقوله: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ﴾ أي: عما أمر الله به ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ كقوله: ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (3).

(1) سورة هود الآية/114 .

(2) جامع البيان (569/22)، وتفسير مجاهد (655).

(3) سورة إبراهيم الآية/8.

قال ابن عباس: الغني الذي قد كمل غناه وهو الله، وهذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفاء⁽¹⁾، وليس كمثلته شيء والحميد المستحمد إلى خلقه؛ أي: هو المحمود إلى جميع أفعاله وأقواله، لا إله غيره ولا رب سواه.

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽⁷⁾ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾.

قال تعالى لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم بعبادة الكافرين: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾ أي: محبة بعد البغضة، وألفة بعد النفرة والفرقة، ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على ما يشاء من الجمع بين الأشياء المتنافرة والمتباينة، فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والقساوة فتصبح مجتمعة متفقة كما قال ممتننا على الأنصار: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾⁽²⁾ وكذا قال لهم النبي - صلى الله عليه وسلم -: «ألم أجدكم ضالًّا فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟»⁽³⁾.

وقول الشاعر:

وقد يجمع الله الشَّتيتين بعدما * * يظنان كل الظن أن لا تلاقيا⁽⁴⁾
وقوله: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: يغفر للكافرين كفرهم إذا تابوا منه وأتابوا إلى ربهم وأسلموا له، ويرحمهم بتوبتهم أي: من ذنب كان.

(1) تفسير ابن كثير (88/8).

(2) سورة آل عمران الآية/103.

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، حديث رقم (4075)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب عطاء المؤلف قلوبهم، حديث رقم (2493).

(4) ديوان قيس بن الملوح، البحر الطويل: ص 310

قال ابن شهاب⁽¹⁾: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استعمل أبا سفيان بن حرب⁽²⁾ على بعض اليمن، فلما قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أقبل فلقى ذا الخمار مرتدًا فقاتله، فكان أول من قاتل في الردة، وجاهد عن الدين وهو ممن أنزل الله فيه ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾.

وقوله: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ أي: لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لم يقاتلونكم في الدين كالنساء والضعفة منهم ﴿أَنْ تَبْرُوهُمْ﴾ أي: عن برهم ﴿وَتُقْسِطُوا﴾ أي: تعدلوا وتحسنوا إليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ وسبق تفسيره في سورة الحجرات⁽³⁾.

وعن الزبير - رضي الله عنه - قال: (قدّمت قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا ضباب وقرظ، وسمن وهي مشركة، فأبت أسماء أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها. فسألت عائشة النبي - صلى الله عليه وسلم - فأُنزل الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ فأمرتها أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها) رواه أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم⁽⁴⁾.

وكان ذلك في المدة التي كانت بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبين قريش وقوله: ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا بِكُمْ﴾ أي: تعاونوا ﴿عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ﴾ أي: إنّما ينهاكم الله عن موالاته هؤلاء الذين عارضوكم بالعداوة وقاتلوكم وأخرجوكم وعاونوا على إخراجكم وبأمرهم بمعاداتهم ثم أكد الوعيد على موالاتهم ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

(1) ابن شهاب الزهري اسمه محمد بن مسلم بن عبد الله الأصغر بن شهاب ابن عبد الله بن الحارث بن زهرة، توفي سنة (124هـ)، معجم الشعراء (107/1).

(2) أبوسفیان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، وهو والد يزيد ومعاوية ولد قبل الفيل بعشر سنين وكان من أشرف قريش وكان تاجراً يجهز التجارة بماله وأموال قريش إلى الشام وهو الذي قاد قريشا كلها يوم أحد، أسلم ليلة الفتح، وشهد حنيناً، (ت 31هـ). أسد الغابة (144/6).

(3) ينظر: الصفحة 38 من هذه الرسالة.

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (37/26) حديث رقم (16111)، وابن أبي حاتم في تفسير (3349/10)، وابن الفضل في جامع المسانيد والسنن (206/5).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ
بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ
يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاثُوهُمْ مَا أَنَفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفِرِ وَسْءَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفِقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ
يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَرْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ
فَعَاقِبْتُمْ فَانكحُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنَفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِءِ مُؤْمِنُونَ﴾

قد سبق في سورة الفتح ذكر صلح الحديبية بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبين كفّار قريش، وكان فيه على أنه لا يأتيك منّا أحد، وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، فعلى هذه الرواية تكون هذه الآية مخصصة للسنة، وعلى طريق بعض السلف ناسخة، فإن الله أمر عباده المؤمنين إذا جاءهم النساء مهاجرات أن يمتحنوهن، ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾.

وسئل ابن عباس كيف كان امتحان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال (يتمتحنهنّ بالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وبالله ما خرجت لدنيا، وبالله ما خرجت إلا حباً لله ولرسوله) رواه ابن جرير⁽¹⁾، وفي رواية البزار (أن الذي كان يطفهنّ عن أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمر بن الخطاب).

وعن ابن عباس كان امتحانهنّ أن يشهدن أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، قال مجاهد: ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ أي: فاسألوهنّ ما جاء بهنّ فإن كان جاء بهنّ غضب على أزواجهنّ، أو سخطة أو غيره، ولم تؤمن فارجعوهنّ إلى أزواجهنّ.

وقال عكرمة وقتادة: امحانهنّ أن يستحلفن بالله ما أخرجكنّ النشوز وما أخرجكنّ إلا حباً للإسلام وأهله، وحباً لله ورسوله، فإذا قلن ذلك قبل منهنّ⁽²⁾.

وقوله: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ وفيه دلالة على

(1) رواه ابن جرير في تفسيره (575/22)، والبزار في مسنده (112/2).

(2) جامع البيان (577/22)، والنكت والعيون (522/5).

أن الإيمان يمكن الاطلاع عليه يقيناً.

وقوله: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهَا﴾ هذه الآية هي التي حرمت المسلمات على المشركين، وقد كان جائزاً في ابتداء الإسلام أن يتزوج المشرك المؤمنة، ولهذا كان أبو العاص بن الربيع⁽¹⁾ زوج زينب بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد كانت مسلمة وهو على دين قومه، فلما وقع في الأسارى يوم بدر بعثت امرأته زينب في فدائه بقلادة لها كانت لأمتها خديجة فلما رآها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رق لها رقّة شديدة، وقال للمسلمين: «أرايتم إن تطلقوا أسيرها وتردّوا عليها الذي لها فقالوا: نعم ففعلوا» فأطلقه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أن يبعث ابنته إليه فوفى له بذلك وصدّقه فيما وعده وبعثها إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع زيد بن حارثة فأقامت في المدينة بعد وقعة بدر.

وكانت سنة اثنتين إلى أن أسلم زوجها أبو العاص سنة ثمان فردّها عليه بالنكاح الأول ولم يحدث لها صداقاً. كما قال ابن عباس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «ردّ ابنته زينب إلى أبي العاص وكان إسلامها قبل إسلامه بست سنين على النكاح الأوّل ولم يحدث شهادة ولا صداقاً» رواه أحمد وأبو داود والترمذي⁽²⁾.

وهذا محمول على أن عدّتها لم تنقض منه بعد؛ لأن الذي عليه الجمهور أنه متى انقضت العدة ولم يسلم انفسخ نكاحها منه.

وقوله: ﴿وَعَاثُوهُمْ مَّا أَنْفَقُوا﴾ يعني: ادفعوا إلى أزواج المهاجرات من المشركين ما عزموا عليهنّ من الأصدقة والمهور قاله ابن عباس وغير واحد⁽³⁾.

وقوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ أي: تزوجوهنّ بشرطه من

(1) أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي صهر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زوج بنته زينب وقيل اسم ربيعة وهو ابن أخت أم المؤمنين خديجة وكان أبو العاص شهد بدرًا مع الكفار، (ت 12هـ)، سير أعلام النبلاء (330/1)، وأسد الغابة (182/6).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (195/4)، حديث رقم (2366)، وأبو داود في سننه، كتاب الطلاق، باب إلى متى تردّ عليه امرأته إذا أسلم بعدها، حديث رقم (2240)، والترمذي في سننه، كتاب النكاح، باب ما جاء في الزوجين المشركين يسلم أحدهما، حديث رقم (1143)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (1635).

(3) ينظر: جامع البيان (580/22)، وتفسير مجاهد (656).

انقضاء العدة وسائر المقدمات والتمتات ﴿ وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ ﴾ هذا تحريم من الله على عباده المؤمنين نكاح المشركات والاستمرار معهن.

وفي الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية، جاءه نساء من المؤمنات.

فأنزل الله: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَجِرَاتٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ ﴾ فطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين تزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان⁽¹⁾ والأخرى صفوان بن أمية⁽²⁾، وطلق أيضاً جماعة من الصحابة نساءهم المشركات فزوجن بالمشركين⁽³⁾.

وقوله: ﴿ وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ مَا أَنْفَقُوا ﴾ أي: وطالبوا بما أنفقتم على أزواجكم اللاتي ذهبن إلى الكفار إن ذهبن، وليطالبوا بما أنفقوا على أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين.

وقوله: ﴿ ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ﴾ أي: في الصلح واستثناء النساء منه والأمر بهذا كله هو حكم الله يحكم بين خلقه ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بما يصلح عباده حكيم في ذلك ﴿ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَانكحُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا ﴾

قال مجاهد وقتادة: هذا في الكفار الذين لهم عهد إذا فرت إليهم امرأة، ولم يدفعوا إلى أزواجهم شيئاً، فإذا جاءت منهم امرأة لا يدفع إلى زوجها شيء حتى يدفع إلى زوج الداهية إليهم مثل نفقته عليها⁽⁴⁾.

(1) معاوية بن أبي سفيان، واسم أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وقال أبو عمر معاوية وأبوه من المؤلفة قلوبهم وولاه عمر على الشام عند موت أخيه يزيد توفي معاوية بدمشق سنة تسع وخمسين، الاستيعاب (243/2).

(2) صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة القرشي الجمحي، من ولد بن جمح بن كعب وقيل أبو أمية وهما كنيتان له مشهورتان وقتل أبوه أمية بن خلف بيدر كافراً وقتل رسول الله ابن عمه أبي بن خلف بأحد كافراً وأسلم بمكة بعد الفتح، (ت 41هـ)، الاستيعاب (432/1).

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة، (974/2) حديث رقم (2581).

(4) معالم التنزيل (99/8)، وتفسير ابن كثير (95/8).

وقال ابن عباس: يعني: إن لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار أمر له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الغنيمة، مثل ما أنفق وهكذا.

قال مجاهد⁽¹⁾: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ أي: أصبتم غنيمة من قريش أو غيرهم، فأعطوا الذين ذهبوا أزواجهم مثل ما أنفقوا، يعني: مهر مثلها، وهذا قريب من الأول؛ لأنه إن أمكن ذلك فهو الأولى وإلا فمن الغنائم اللاتي يؤخذ من الكفار وهذا أوسع وهو اختيار ابن جرير.

﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: فيما أمركم به ونهاكم عنه إن كنتم مؤمنين، واختلفوا في أن ردّ المهر كما سبق كان واجباً أو مندوباً بناءً على أن ذلك الصلح إن وقع على ردّ النساء والرجال جميعاً فنسخ في حقّ النساء كان واجباً وإن وقع على الرجال خاصة كان مندوباً والله أعلم.

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَّكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعُهُنَّ وَاسْتَعْفِرَ لهنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَّكَ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فمن أقرّ بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (قد بايعتك) كلاماً ولا والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة، ما يبايعهن إلا بقوله: (قد بايعتك على ذلك) رواه البخاري⁽²⁾.

وعن أميمة بنت رقيقة⁽³⁾ قالت: أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - في نساء لنبايعه، فأخذ علينا ما في القرآن أن لا نشرك بالله شيئاً، الآية.

(1) النكت والعيون (523/5)، وتفسير مجاهد (656).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير باب ﴿إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهْجِرَاتٍ﴾ حديث رقم (4891).

(3) أميمة بنت رقيقة وأما رقيقة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد، فأميمة ابنة خالة أولاد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من خديجة روى عن أميمة محمد بن المنكدر، وقد بايعت النبي - صلى الله عليه وسلم - وروى حجاج بن محمد عن أبي جريح عن أميمة بنت رقيقة أحاديث. أسد الغابة (25/7).

وقال: «فيما استطعتن وأطقتن» قلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، قلنا: يارسول الله ألا تصافحنا؟ قال: «إني لا أصافح النساء، إثمًا قولي لامرأة واحدة كقولي لمائة امرأة» رواه أحمد وأكثر أصحاب السنن وصححه الترمذي⁽¹⁾.

وعن عائشة بنت قدامة بن مظعون قالت: أنا مع أمي رابطة بنت سفيان الخزاعية والنبي - صلى الله عليه وسلم - يبايع النسوة ويقول: «أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتانٍ تفترينه بين أيديكن وأرجلكن، ولا تعصينني في معروف - قلن: نعم - فيما استطعتن فكن يفلن وأقول معهن» رواه أحمد⁽²⁾.

وعن أم عطية⁽³⁾ قالت: بايعنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «فقرأ علينا ﴿لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها قال: أسعدتني فلانة أريد أن أجزئها مما قال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئاً فانطلقت فرجعت فبايعها» هكذا في الصحيحين⁽⁴⁾.

وفي رواية «فما وفي منهن امرأة غيرها وغير أم سليم ابنة ملحان»⁽⁵⁾، وروى ابن جرير أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمر عمر بن الخطاب وقال: «قل لهنّ إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً»⁽⁶⁾، وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة⁽⁷⁾ التي شقت بطن حمزة متكرة في النساء

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (357/6)، والترمذي في سننه، كتاب السير، باب ما جاء في بيعة النساء، حديث رقم (1597)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب البيعة، باب بيعة النساء (149/7) وابن ماجه في سننه، كتاب الجهاد، باب بيعة النساء، حديث رقم (2874) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (1300).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم (27062)، لم أقف على حكمه.

(3) أم عطية الأنصارية، اسمها نسيبة بنت الحارث، وقيل نسيبة بنت كعب، تعد أم عطية من أهل البصرة، وكانت من كبار نساء الصحابة، وكانت تغسل الموتى وتغزو مع النبي وكانت ممن قمن بغسل إحدى بنات النبي - صلى الله عليه وسلم -، (ت 70 هـ)، أسد الغابة (356/7).

(4) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَّكَ﴾ حديث رقم (4892)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، حديث رقم (936).

(5) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب ما ينهى من النوح والبكاء، حديث رقم (1306).

(6) رواه ابن جرير في تفسيره (596/22).

(7) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية الهاشمية امرأة أبوسفيان بن حرب وهي أم معاوية أسلمت في الفتح بعد إسلام زوجها أبي سفيان، شهدت أحد وهي كافرة وهي التي مثلت بحمزة بعد موته وشهدت معركة اليرموك وحرصت على قتال الروم توفيت في خلافة عمر بن الخطاب. أسد الغابة (281/7).

فقالت: إني إن أتكلم يعرفني وإن عرفني قتلني، وإنما تنكرت فرقاً من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسكتت النسوة اللاتي مع هند وأبين أن يتكلمن فقالت هند وهي متكرة: كيف تقبل من النساء شيئاً لم تقبله من الرجال؟ ففطن إليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وقال لعمر: «قل لهنّ ولا يسرقن» قالت هند: والله إني لأصبت من مال أبي سفيان الهنات⁽¹⁾ فلا أدري أيحلّ لي أم لا؟

قال أبو سفيان: ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غير فهو لك حلال، فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعرفها فدعاها وأخذت بيده فعادت به فقال: «أنت هند؟» فقالت: عفا الله عما سلف، فصرف عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «ولا يزينين» فقالت: يارسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهل تزني امرأة حرّة؟ قال: «لا والله ما تزني الحرّة، قال ولا يقتلن أولادهنّ» قالت هند: ربّناهم صغاراً وقتلتموهم كباراً، فأنتم وهم أعلم، فضحك عمر حتّى استلقى قال: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِيْهُتَيْنِ يَفْتَرِيْتُهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ﴾ قال: ﴿وَلَا يَعْصِيْتَكُ فِي مَعْرُوفٍ﴾ أي: في كلّ أمر وافق طاعة الله وقيل: منعهم أن ينحنّ، وكان أهل الجاهلية يمزقن الثياب ويخدشن الوجوه ويقطعن الشعور، ويدعون بالويل والثبور⁽²⁾.

قال الشعبي: بايع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - النّساء وعلى يده ثوب قد وضعه على كفه⁽³⁾، ثم قال: «ولا يقتلن أولادكنّ» فقالت امرأة: تقتل آباءهم وتوصينا بأولادهم؟ قال: وكان بعد ذلك إذا جاء النساء يبايعنه جمعهنّ فعرض عليهنّ، فإذا أقررن رجعن.

فقوله: ﴿يَأْتِيْهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَّكَ﴾ أي: من جاءك منهنّ تبايع على هذه الشروط فبايعها ﴿عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ﴾ أي: أموال

(1) الهنات: أي المضلعات واستعد لها واحتل والهنات الراهية كذا في النسخ والصواب أنها الهنات بالناء المربوطة، أي: بعنى شديد وأمور عظام، تاج العرس (319/40).

(2) لم أقف عليه في كتب الحديث. وقد رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (596/22) والسيوطي في الدر المنثور (429/14).

(3) ينظر: الدر المنثور (428/14)، وتفسير ابن كثير (100/8).

الناس الأجانب، فأما إذا كان الزوج مقصراً في نفقتها فلها أن تأكل من ماله⁽¹⁾ بالمعروف على ما جرت به عادة أمثالها، وإن كان بغير علم عملاً بحديث هند كما في الصحيحين أنها قالت: يارسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني، فهل علي جناح أن أخذت من ماله بغير علمه؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك)⁽²⁾.

وقوله: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ هذا يشمل قتل الولد بعدة وجوده كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية إملاق وقتله وهو جنين، بالإسقاط كما يفعله بعض الجهلة من النساء لئلا تحيل إماً لغرض فاسد أو ما أشبهه.

وقوله: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ﴾ قال ابن عباس: يعني: لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم⁽³⁾.

كما روى أبوهريرة أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول حين نزلت آية الملاعنة: «أيما امرأة أدخلت على قوم ما ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله جنته، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه وفضحه الله على رؤوس الأولين والآخرين» رواه أبو داود⁽⁴⁾.

ومنه أن تلتقط المرأة مولوداً وتقول لزوجها هذا ولدي منك، وقوله: ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ يعني: فيما أمرتهن به من معروف ونهيتهن عنه من منكر.

قال ابن عباس: إنما هو شرط شرطه الله للنساء، وقال ابن زيد: أمر الله بطاعة رسوله وهو خيرة الله من خلقه في المعروف وهو العبادة.

وقالوا: ونهاهن يومئذ عن النوح، كما سبق في حديث أم عطية، وعن الحسن

(1) ورد في المخطوط (مالها) والصحيح كما في تفسير ابن كثير (ماله).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب البيوع، باب من أجرى أمر الأمصار على ما تعارفوه بينهم، حديث رقم (2211)، ومسلم صحيحه، كتاب الأفضية، باب قصّة هند، حديث رقم (1714).

(3) ينظر: جامع البيان (594/22)، والنكت والعيون (525/5)، والدر المنثور (430/14).

(4) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطلاق، باب التغليظ في الانتقاء، حديث رقم، (2263) وضعفه الألباني في سنن ضعيف سنن أبي داود، حديث رقم (497).

قال: كان فيما أخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - عليهنّ «أن لا تحدثن الرجال إلاّ أن تكون محرّم، فإن الرجل لا يزال يحدث المرأة حتّى يمضي بين فخديه»⁽¹⁾.

وعن امرأة من المبايعات قالت: (كان فيما أخذ علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن لا نعصيه في معروف أن لا نخمش وجهاً، ولا ننشر شعراً، ولا نشقّ جيباً، ولا ندعوا ويلاً) رواه ابن أبي حاتم⁽²⁾.

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ليس منّا من ضرب الخدود وشقّ الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية»⁽³⁾.

وعن أبي سعيد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «لعن النائحة والمستمعة» رواه أبو داود⁽⁴⁾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَيسُوْا مِنْ
الْآخِرَةِ كَمَا يَيسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ نهى تعالى عن موالات الكافرين
في آخر السورة⁽⁵⁾.

كما نهى عن أولها والمراد بهم اليهود والنصارى وسائر الكفار ممن غضب الله عليه ولعنه واستحقّ من الله الطرد والإبعاد، فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاء ﴿قَدْ يَيسُوْا مِنْ الْآخِرَةِ﴾ أي: من ثواب الآخرة ونعيمها في حكم الله ﴿كَمَا يَيسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾، فيه أقوال أحدها: كما يئس الكفار الأحياء من قرباتهم الذين في القبور أن يجتمعوا بهم بعد ذلك، لأنهم لا يعتقدون بعثاً ولا نشوراً، فقد انقطع رجاؤهم منهم.

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير، (168/25) حديث رقم (410)، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (146/13).

(2) أخرجه ابن أبي شيبة في مسنده (390/3)، وابن عبد البر في التمهيد (238/12).

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب ما ينهى عن الحلق عند المصيبة، حديث رقم (1296) ومسلم في صحيحه، الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود، حديث رقم (165).

(4) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب في النوح، حديث رقم (3128).

(5) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ حديث رقم (4892)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، حديث رقم (936).

وقال ابن عباس: من مات من الكفار فقد يئس الأحياء منهم أن يرجعوا إليهم أو يبعثهم الله⁽¹⁾.

وقال الحسن: الكفار الأحياء قد يئسوا من الأموات. وقيل: معناه كما يئس الكفار والذين هم في القبور من كل خير.

قال ابن مسعود وغيره: كما يئس غداً الكافر إذا مات وعابن جزاءه واطلع عليه⁽²⁾.

واختاره ابن جرير والله أعلم.

(1) ينظر: جامع البيان (602/22)، والنكت والعيون (526/5)، وتفسير ابن كثير (103/8).

(2) ينظر: جامع البيان (605/22)، وتفسير ابن كثير (103/8).

تفسير سورة الصف

وهي مدنية

عن عبد الله بن سلام⁽¹⁾ - رضي الله عنه - أن أناساً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالوا: لو أرسلنا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نسأله عن أحب الأعمال إلى الله فلم يذهب إليه أحدٌ وقالوا هبنا أن نسأله عن ذلك فدعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أولئك النفر رجلاً رجلاً، ونزلت فيهم هذه السورة ﴿سَبَّحَ الصَّفَّ﴾.

قال عبد الله بن سلام: فقرأها علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلها. رواه ابن أبي حاتم مسلسلاً. وروى الترمذي والدارمي مثله وأحمد نحوه⁽²⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ① يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ② كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ③ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْضُوضٌ ④.

سبق الكلام في تفسير قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الآية بما أغنى عن إعادته.

وقوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ إنكار على من يعد وعداً ويقول قولاً فلا يفي به، وبهذا استدلل بعض أئمة السلف على أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقاً سواء ترتب عليه عزم الموعد أم لا.

(1) عبد الله بن سلام بن الحارث الأنصاري كان حليفا لهم من بني قينقاع وهو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام وكان اسمه في الجاهلية الحصين فسماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين أسلم عبد الله وكان إسلامه لما قدم النبي المدينة مهاجرا روى عنه أبناءه، أسد الغابة (2/119).

(2) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (10/3353)، والترمذي في سننه، باب ومن سورة الصف، حديث رقم (3306)، والإمام أحمد، في مسنده (39/206)، حديث رقم (23789)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2636).

وفي الصحيحين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»⁽¹⁾، ولهذا أكد - تعالى - هذا الإنكار عليهم بقوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ أي: عظم ذلك في المقت والبغض ﴿عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

وذهب مالك: إذا تعلق بالوعد عزمٌ على الموعد وجب الوفاء به، كما لو قال لأحد تزوج ولك عليّ كل يوم كذا فتزوج، وجب عليه أن يعطيه ما دام كذلك⁽²⁾؛ وذهب الجمهور: إلى أنه لا يجب الوفاء به مطلقاً وحملوا الآية على أنها نزلت حين تموا فريضة الجهاد عليهم، فلما فرض نكل عنه بعضهم⁽³⁾، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعْتُ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾⁽⁴⁾، والمعنى كما قال ابن عباس: كان أناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لوددنا أن الله تعالى دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل بها، فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إيمان بالله لا شك فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرؤا به، فلما نزل الجهاد كره ذلك أناس من المؤمنين وشقّ عليهم أمره فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ وهو اختيار ابن جرير⁽⁵⁾، وقيل نزلت في شأن القتال، يقول الرجل: قاتلت ولم يقاتل، وطعنت ولم يطعن، وضربت ولم يضرب، وصبرت ولم يصبر.

وقال ابن زيد: نزلت في قوم من المنافقين كانوا يعدون المسلمين النصر ولا يفون لهم بذلك⁽⁶⁾.

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، حديث رقم (33)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، حديث رقم (220).

(2) ينظر: النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني (18/4).

(3) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (242/4)، والشرح الكبير لابن قدامة (343/11)، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (324/10).

(4) سورة النساء الآية/77.

(5) ينظر: جامع البيان (608/22)، ومعالم التنزيل (107/8).

(6) النكت والعيون (527/5)، ومعالم التنزيل (108/8).

وقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ﴾ أي: يصفون صفًا ولا يزالون عن أماكنهم ﴿ كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرَّضُونَ ﴾ أي: محكم مرصص بعضه ببعض

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: (ثلاثة يضحك الله إليهم: الرجل يقوم من الليل، والقوم إذا صفوا للصلاة، والقوم إذا صفوا للقتال) رواه أحمد وابن ماجه⁽¹⁾.

وقال ابن جبير: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لا يقاتل العدو إلا أن يصفاهم، وهذا تعليم من الله للمؤمنين.

وقوله: ﴿ كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرَّضُونَ ﴾ أي: ملتصق بعضه ببعض في الصف، قال قتادة: ألم تر إلى أصحاب البنيان كيف لا يحبون أن يختلف بنيانهم؟ كذلك الله أن يختلف أمره، وإن الله يحب صف المؤمنين في قتالهم، وصف في صلاتهم فعليكم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ به). رواه ابن أبي حاتم⁽²⁾.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ لِمَ تُوذُونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾

أخبر - تعالى - عن رسوله وكليمه موسى بن عمران: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ لِمَ تُوذُونِي﴾ أي: لأي شيء تواصلون الأذى إليّ وقد تعلمون صدقي فيما جنتكم به من الرسالة. وفي هذا تسليّة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم- فيما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم، وأمر له بالصبر.

ولهذا قال: (رحم الله موسى: لقد أؤذي أكثر من هذا فصبر)⁽³⁾، وفيه نهى

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (284/14)، حديث رقم (11761)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة (455/7)، حديث رقم (3453).

(2) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (3354/10).

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى﴾ حديث رقم (4799).

للمؤمنين أن ينالوا من النبي - صلى الله عليه وسلم - أو يواصلوا به أذى، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٦﴾﴾⁽¹⁾.

وقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾ أي: فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: أمالها عن الحق والهدى، وأسكنها الشك والعمى.

كما قال: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ءَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾⁽²⁾ ولهذا قال في هذه الآية ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ قال الزجاج: أي: لا يهدي من سبق في علمه أنه فاسق⁽³⁾.

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ يعني: التوراة قد بشرت بي وأنا مصداق ما أخبرت عنه، وأنا مبشر بمن بعدي وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد.

فعيسى هو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقام في ملأ بني إسرائيل مبشراً بمحمد، وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة، ولقد أحسن البخاري فيما روى جبير بن مطعم⁽⁴⁾، قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب) ولمسلم نحوه⁽⁵⁾.

وعن أبي موسى الأشعري قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(1) سورة الأحزاب الآية/69.

(2) سورة الأنعام الآية/110

(3) معالم التنزيل (108/8)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل (475/3) .

(4) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي أمه أم جميل بنت سعيد من بني عامر وكان جبير من حلماء قريش وكان من أنسب قريش لقريش وللعرب قاطبة، أسلم جبير بن مطعم يوم الفتح وقيل عام خيبر مات جبير سنة سبع وخمسين، الاستيعاب (143/1)

(5) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم (3532)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب في أسمائه - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم (2354).

يسمّي لنا نفسه أسماءً فقال: (أنا محمد وأنا أحمد والمقفي والحاشر، ونبيُّ التوبة ونبيُّ الرحمة) وفي رواية (ونبيُّ الملحمة) رواه مسلم (1).

وعن العرياض بن سارية قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إني عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل⁽²⁾ في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي حين وضعتني وقد خرج لها نور أضاء لها قصور الشام) رواه أحمد والبغوي في شرح السنة⁽³⁾، ثم إن الأنبياء - عليهم السلام - لم تزل تنعته وتصفه في كتبهم على أمهم وتأمروهم باتباعه ونصره وموازرتة إذا بعث، وكان قد اشتهر هذا الأمر في أهل الأرض على لسان إبراهيم الخليل والد الأنبياء بعده حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم، وكذا على لسان عيسى ابن مريم، ولهذا رواية لأحمد وغيره قالوا: أخبرنا في بدء أمرك يعني في الأرض قال: (دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ابن مريم ورؤيا أمي التي رأيت⁽⁴⁾)؛ أي: ظهر في أهل مكة أثر ذلك، فذكره - عليه الصلاة والسلام -.

وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ قال ابن جريج وابن جرير: ﴿قَالُوا﴾ الكفار والمعاندون⁽⁵⁾، ﴿هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ٧ يُرِيدُونَ لِيُظْفِقُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ

(1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الفضائل، باب في أسمائه - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم (2355).

(2) لمنجدل: أي وصرعته في الشمس، وحديث علي حين وقف على طلحة وهو قتيل فقال: أعزز على أبي محمد أن أراك تحت نجوم السماء أي: ملقى على الأرض قتيلاً وفي حديث معاوية أنه قال: لصعصعه ما مرّ عليك جدلته، فجدله أي رماه في الأرض، لسان العرب (570/1).

(3) أخرجه الإمام أحمد، كتاب المسند، باب حديث العرياض بن سارية، حديث رقم (17190)، الحديث ضعيف، في السلسلة الضعيفة المختصرة

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (127/4)، حديث رقم (17150)، وصححه الألباني في المشكاة حديث رقم (5759).

(5) ينظر: جامع البيان (613/22).

الْمُشْرِكُونَ ﴿١﴾ .

يعني: لا أحد أظلم ممن يفترى الكذب على الله ويجعل له أنداداً وشركاء وهو يدعى إلى التوحيد والإخلاص، ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ثم قال: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: يحاولون أن يردوا الحق بالباطل، ومثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفىء شعاع الشمس بفيه، وكما أن هذا مستحيل كذا ذاك مستحيل، ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ثم قال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾ وقد سبق الكلام على هاتين الآيتين في سورة براءة⁽¹⁾ بما فيه الكفاية.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ مُجْبُونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

قد سبق في ترجمة السورة من حديث عبد الله بن سلام أن الصحابة أرادوا أن يسألوا عن أحب الأعمال إلى الله ليفعلوه.

فأنزل الله هذه السورة⁽²⁾ ومن جملتها هذه الآية ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾.

ثم فسّر هذه التجارة العظيمة السابقة فقال: ﴿تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: من تجارة الدنيا ﴿إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

ثم قال: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أي: إن فعلتم ما أمرتكم به ودللنكم عليه،

(1) سورة براءة وهي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

(2) تقدم في بداية تفسير هذه السورة الكريمة. الآية 1، 2.

غفرت لكم الزلات، وأدخلتكم الجنات والمسكن الطيبات والدرجات العاليات ولهذا قال: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

ثم قال: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا﴾ أي: وأزيدكم على ذلك زيادة تحبونها وهي ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ أي: عاجل وهو فتح مكة وسائر الفتوحات فهذه الزيادة هي خير الدنيا موصولة بنعم الآخرة لمن أطاع الله ورسوله ونصر دينه، ولهذا قال: ﴿وَبَشِّرِ- الْمُؤْمِنِينَ﴾ ثم حثهم على نصرته الدين وجهاد المخالفين فقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾.

أمر - تعالى - عباده المؤمنين أن يكونوا أنصاراً لله في جميع أحوالهم بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم، وأن يستجيبوا لله ولرسوله كما استجاب الحواريون لعيسى حين قال: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي: من معيني في الدعوة إلى الله ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ وهم أتباع عيسى ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ أي: نحن أنصارك على ما أرسلت به وموازروك على ذلك، ولهذا بعثهم دعاة للناس في بلاد الشام، هكذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول في أيام الحج: «من رجل يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي»⁽¹⁾ حتى قيض الله - تعالى - له الأوس والخزرج⁽²⁾ من أهل المدينة فبايعوه ووازره، وشارطوه أن يمنعوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم، فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه، وفؤا له بما عاهدوا الله عليه، ولهذا سماهم الله ورسوله الأنصار.

وقوله: ﴿فَآمَنَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ﴾ أي: لما بلغ عيسى

(1) أخرجه أبو داود في سننه، باب في القرآن، حديث رقم (4734) وصححه الحافظ ابن حجر (فتح الباري 63/7)، ووافقه الحاكم في المستدرک (624/2) والألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (3960).

(2) هما قبيلتان مشهورتان من العرب في يثرب، وقد لقبهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالأنصار، وخزرج وأوس أخوان أبوهما حارثة بن ثعلبة والأوس والخزرج وهما أبناء حارثة بن ثعلبة وهو العنقاء ابن عمرو بن ثعلبة وهو ابن عامر فمن بطون الأوس والخزرج عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس وهم من بني السمعية، العقد الفريد (342/3).

- عليه الصلاة والسلام- رسالة ربه إلى قومه ووازره من وازره من الحواريين اهتدت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به وضلت طائفة، فخرجت عما جاءهم به وجدوا نبوته ورموه وأمه بالعظام، وهم اليهود وغلت طائفة ممن اتبعه حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة، وافترقوا فرقاً وشيعاً فمن قائل منهم: إنه ابن الله، وقائل إنه ثالث ثلاثة: الأب والابن وروح القدس، ومن قائل إنه الله، كما سبق مفصلاً في سورة النساء. وقوله: ﴿ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أي: نصرناهم على من عاداهم من فرق النصارى ﴿ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ أي: عليهم وذلك ببعثة محمد - صلى الله عليه وسلم -.

كما قال ابن عباس: لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج إلى أصحابه وهم اثنا عشر رجلاً في البيت من عين ورأسه يقطر ماءً فقال: إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي، ثم قال: أيكم يلقي عليه شبيهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي؟ قال: فقام شاب من أحدثهم سناً فقال له: اجلس. ثم عاد عليهم فقال الشاب أنا فقال: نعم أنت ذلك. قال: فألقى عليه شبه عيسى ورفع عيسى - عليه السلام - من روزنة في البيت إلى السماء قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا شبيبه فقتلوه وصلبوه وكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به، فافترقوا ثلاث فرق، وقالت فرقة: كان الله فيما شاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء اليعقوبية⁽¹⁾، وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء ما رفعه إليه هؤلاء النسطورية⁽²⁾.

وقالت فرقة: كان فينا عبدالله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه إليه هؤلاء المسلمون، فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوا فلم يزل الإسلام طامساً حتى بعث الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - ﴿ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ في زمان عيسى ﴿ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ ﴾ يعني: التي كفرت في زمن عيسى ﴿ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ

(1) اليعقوبية: هي فرقة من النصارى أتباع يعقوب البرادعي الذي عاش في الشام في القرن السادس الميلادي، يقولون باتحاد اللاهوت والناسوت ويعرفون بأصحاب الطبيعة الواحدة (اليعقوبية) اليعاقبة ومن ألفاظها (المعاقب) من عاقب والمدرک بالثأر و (المعقاب) هي المرأة التي من عانتها أن تلد ذكراً ثم أنثى المعجم الوسيط (613/2).

(2) النسطورية: هم أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمن أمير المؤمنين المأمون بالله العباس، تاج العروس (214/14).

﴿عَامِنُوا﴾ أي: منهم على عدوّهم ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ رواه النسائي⁽¹⁾ أي: فأصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد - صلى الله عليه وسلم - أن عيسى عبد الله وكلمته وروحه فهذه الأمة الهادية لا يزالون قائمين بالحقّ ظاهرين على الخلق حتّى يأتي الله أمرهم كذلك، وحتّى يقاتل آخرهم الدجال مع المسيح عيسى ابن مريم كما وردت بذلك الأحاديث الصحاح والله أعلم.

(1) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب ﴿فَأَمِنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (489/6)، حديث رقم (11591).

تفسير سورة الجمعة

وهي مدنية

عن ابن عباس وأبي هريرة - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين) رواه مسلم⁽¹⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَعَاخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾.

أخبر - تعالى - أنه يسبح له وينزهه جميع المخلوقات ناطقها وجامدها، كما قال: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾⁽²⁾ ثم قال ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾ أي: هو مالك السموات والأرض المتصرف فيهما بحكمة، وهو المقدس المنزه عن النقائص الموصوف بصفات الكمال ﴿الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ سبق تفسيره غير مرة.

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ ﴿لَأُمِّيُونَ﴾ هم العرب كما قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾⁽³⁾ تخصيص الأميين بالذكر لا ينفي من عداهم.

ولكن المنّة عليهم أبلغ وأكثر في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ط وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾⁽⁴⁾ وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به، وهذا وأمثاله لا ينافي قوله

(1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في يوم الجمعة، حديث رقم (879، 880).

(2) سورة الإسراء الآية/44.

(3) سورة آل عمران الآية/20.

(4) سورة الزخرف الآية/44.

تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾⁽¹⁾.

وقوله: ﴿لَا نَذْرُكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَيْتُكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾⁽²⁾.

وقوله إخباراً عن القرآن ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ الْأَحْزَابِ فَأَلْتَارُ مَوْعِدُهُ﴾⁽³⁾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعثته - صلى الله عليه وسلم - إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم كما سبق في سورة الأنعام.

فقوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ مصداق إجابة الله لخليله إبراهيم حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فبعثه الله سبحانه على حين فترة من الرسل وطموس من السبل، وقد اشتدت الحاجة إليه، وقد مقت الله أهل الأرض عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب؛ أي نزرأ يسيراً ممن تمسك بما بعث الله به عيسى، ولهذا قال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ الآية وذلك أن العرب كانوا قديماً متمسكين بدين إبراهيم الخليل - عليه السلام -، فبدّلوه وغيره وقلبوه وخالفوه واستبدلوا بالتوحيد شركاً وباليقين شكاً، وابتدعوا أشياء لم يأذن الله بها، وكذلك أهل الكتابين قد بدّلوا كتبهم وحرفوها وغيروها.

فبعث الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - بشرع كامل شامل لجميع الخلق فيه هدايتهم وبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم، والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة ويرضى الله عنهم، والنهي عما يقربهم إلى النار ويسخط الله عليهم حاكم فاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب في الأصول والفروع، وجمع له تعالى وله الحمد جميع المحاسن ممن كان قبله، وأعطاه مالم يعط أحداً من العالمين الأولين، ولا يعطيه أحداً من الآخرين، فصلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين

وقوله: ﴿وَعَاخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

(1) سورة الأعراف الآية/158.

(2) سورة الأنعام الآية/19.

(3) سورة هود الآية/17.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه-، قال: كنا جلوسا عند النبي - صلى الله عليه وسلم- أنزلت عليه سورة الجمعة: ﴿وَعَاخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قالوا: من هم يارسول الله؟ فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثا، وفيها سلمان الفارسي - رضي الله عنه- فوضع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يده على سلمان الفارسي ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال- أو رجل - من هؤلاء»⁽¹⁾، هكذا في الصحيحين.

ففي الحديث دليل أن هذه السورة مدنية وعلى عموم بعثته - صلى الله عليه وسلم- إلى جميع الناس؛ لأنه فسر.

وقوله ﴿وَعَاخِرِينَ مِنْهُمْ﴾ بفارس، ولهذا كتب كتبه إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم، يدعوهم إلى الله وإلى اتباع ما جاء به، ولهذا قال مجاهد وغير واحد: في هذه الآية هم الأعاجم وكل من صدق النبي - صلى الله عليه وسلم- من غير العرب⁽²⁾.

وعن سهل بن سعد⁽³⁾ قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «إن في أصلاب أصلاب رجال ونساء من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب» ثم قرأ ﴿وَعَاخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾⁽⁴⁾ يعني: بقية من بقي من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم-.

وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: ذو العزة والحكمة في شرعه وقدره، وقوله: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يعني: ما أعطاه الله محمداً - صلى الله عليه وسلم-.

(1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فارس، حديث رقم (2546).
(2) وفيه أربعة أقاويل: أحدها أنهم المسلمون بعد الصحابة، قاله ابن زيد. الثاني: أنهم العجم بعد العرب، قاله الضحاك. الثالث: أنهم الملوك أبناء الأعاجم، قاله مجاهد. الرابع: أنهم الأطفال بعد الرجال. ويحتمل خامساً: أنهم النساء بعد الرجال. ينظر: النكت والعيون (7/6).
(3) سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرجي بن كعب الأنصاري الساعدي شهد قضاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم- المتلاعنين وأنه فرق بينهما وكان اسمه حزنا فسماه رسول الله سهلاً رأى سهل بن سعد النبي وسمع عاش سهل حتى أدرك الحجاج بن يوسف. (ت 91هـ) أسد الغابة (2/575).
(4) رواه الطبراني في المعجم الكبير (248/6)، حديث رقم (848)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير (384/5) حديث رقم (1937)، وذلك في الجزء الأخير من هذا الحديث وهو قوله (من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب).

وسلم - من النبوة العظيمة، وما خصّ به أمته من بعثته إليهم فدعاهم إلى الإسلام والهداية ولهذا قال ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتُّوا أَلْمُوتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَتُّوهُ وَابَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنْ أَلْمُوتَ الَّذِي تَفْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ .

قال - تعالى - ذاماً لليهود الذين أعطوا التوراة، وحملوا العمل بها فلم يعملوا بها، مثلهم في ذلك كمثل الحمار إذا حمل كتباً لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملاً حسيّاً ولا يدري ما عليه.

وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه حفظوه لفظاً ولا يفهمونه ولا عملوا بمقتضاه، بل أولوه وحرّفوه وبدّلوه فهم أسوأ حالاً من الحمير ؛ لأن الحمار لا فهم له وإن هؤلاء لهم فهم لم يستعملوها.

ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾⁽¹⁾، وقال ههنا: ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: ظلموا على أنفسهم بتكذيب الأنبياء يعني: من سبق عليه أنه لا يهديهم.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً» رواه أحمد⁽²⁾.

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْدُونِ

(1) سورة الأعراف الآية/179.

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (475/3)، حديث رقم (2033)، وابن عبد البر في التمهيد شرح الموطأ (37/19)، و الهيثمي في مجمع الزوائد، باب الإنصات والإمام يخطب، حديث رقم (3123)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب، حديث رقم (440).

النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٦﴾ أي: إن كنتم تزعمون أنكم على هدى، وأن محمداً وأصحابه على ضلالة، فادعوا بالموت على الضال من الفئتين ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما تزعمونه.

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ﴾ أي: بما يعملون من الكفر والظلم والفجور ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ وقد سبق الكلام على هذه المعارضة لليهود حيث قال تعالى ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾

والمراد أن يدعوا على الضلال من أنفسهم أو خصومهم كما تقدّمت مباحلة النصارى في آل عمران ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ (1) ومقابلة المشركين في سورة مريم ﴿ثُلَمَسَ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٥﴾﴾ (2).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال أبو جهل (3) إن رأيت محمداً عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لو فعل لأخذته الملائكة عياناً، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار ولو خرج الذين يباهلون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً» رواه البخاري والنسائي والترمذي (4).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ

(1) سورة آل عمران الآية/61.

(2) سورة مريم الآية/75.

(3) أبو جهل عدو الله وفرعون هذه الأمة اسمه عمرو بن هشام كان أبو جهل يكنى في الجاهلية أبا الحكم، وكناه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبا جهل وكان أبو جهل وابنه عكرمة من أشد الناس عداوة لرسول الله، فقتل الله أبا جهل يوم بدر كافراً وبقي عكرمة فاسلم بعد الفتح بقليل. تهذيب الأسماء واللغات (1/465).

(4) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَه لِنَسْفَعَا بِالنَّاصِيَةِ﴾ حديث رقم (4958)، والترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ حديث رقم (3345)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب سورة العلق، حديث رقم (11685).

وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١١﴾.

إنما سميت الجمعة جمعة؛ لأنها مشتقة من الجمع وإن أهل الإسلام يجتمعون فيه كل أسبوع مرة في المعابد الكبار، وفيه كمل جميع الخلائق فإنه اليوم السادس من الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض، وفيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه، كما ثبت بذلك الأحاديث الصحاح. وعن سلمان قال: قال أبو القاسم - صلى الله عليه وسلم -: «ياسلمان ما يوم الجمعة؟» قلت الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يوم الجمعة جمع الله فيه أبواكم أو أبوكم» رواه ابن أبي حاتم⁽¹⁾، ويقال في اللغة القديمة: يوم العروبة، وثبت أن الأمم قبلنا أمروا به فضلوا عنه، واختار اليهود يوم السبت التي لم يقع فيه خلق، واختار النصارى الأحد الذي ابتدئ فيه الخلق، واختار الله لهذه الأمة يوم الجمعة الذي أكمل الله فيه الخليقة.

كما في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فها هنا الله له، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غداً والنصارى بعد غد»⁽²⁾.

وفي لفظ لمسلم «أضلَّ الله عن الجمعة ما كانا قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد كذلك هم لنا تبع يوم القيامة نحن الآخرون في الدنيا الأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق»⁽³⁾.

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير (237/6)، وابن أبي حاتم في تفسيره (3356)، وابن كثير في تفسيره (119/8)، والحاكم في المستدرک (277/1)، وصححه.

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التعبير، باب النفخ في المنام، حديث رقم (7036)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، حديث رقم (855).

(3) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، حديث رقم (856).

وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة فقال ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: فاقصدوا واعمدوا واهتموا في سيركم إليها، وليس المراد بالسعي ههنا المشي السريع وإنما هو الاهتمام بها كقوله: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ (1).

وكان عمر بن الخطاب وابن مسعود - رضي الله عنهم - يقرانها (فامضوا إلى ذكر الله) (2) قال الحسن: أما والله ما هو بالسعي على الأقدام، ولقد نُهوا أن يأتوا الصلوة وعليهم السكينة والوقار، وذلك بالقلوب والنية والخشوع (3).

وعن قتادة نحوه وأما المشي السريع إلى الصلاة فقد نُهي عنه (4) لما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم بالسكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا» (5) هذا لفظ البخاري وفيهما.

عن قتادة قال: بينما نحن نصلي مع النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ سمع جلبة رجال فلما صلى قال ما شأنكم قالوا استعجلنا إلى الصلاة قال: «فلا تفعلوا إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة فما فا أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا» (6).

ويستحب لمن جاء إلى الجمعة أن يغتسل قبل مجيئه إليها، لما ثبت في

(1) سورة الاسراء الآية/19.

(2) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (157/2)، وابن حجر في فتح الباري (642/8).

(3) في السعي إليها أربعة أقاويل: أحدها: النية بالقلوب قاله الحسن، الثاني: أنه العمل لها كما قال تعالى: (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَى) قاله ابن زيد، الثالث: أنه إجابة الداعي قاله السدي، الرابع: المشي على القدم من غير إسراع، وذكر أن عمر وابن مسعود كان يقرآن ((فامضوا إلى ذكر الله)). وفي ذكر الله ثلاثة أقوال، أحدها: أنها موعظة الإمام في الخطبة، قاله سعيد بن المسيب. الثاني: أنها الوقت، حكاها السدي. الثالث: أنه الصلاة، وهو قول الجمهور. ينظر: النكت والعيون (9/6).

(4) ينظر: معالم التنزيل (117/8)، وتفسير ابن كثير (120/8).

(5) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الأذان، باب لايسعى إلى الصلاة وليأت السكينة والوقار، حديث رقم (636) ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة، حديث رقم (602).

(6) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الأذان، باب قول الرجل فانتنت الصلاة، حديث رقم (635)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة، حديث رقم (603).

الصحيحين أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم- قال: «إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل»⁽¹⁾ وفيهما أيضاً عن أبي سعيد قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم»⁽²⁾ وفيهما أيضاً أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم-: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»⁽³⁾ ويستحب له أن يلبس أحسن ثيابه ويتطيب ويتسوك ويتنظف ويتطهر.

لما روى أبو أيوب الأنصاري⁽⁴⁾ قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول: «من اغتسل يوم الجمعة ومسّ من طيب إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه، ثم خرج حتى يأتي المسجد فيركع إن بدا له ولم يؤذ أحداً، ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلي كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى» رواه أحمد ولأبي داود نحوه⁽⁵⁾.

وقوله: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ﴾ المراد بهذا النداء النداء الثاني الذي كان يؤذن بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إذا خرج فجلس على المنبر، (فإنه كان حينئذ يؤذن فهذا هو المراد، فأما النداء الأول زاده على الزوراء، فإنما كان ذلك لكثرة الناس.

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الجمعة، باب فضل الغسل يوم الجمعة، حديث رقم (877)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب فضل غسل يوم الجمعة، حديث رقم (844).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الجمعة، باب فضل الغسل يوم الجمعة، حديث رقم (879)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب وجوب غسل الجمعة على كل بالغ من الرجال، حديث رقم (846).

(3) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة، حديث رقم (881)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الطيب والسواك يوم الجمعة، حديث رقم (850).

(4) أبو أيوب الأنصاري الخزرجي البخاري البدري السيد الكبير الذي خصّه النبي - صلى الله عليه وسلم- بالنزول عليه في بني النجار إلى أن بنيت له حجرة أم المؤمنين سودة، وبنى المسجد الشريف، اسمه خالد بن زيد بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن النجار بن الخزرجي حدث عنه جابر بن سمرة، والمقداد بن معد شهد المشاهد كلها مع رسول الله، (ت 51هـ). سير أعلام النبلاء (2/402).

(5) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم (23571)، وأبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب اللبس للجمعة، حديث رقم (1078)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، حديث رقم (898).

كما روى السائب بن يزيد⁽¹⁾ قال: كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبي بكر وعمر، فلما كان عثمان بعد زمن وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء) رواه البخاري⁽²⁾.

يعني: يؤذن على الدار التي تسمى بالزوراء، وكانت أرفع دار بالمدينة بقرب المسجد حتى يجتمع الناس.

وعن مكحول أن النداء كان في الجمعة مؤذناً واحداً، حين يخرج الإمام وذلك الذي يحرم البيع والشراء إذا نودي به، وقوله ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ أي: وتركوا البيع إذا نودي للصلاة، ولهذا اتفقوا على تحريمه بعد النداء الثاني.

وقوله: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: ترككم البيع وإقبالكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة خير لكم؛ في الدارين إن كنتم تعلمون.

وقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ أي: فرغ منها ﴿فَأَنْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ وكان عراك بن مالك⁽³⁾ إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني وأنت خير الرازقين) رواه ابن أبي حاتم⁽⁴⁾.

كما روى عن بعض السلف أنه قال: من باع واشترى في يوم الجمعة بعد الصلاة بارك الله له سبعين مرة لقول الله ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَأَنْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ وقوله: ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي: في حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم فاذكروا الله ذكراً كثيراً، ولا تشغلكم الدنيا عن

(1) السائب بن يزيد بن سعد بن ثمامة بن الأسود وقيل غير ذلك السائب بن الحارث المعروف بابن أخت نمر يكنى أبايزيد قيل إنه كنانى ليثي وهوليف أمية بن عبد شمس ولد في السنة الثانية من الهجرة وهو ترب ابن الزبير وحج والده مع رسول الله وهو عمره سبع سنين (ت 80هـ). أسد الغابة (1/417).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الجمعة، باب الأذان يوم الجمعة، حديث رقم (912).

(3) عراك بن مالك الغفاري الكنانى المدني روى عن بن عمر وأبي هريرة وعائشة روى عنه ابنه خثيم وعبد الله وسليمان وهو من خيار التابعين وكان عراك من أشد أصحاب عمر بن عبد العزيز ومات عراك بن مالك بالمدينة في خلافة يزيد بن عبد الملك. تهذيب التهذيب (7/156).

(4) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (3356)، وابن كثير في تفسيره (8/122).

الذي ينفعم في الآخرة.

ولهذا جاء في الحديث «من دخل سوقاً من الأسواق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحي عنه ألف ألف سيئة»⁽¹⁾.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ عاتب تعالى على ما كان وقع من الإنصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التي قدمت المدينة يومئذ فقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ﴾ أي: على المنبر تخطب، هكذا ذكره غير واحد من التابعين، كأبي العالية والحسن وقتادة، وزعم مقاتل بن حيان⁽²⁾ أن التجارة كانت لدحية ابن خليفة⁽³⁾ قبل أن يسلم، وكان معها طبل فانصرفوا معها وتركوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المنبر إلا القليل منهم، وفي الصحيحين عن جابر قال: قدمت عير مرّة المدينة ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخطب فخرج الناس وبقي اثنا عشر رجلاً فنزلت ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾ وفي قوله: ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ دليل على أنه يجب أن يخطب الإمام قائماً والمراد باللغو المذكور وقيل: كانت العير إذا قدمت المدينة استقبلوها بالطبل والتصفيق، وعن جابر بن سمرة⁽⁴⁾ قال: كان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - (خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس)، وفي رواية كنت أصلي مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وكانت صلاته

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا دخل السوق، حديث رقم (3756)، وابن ماجه في سننه، كتاب الدعوات، باب الأسواق ودخولها، حديث رقم (2226)، وصححه الترمذي، حديث رقم (2726)، ووافقه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، حديث رقم (2235).

(2) مقاتل بن حيان بن دوال دور أبو النبطي الإمام العالم المحدث أبو بسطام البلخي الخراز طاف وجال، حدث عن الشعبي ومجاهد والضحاك روى عنه شيخه علقمة بن مرثد وبكير بن معروف وإبراهيم بن أدهم وله أحاديث في الصحاح وكان من العلماء العاملين ذا نسب وفضل. سير أعلام النبلاء (414/11).

(3) دحية بن خليفة، لم أقف على ترجمته بالتفصيل ووجبت بعض الكلام عليه وهو أن هرقل قال لدحية بن خليفة الكلبى حين قدم عليه بكتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويحك والله إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل وأنا كنا ننتظره ونجده في كتابنا، (ت 102 هـ). أسد الغابة (32/2).

(4) جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب بن حبيب بن عامر بن صعصعة العابدي واختلف في كنيته فقيل: أبو خالد وقيل: أبو عبد الله وهو حليف بني زهرة وهو ابن أخت سعد بن أبي وقاص سكن الكوفة وابتنى بها داراً وتوفى في أيام بشر بن مروان وقيل توفى سنة (66هـ). أسد الغابة (488/1).

قصراً وخطبته قصراً) رواهما مسلم⁽¹⁾.

والخطبة فريضة في صلاة الجمعة، ويجب أن يخطب قائماً خطبتين، وأقل ما يقع عليه اسم الخطبة أن يحمد الله ويصلي على النبي - صلى الله عليه وسلم - ويوصي بتقوى الله هذه الثلاث فرض في الخطبتين جميعاً، ويجب أن يقرأ في الأولى والثانية آية من القرآن ويدعو للمؤمنين في الثانية فلوترك واحدة من هذه الخمس لا تصح جمعه عند الشافعي⁽²⁾، وذهب أبو حنيفة إلى أنه لو أتى بتسيبحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزأه ورد بأن هذا القدر لا يقع عليه اسم الخطبة وهومأمور بالخطبة والله أعلم.

وقوله: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: الذي عند الله من الثواب على الصلاة والثبات مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ﴿خَيْرٌ مِنَ اللَّهِ وَمِنَ الْجَبَرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾ أي: لمن توكل عليه وطلب الرزق في وقته.

(1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الجمعة، باب ذكر الخطبتين قبل الصلاة، حديث رقم (863).

(2) ينظر: الإقناع في الفقه الشافعي للماوردي (19/1).

تفسير سورة المنافقون

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾.

أخبر - تعالى - عن المنافقين إنهم يتفوهون بالإسلام إذا جاءوا النبي - صلى الله عليه وسلم -، فأما في باطن الأمر فليسوا كذلك بل على الضد من ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ أي: إذا حضروا عندك واجهوك بذلك، وأظهروا لك ليس كما يقولون، ولهذا اعترض بجملة مخبرة أنه رسول الله فقال: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴾.

ثم قال: ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ أي: فيما أخبروا به وإن كان مطابقاً للواقع؛ لأنهم لم يكونوا معتقدين صحة ما يقولون، ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم.

وقوله: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي: اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة والحلفان الآثمة؛ ليصدقوا فيما يقولون، فاعتز بهم من لا يعرف جلية أمرهم، فاعتقدوا أنهم مسلمون، فريما اقتدى بهم فيما يفعلون، وصدقهم فيما يقولون، ومن شأنهم أنهم كانوا في الباطن بعيدين عن الإسلام، فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس.

ولهذا قال: ﴿ فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ وكان الضحاك يقرؤها اتخذوا إيمانهم⁽¹⁾ بكسر الهمزة أي: تصديقهم الظاهر تقية يتقون به القتل،

(1) قراءة (إيمانهم) شاذة تفسيرية، (أيمانهم) بالفتح أي: حلفهم الكاذب أو شهادتهم هذه. فإنها تجري مجرى الحلف في التوكيد، وقرئ إيمانهم أي: (جنة) ووقاية من القتل والسبي، تفسير البيضاوي (198/8).

والجمهور يقرؤها ﴿أَيْمَنَهُمْ﴾ على الفتح جمع يمين.

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: إنما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفر، واستبدالهم الضلالة بالهدى، فطبع الله على قلوبهم فلا يصل إليها هدى ولا يخلص إليها خير، فلا تعي ولا تهتدي ولا يفقهون شيئاً ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ أي: وكانوا أشكالا حسنة وذوي فصاحة والسنة، إذا سمعهم السامع يصغى إلى قلوبهم لبلاغتهم، وهم مع ذلك في غاية الضعف والعجز والجبين، ﴿كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مَّسْنَدَةٌ﴾ أي: أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام، ولهذا قال: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: كلما وقع أمر أو خوف أو صوت في الشكر يعتقدون لجنبهم أنه نازل بهم، وظنوا أنهم قد أوتوا لما في قلوبهم من الرعب فهم جماعات وصور بلا معاني، ولهذا قال: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال، عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «إنَّ للمنافقين علامات يعرفون بها: تحيتهم لعنة، وطعامهم نهبه، وغنيمتهم غلول، ولا يقربون المسجد إلا هُجراً، ولا يأتون الصلاة إلا دبراً، مستكبرين لا يأفون ولا يؤلفون، خشبٌ بالليل، صُخبٌ بالنهار» وفي رواية «سُخب بالنهار» رواه أحمد⁽¹⁾.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَسِنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾.

أخبر - تعالى - عن المنافقين أنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُ رُءُوسَهُمْ﴾ أي: أعرضوا عما قيل لهم، وعطفوا عن ذلك استكباراً واحتقاراً لما

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (293/2)، حديث رقم (7913)، و والهيثمي في مجمع الزوائد (باب في النفاق وعلاماته، حديث رقم (411). وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (794/12) حديث رقم (5872).

قيل لهم، ولهذا قال: ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ أي: يعرضون عما دُعوا إليه ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ وحوّل سفيان وجهه على يمينه ونظر بعينه شزراً⁽¹⁾ هكذا، ثم جازاهم على ذلك فقال: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الآية كما سبق في سورة براءة الكلام عليه⁽²⁾.

وقال غير واحد من السلف أن هذا السياق كله نزل في عبد الله بن أبي سلول⁽³⁾ له مقام يقومه كل جمعة⁽⁴⁾، لا ينكر شرفاً له من نفسه ومن قومه وكان فيهم شريفاً، إذا جلس النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال: «أيها الناس، هذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أظهركم، أكرمكم الله وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوه، ثم يجلس حتى إذ صنع يوم أحد ما صنع؛ يعني: برجوعه بثلاث الجيش ورجع الناس، قام ليفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا: اجلس، أي: عدوّ الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت، فخرج يتخطى رقاب الناس غضبان فلقية رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا: وبلك مالك؟ قال: قمت أشدد أمره فمنعني بعض أصحابه وعنفني، فقالوا وبلك ارجع يستغفر لك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: والله ما أبتغي أن يستغفر لي»⁽⁵⁾.

(1) شزر: (شزره) يشزره شزراً، نظر المعادي وشزر إليه يشزره بالكسر شزراً نظر منه في أحد شقيه ولم يستقبله بوجهه. تاج العروس (164/12).

(2) إن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿سورة التوبة الآية/80﴾، عندما نزلت هذه الآية قال النبي - صلى الله عليه وسلم - سوف أستغفر لهم زيادة على سبعين مرة، فأُنزل الله آية المنافقون.

(3) عبد الله بن أبي بن سلول المنافق وسلول أم عبد الله ولهذا قال العلماء الصواب في ذلك أن يقال عبد الله بن أبي سلول بالرفع بتنوين وكان عبد الله بن أبي رأس المنافقين ونزل في ذمّه آيات كثير مشهورة وتوفي في زمن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكفنه في قميصه قيل النهي عن الصلاة على المنافقين وإنما صلّى عليه لكرامة ابنه، (ت 9 هـ). تهذيب الأسماء واللغات (246/1).

(4) وفيما فعل عبد الله بن أبي حين لوى وجهان: أحدهما: أنه فعل ذلك استهزاء وامتتاعاً من فعل ما دعا إليه من إتيان الرسول للاستغفار له، قاله قتادة، الثاني: أنه لوى رأسه بمعنى ماذا قلت. قاله مجاهد. النكت والعيون (17/6)، تفسير ابن كثير (127/8).

(5) لم أقف عليه في كتب الحديث وإنما جاء في السيرة النبوية (223/6)، والبداية والنهاية (463/5).

وعن سعيد بن جبير⁽¹⁾ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا نزل منزلاً لم يرتحل حتى يصلي فيه فلما كانت غزوة تبوك بلغه أن عبد الله بن أبي بن سلول قال: ليخرجن الأعرز منها الأذل، فارتحل قبل أن ينزل آخر النهار، وقيل: لابن سلول أنت النبي - صلى الله عليه وسلم - يستغفر لك، فأنزل الله هذه الآية ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُ رُءُوسَهُمْ﴾.

وفي قوله غزوة تبوك نظر بل سهو فإن ابن سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك، بل رجع بطائفة من الجيش، وإنما المشهور عند أصحاب المغازي أن ذلك في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق.

فبينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مقيم هناك اقتتل على الماء جهجاه بن سعيد الغفاري⁽²⁾، وكان أجيراً لعمر بن الخطاب وسانان بن زيد⁽³⁾.

قال ابن اسحاق ازدحما على الماء فاقتتلا، فقال سنان: يا معشر الأنصار وقال جهجاه: يا معشر المهاجرين، وزيد بن أرقم⁽⁴⁾ ونفر من الأنصار عند عبد الله بن أبي، فلما سمعها قال: قد نافرونا وكاشرونا في بلادنا، والله ما مثلنا وجلايب قريش هذه إلا كما قال القائل: سَمَّنْ كَلْبِكَ يَا كَلْكُ، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل.

ثم أقبل على من عنده من قومه وقال: ما صنعتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو كففتهم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها،

(1) سعيد بن جبير الأسدي الفقيه المحدث المفسر كان أحد علماء التابعين أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وقال بعضهم كان أعلم التابعين بالطلاق سعيد بن المسيب وبالتفسير مجاهد وأجمعهم لذلك سعيد بن جبير توفي في سنة خمس وتسعين، طبقات المفسرين للداودي (10/1).

(2) أبو سعيد الغفاري له صحبة شهد بيعة الرضوان وكان في غزوة المريسيع أجيراً لعمر سكن المدينة كان مولى لبني ليث، حدث عن أبي هريرة روى عنه أبو هانئ الخولاني، فتح الباب في الكنية والألقاب (367/1).

(3) سنان بن زيد أبو فروة الرهاوي من التابعين أدرك على بن أبي طالب روى عنه ابنه أبو فروة يزيد بن سنان الجزري وسانان بن يزيد يروى عن سفيان بن عيينة وغيره (ت 155هـ). المؤلف والمختلف للدارقطني (1210/3).

(4) زيد بن الأرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري، كنيته أبو عمر وقيل: أبو عامر، روى عنه ابن عباس وأنس بن مالك وابن أبي ليلى، غزا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غزوة نزل الكوفة وكانت وفاته سنة ثمان وستين، الاستيعاب (159/1).

فسمعها زيد بن أرقم - رضي الله عنه - فذهب بها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو غلام وعنده عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فأخبره الخبر، فقال عمر - رضي الله عنه -: يا رسول الله مر عباد بن بشر فليضرب عنقه، فقال - عليه الصلاة والسلام -: (كيف إذا تحدث الناس يا عمر أن محمداً يقتل أصحابه، ولكن ناد يا عمر بالرحيل) فلما بلغ عبد الله بن سلول أن ذلك بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتاه فاعتذر إليه، وحلف بالله ما قال عليه زيد بن أرقم وكان عند قومه بمكان فقالوا: يا رسول الله عسى أن يكون هذا الغلام أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قاله، وراح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مُهجراً في ساعة كان لا يروح فيها.

فلقية أسيد بن الحضير - رضي الله عنه - فسلم عليه بتحية النبوة، ثم قال: والله لقد رحمت في ساعة منكراً ما كنت تروح فيها، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أما بلغك ما قال صاحبك ابن أبي؟ زعم أنه إذا قدم المدينة أنه سيخرج الأعرز منها الأذل»⁽¹⁾ قال يا رسول الله أنت العزيز وهو الذليل. ثم قال يا رسول الله، ارفق به فو الله لقد جاء الله بك وإنا لننظم له الخرز⁽²⁾ لنتوجه، فإنه ليرى أنه قد أسلبته ملكه، فسار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالناس حتى أمسوا وليته حتى أصبحوا، وصدر يومه حتى اشتد الضحى ثم نزل بالناس ليشغلهم عما كان من الحديث، فلم يأمن الناس أن وجدوا مسَّ الأرض فناموا ونزلت سورة المنافقين⁽³⁾.

وعن جابر⁽⁴⁾ قال: كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزاة فكسع رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يالأنصار! وقال المهاجري ياللمهاجرين؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ما بال دعوى

(1) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (53/4)، من طريق ابن إسحاق، عن محمد بن يحيى.

(2) الخرز: أي بمعنى الخف يخرزه كتبه، والمخرز ما يخرز به، والخرزة حرفته، وخرز كفرح أحكم أمره والخرز فصوص من جيد الجواهر وربيته والخرز خياطة الأدم وكل كتبة منه خرزة والمخرزمن الطير والحمام وخرزات الملك السنون المحيط في اللغة (350/1).

(3) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (112/4) حديث رقم (1403)، لم أقف على حكم الحديث.

(4) جابر بن عبد الله بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدي بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي، شهد بدرًا وأحدًا والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو أول من أسلم من الأنصار قبل العقبة الأولى وله حديث عند الكلبي، (ت 78 هـ)، الإستيعاب (65/1).

الجاهلية؟ دعوها فإنها منتنة»⁽¹⁾.

فقال عبد الله بن أبي بن سلول: وقد فعلوها، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منه الأذلّ.

قال جابر: وكانت الأنصار في المدينة أكثر من المهاجرين، حين قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم كثر المهاجرون بعد ذلك، فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه» رواه أحمد وفي الصحيحين نحوه⁽²⁾.

وعن زيد بن أرقم قال: كنت مع عمي في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول يقول: لأصحابه لا تتفقوا على من عند رسول الله، ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ، فذكرت ذلك لعمي فذكره عمي لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأرسل إليّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فحدثته.

فأرسل إلى عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا، فكذبني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأصابني همّ لم يصبني مثله قط وجلست في البيت فقال عمي: ما أردت إلا أن كذبك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومقتك! قال حتى أنزل الله ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ﴾ قال: فبعث إليّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقرأها ثم قال: «إن الله قد صدقك» رواه أحمد وفي البخاري نحوه⁽³⁾.

قال بن اسحاق: كما بلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي ما كان من أمر أبيه أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال يارسول الله: إنّه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه؟

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الدعوات، باب من دعوى الجاهلية، حديث رقم (3330)، ومسلم في صحيحه، كتاب الدعوات، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، حديث رقم (6748).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (53/4)، والبخاري في صحيحه، التفسير، باب سورة المنافقون، حديث رقم (4622)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب نصراً لأخ ظالماً أو مظلوماً، حديث رقم (6748).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (370/4)، حديث رقم (19510)، والبخاري في صحيحه، كتاب التفسير باب سورة المنافقون، حديث رقم (4621).

فإن كنت فاعلاً فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها رجل أبرّ بوالده مني، غير أنني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «بل نتزفوق به ونحسن صحبته ما بقي معنا»⁽¹⁾.

وذكر عكرمة⁽²⁾ وغير واحد، أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله بن أبي على باب المدينة، واستل سيفه، فجعل الناس يمرّون عليه، فلما جاء أبوه عبد الله بن أبي قال له ابنه: وراعيك! فقال: مالك ويلك؟ فقال: والله لا تجوز من ههنا حتى يأذن لك فإنه العزيز وأنت الذليل⁽³⁾، فلما جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان إنما يسير ساقية فشكا إليه عبد الله بن أبي، فقال ابنه عبد الله: والله يارسول الله لا يدخلها حتى تأذن له، فأذن له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: أما إذا أذن لك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجز الآن. فدخل فلم يلبث إلا أياماً قلائل، بل حتى اشتكى ومات، وفي رواية قال لأبيه والله لا يدخل المدينة أبداً حتى يقول: رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (الأعزُّ وأنا الأذل)⁽⁴⁾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَمْوَالُكُمْ وَلَا ءَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿١٠﴾ وَأَنْفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصّٰلِحِينَ ﴿١١﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾

أمر تعالى عباده المؤمنين بكثرة ذكره، ونهيهم أن يشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك وأخبرهم أنه من التهي بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه

(1) لم أقف عليه في كتب التخرّيج، ووقفت عليه في كتب السيرة النبوية لابن هشام (292/2).

(2) عكرمة أبو عبد الله القرشي مولاهم العلامة الحافظ المفسر أبو عبد الله مولاهم المنيني البربري قيل: كان لحصين ابن أبي الحر العنبري فوهبه لابن عباس حدّث عن ابن عباس، وعائشة، (ت 105هـ)، سير أعلام النبلاء (11/9).

(3) ينظر: جامع البيان (22/669، 670)، وتفسير ابن كثير (132/8).

(4) أخرجه ابن الحميدي في مسنده (3/475) حديث رقم (1299)، والإمام أحمد في مسنده (2/520) حديث رقم (1240).

وذكره، فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ثم حثهم على الإنفاق في طاعته.

وقال: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي ﴾ أي: هلاً أمهلتي يسأل الرجعة.

﴿ إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ أي: أزكي مالي وأكن من المؤمنين، والمراد بالصلاح هنا الحج، قاله بن عباس⁽¹⁾ وكلُّ مفرط يندم عند الاحتضار ويسأل طول المدّة ولو شيئاً يسيراً ليتدارك ما فاتته وهيهات هيهات، وما فات ليس بآت، وكلُّ بحسب تفريطه، أمّا الكفار فكما قال تعالى: ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ ۖ أَوْ لَمْ نَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴾⁽²⁾، وقال تعالى ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۖ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٢﴾ ﴾⁽³⁾، ثم قال تعالى: ﴿ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾.

ثم قال - تعالى - أي: لا ينظر الله ولا يمهل أحداً بعد حلول أجله، وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقاً في قوله وسؤاله ممن لو ردّ لعاد إلى شرٍّ مما كان عليه ولهذا قال: ﴿ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

وعن أبي الدرداء⁽⁴⁾ قال: ذكرنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الزيادة في العمر فقال: (إن الله لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها، وإنما الزيادة في العمر أن يرزق الله العبد نزيةً سالحة يدعون له فيلحقه دعاءهم في قبره) رواه ابن حاتم⁽⁵⁾.

(1) ينظر: جامع البيان (672/2)، والبعوي في معالم التنزيل (134/8).

(2) سورة إبراهيم الآية/44.

(3) سورة المؤمنون الآية/100.

(4) تقدمت ترجمته .

(5) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (3174/10)، وضعفه الألباني، في صحيح وضعيف الجامع الصغير

وزيادته، حديث رقم (1671).

تفسير سورة التغابن

وهي مدنية

عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ما من مولود يولد إلا مكتوب في تشبيك رأسه خمس آيات من سورة التغابن) حديث ضعيف رواه ابن عساكر في تاريخه (1).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾

هذه السورة هي المسبحات، وقد سبق الكلام على تسبيح المخلوقات لبارئها ومالكها، ولهذا قال: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ أي: هو المتصرف في جميع الكائنات المحمود على جميع ما يخلقه ويقدره، وقوله: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: مهما أراد كان بلا ممانع ولا مدافع، وما لم يشأ لم يكن.

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ أي: هو الخالق لكم على هذه الصفة وأراد منكم ذلك فلا بد من وجود مؤمن وكافر، وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الإضلال، وهو شهيد على أعمال عباده، وسيجزئهم بها أتم الجزاء.

ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ثم قال: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالعدل والحكمة، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ أي: أشكالكم.

وقوله: ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع والمآب. ثم أخبر تعالى عن علمه بجميع الكائنات السمائية والأرضية والنفسية فقال: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

(1) رواه ابن عساكر في تاريخه (150/63)، والطبراني في المعجم الأوسط (119/4)، حديث رقم (1763)، وابن حبان في سننه (81/3).

وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦٠﴾.

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾
 ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرًا يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا
 وَأَسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾.

أخبر - تعالى - عن الأمم الماضية، وما حلَّ بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل والتكذيب بالحق فقال: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: خبرهم وما كان من أمرهم ﴿ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾ أي: وخيم تكذيبهم ورديء أفعالهم، وهو ما حلَّ بهم في الدنيا من العقوبة والخزي، ولهم مضافا إلى ذلك عذابٌ أليم في الآخرة.

ثم علل فقال: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ أي: بالحجج والدلائل والبراهين القاطعات ﴿ فَقَالُوا أَبَشَرًا يَهْدُونَنَا ﴾ أي: استبعدوا أن تكون الرسالة في البشر، وأن يكون هداهم على بشر مثلهم ﴿ فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا ﴾ أي: كذبوا بالحق ونكلوا عن العمل وأعرضوا عن الانقياد ﴿ وَأَسْتغْنَى اللَّهُ ﴾ أي: عنهم وعن طاعتهم ﴿ وَاللَّهُ غَنِيٌّ ﴾ أي: عن خلقه ﴿ حَمِيدٌ ﴾ في أفعاله.

﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ ﴿ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالشُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنِ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾.

أخبر - تعالى - عن المشركين والكفار والملحدين أنهم يزعمون أنهم لا يبعثون ولا ينشرون: ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾ أي: لتخبرن بجميع أعمالكم جليلها وحقيرتها ﴿ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ أي: بعثكم ومجازاتكم على الله هين وسهل، وهذه

الآية الثالثة التي أمر رسوله عليه - الصلاة والسلام - أن يقسم بربه على وقوع المعاد ووجوده فالأولى في سورة يونس: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (1) والثانية في سورة سبأ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (2) والثالثة هي هذه: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

ثم قال: ﴿فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ يعني: القرآن ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (3) أي: فلا يخفى عليه من أعمالكم خافية.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ وهو يوم القيامة سمي بذلك لأنه يجمع فيه الأولون والآخرين في صعيد واحد يسمعون الداعي وينفذهم البصر.

كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ (4).

وقوله: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّعَابِنِ﴾ قال ابن عباس: هو من أسماء يوم القيامة، وذلك أن أهل الجنة يغبنون أهل النار (4)، وكذلك قال قتادة ومجاهد. وقال مقاتل بن حيان (5): لاغبين أعظم من أن يدخل هؤلاء إلى الجنة، ويذهب بأولئك إلى النار.

قال الشيخ - رحمه الله -: وقد فسر ذلك بقوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (6) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبئس ألمصير ﴿ سبق تفسير مثله غير مرّة.

(1) سورة يونس الآية/35.

(2) سورة سبأ الآية/3.

(3) سورة هود الآية/103.

(4) فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه من أسماء يوم القيامة، الثاني: لأنه غبن فيه أهل الجنة أهل النار، الثالث: لأنه يوم

غبن فيه المظلوم الظالم لأن المظلوم كان في الدنيا مغبوناً فصار في الآخرة غائباً، النكت والعيون (23/6).

(5) سبقت ترجمته.

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

أخبر - تعالى - بما أخبر به في سورة الحديد ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾⁽¹⁾ قال ههنا: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ قال ابن عباس: بأمر الله يعني: قدره ومشينته وقضائه⁽²⁾، ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ وعوضه عما فاته في الدنيا هدىً في قلبه ويقينا صادقا، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيرا منه، وقال ابن عباس: أي: يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه⁽³⁾، وقيل: معناه يسترجع يقول: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ وفي الحديث المتفق عليه: «عجبا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته ضراء صبرفكان خيرا له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن»⁽⁴⁾.

وقوله: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ أمر بطاعته ورسوله فيما شرع وفعل ما به أمر، وترك ما نهى عنه وزجر، ثم قال: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ أي: إن نكلتم عن العمل فإنما عليه ما حمل من البلاغ وعليكم ما حملتم من السمع والطاعة، قال الزهري: من الله الرسالة، ومن الرسول البلاغ، وعلينا التسليم⁽⁵⁾، ثم قال مخبرا أنه الأحد الصمد الذي لا إله غيره فقال: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ فالأول خبر عن التوحيد ومعناه الطلب أي: وحدوا الإلهية، له وأخلصوا العبادة لديه، وتوكلوا عليه، كما قال: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ .

(1) سورة الحديد الآية/22 .

(2) معالم التنزيل (142/8)، وتفسير ابن كثير (138/8) .

(3) فيه أربع تأويلات أحدها: معناه يهدي قلبه الله تعالى، الثاني ك أنه يعلم أنه من عند الله ويرضى وبسلم، قاله بشير، الثالث: أن يسترجع فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، الرابع: هو إذا ابتلى صبر وإذا أنعم عليه شكر وإذا أظلم غفر، قاله الكلبي. ينظر: النكت والعيون (23/6) .

(4) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، حديث رقم (7692).

(5) جامع البيان (13/23)، وتفسير ابن كثير (138/8) .

إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ (1).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِنْ تَقَرَّضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾.

أخبر - تعالى - عن الأزواج والأولاد أن منهم عدو الزوج والوالد، بمعنى أن يشتغل به عن العمل الصالح، كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١﴾﴾ (2)، ولهذا قال ههنا: ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾ أي: على دينكم، قال مجاهد: يعني: يحمل الرجل على قطيعة الرحم أو معصية ربه فلا يستطيع مع حبه إلا أن يطيعه (3)، وعن ابن عباس سأله رجل عن هذه الآية ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ قال هؤلاء أسلموا بمكة، فأرادوا أن يأتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأبى أولادهم وأزواجهم أن يدعوهم.

فلما أتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا أن يعاقبوا، فأنزل الله هذه الآية ﴿وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ كذا رواه الترمذي وصححه (4).

وقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: اختبار وابتلاء من الله لخلقه ليعلم من يطيعه ممن يعصيه.

(1) سورة المزمل الآية/9.

(2) سورة المنافقون الآية/9.

(3) على وجهين أحدهما: فاحذروهم على دينكم، قاله ابن زيد، والثاني: على أنفسكم: وهو محتمل، النكت والعيون (25/6)، وتفسير الإمام مجاهد (662).

(4) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة التغابن، حديث رقم (3634)، وصححه الترمذي، ووافقه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، حديث رقم (3317).

وقوله: ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ كما قال: ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَبْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرِثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبِإِ ﴾ (١) وعن بُريدة قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخطب فجاء الحسن والحسين - رضي الله عنهما - وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المنبر وحملهما فوضعهما بين يديه فقال: «صدق الله ورسوله ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما» رواه أحمد وأهل السنن والترمذي (2)، وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «الولد ثمرة القلب، وإنهم مجبنة مبجلة محزنة» رواه الحافظ البزار (3).

وقوله: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ أي: جهدكم وطاقتكم.

كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه) (4) قال بعضهم أن هذه الآية ناسخة للتي في آل عمران وهي قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٣) فإنها لما نزلت اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقبيهم وتقرحت جباههم، فأنزل الله تخفيفاً على المسلمين ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ فنسخت تلك الآية (5).

(1) سورة آل عمران الآية/14 .

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (100/38)، حديث رقم (22996)، وأبو داود في سننه، كتاب الجمعة، باب الإمام يقطع الخطبة، حديث رقم (1109)، والترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين، حديث رقم (3774)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب الجمعة، باب نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة، حديث رقم (1585)، وابن ماجه في سننه، كتاب اللباس، باب لبس الحمر للرجال، حديث رقم (3600). وصححه الترمذي، ووافقه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (7205).

(3) أخرجه البزار في مسنده (247/2)، حديث رقم (1797)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (13116).

(4) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم (7288)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب توقيره وترك إكثار سؤاله، حديث رقم (1337).

(5) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (3358/10).

وعن أبي العالية⁽¹⁾ وغير واحد من السلف نحو ذلك، وقوله: ﴿وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ أي: كونوا منقادين لما يأمركم الله به ورسوله، ولا تميلوا عنه يمنةً ولا يسرةً، ولا تقدموا بين يدي الله ورسوله ولا تتخلفوا عما أمرتم، ولا تتركبوا ما عنه رُجرتم. وقوله: ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ﴾ أي: وأبدلوا مما رزقكم الله على الأقارب وذوي الحاجات وأحسنوا إلى خلق الله كما أحسن إليكم، يكن خيراً لكم في الدارين، وإن لا تفعلوا يكن شراً لكم في الدنيا والآخرة وقوله ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ سبق تفسيره في سورة الحشر⁽²⁾، مع الأحايث المناسبة له بما يغني عن إعادته هنا.

وقوله: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا أَللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضْعِفُهُ لَكُمْ﴾ أي: مهما أنفقتم من شيء فهو يخلفه، ومهما تصدقتم من شيء فعليه جزاءه ونزل ذلك منزلة القرض كما ثبت في الصحيح أن الله - تعالى - يقول: «من يقرض غير ظلوم ولا عدوم»⁽³⁾ ولهذا قال: ﴿يُضْعِفُهُ لَكُمْ﴾ كما سبق في سورة البقرة، ﴿فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَأَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْضُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. وقوله: ﴿وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ أي: ويكفر عنكم السيئات، ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾ أي: مجاز على القليل بالكثير ﴿حَلِيمٌ﴾ أي: يصفح ويغفر ويستر ويتجاوز عن الذنوب، والزلات والخطايا والسيئات، ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ سبق تفسيره غير مرة والله أعلم.

(1) أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي البصري، الإمام المقرئ الحافظ المفسر، أبو العالية الرياحي، البصري أحد الأعلام كان مولى لامرأة من بني رياح بن يربوع، ثم من بني تميم، أدرك زمان النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو شاب وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق ودخل عليه، وسمع من عمر (ت 90هـ). سير أعلام النبلاء (231/7).

(2) في الآية 9.

(3) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر من آخر الليل، حديث رقم (1811).

تفسير سورة الطلاق

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْضُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ .

خاطب النبي - عليه الصلاة والسلام - أولاً تشريفاً وتكريماً، ثم الأمة تبعاً، عن أنس طلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حفصة فأنتت إلى أهلها فأنزل الله: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ فقيل له: راجعها فإنها صوامة قوامة، وهي من أزواجك ونسائك في الجنة). رواه ابن جرير وابن أبي حاتم (1).

كما ورد من غير وجه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طلق حفصة ثم راجعها.

وفي الصحيحين أن عبد الله بن عمر طلق امرأة له، وهي حائض، فذكر عمر لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتغيظ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منه ثم قال له: « ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسه، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء» (2) قال ابن عمر: وقرأ النبي - صلى الله عليه وسلم -: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ وقوله: ﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ قال ابن مسعود: وغير واحد: أي: الطهر من غير جماع، وقال ابن عباس: أي: لا يطلقها وهي حائض، ولا في طهر قد جامعها فيه، ولكن يتركها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة (3).

(1) رواه الطبري في تفسيره (30/23) ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (3359)، حسنه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (780/1) حديث رقم (7800).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب سورة الطلاق، حديث رقم (4625)، ومسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها، حديث رقم (1471).

(3) ينظر: جامع البيان (22/23)، ومعالم التنزيل (147/8)، وتفسير ابن كثير (143/8).

وقال عكرمة: ﴿ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ العدة: الطهر، والقرء: الحيضة أن يطلقها حبلى مستبيناً حملها ولا يطلقها وقد طاف عليها ولا يدري حبلى أم لا⁽¹⁾، ومن ههنا أخذ الفقهاء أحكام الطلاق، وقسموه إلى طلاق سنة وطلاق بدعة، فطلاق السنة: أن يطلقها طاهراً من غير جماع، أو حاملاً قد استبان حملها، والبدعي: هو أن يطلقها في حال الحيض أو في طهر قد جامعها فيه ولا يدري أحملت أم لا؟ وطلاق ثالث لا سنة فيه ولا بدعة: وهو طلاق الصغيرة والآيسة وغير المدخول بها، وموضع بسطه كتب فقه الفروع والله أعلم.

وقوله: ﴿ وَأَحْضُوا الْعِدَّةَ ﴾ أي: احفظوها واعرفوا ابتداءها وانتهاءها، لنلا تطول العدة على المرأة فتمتنع من الأزواج ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ أي: في ذلك.

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ ﴾ أي: مدة العدة لها حق السكنى على الزوج ما دامت معتدة منه، فليس للزوج أن يخرجها ولا يجوز لها الخروج لأنها معتقلة لحق الزوج أيضاً.

وقوله: ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ ﴾ أي: لا يخرجن من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة مبينة فتخرج من المنزل والفاحشة المبينة، يشمل الزنا.

كما قال ابن مسعود وابن عباس وكثير أئمة التابعين، أنها تخرج حينئذ لإقامة الحد ويشمل ما إذا نشزت أو بذت على أهل الرجل وأذنتهم في الكلام والفعال⁽²⁾، كما قال أبي بن كعب وغير واحد.

وقوله: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ أي: شرائعه ومحارمه ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ ﴾ أي: ومن يخرج عنها ويتجاوزها إلى غيرها ولا ياتمر بها، ﴿ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ أي: بفعل ذلك.

(1) يعني: في طهر من غير جماع، وهو طلاق السنة، وفي اعتبار العدد في طلاق السنة قولان: أحدهما أنه معتبر وإن من السنة أن يطلق في كل قرء واحدة فإن طلقها ثلاثاً معاً في قرء كان طلاق بدعة، وهذا قول أبي حنيفة ومالك رحمهما الله، الثاني: أنه غير معتبر وأن السنة في زمان الطلاق لا في عدده فإن طلقها ثلاثاً في قرء كان غير بدعة قاله الشافعي رحمه الله، وإن طلقها حائضاً أو في طهر جماع كان بدعة. النكث والعيون (29/6).

(2) ينظر: الدر المنثور (534/14)، ومعالم التنزيل (150/8).

وقوله: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ أي: إنّما أبقينا المطلقة في منزل الزوج في مدة العدة لعلّ الزوج يندم على طلاقها ويلقي الله في قلبه الميل إليها ومراجعتها فيكون ذلك أيسر وأسهل، قالت فاطمة بنت قيس⁽¹⁾: هو الرجعة وبه قال آخرون.

ومن ههنا ذهب بعض السلف ومن تابعهم كالإمام أحمد إلى أنه لا يجب السكنى للمبتوتة؛ وكذا للمتوفى عنها زوجها⁽²⁾، معتمدين على حديث فاطمة بنت قيس حين طلقها زوجها أبو عمر بن حفص آخر ثلاث تطليقات وكان غائباً عنها باليمن، فأعلمها بذلك فأرسل إليها وكيله بشعير يعني: نفقته فسخطه، فقال: والله ليس لك علينا نفقه، فانت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «ليس لك عليه نفقة ولا سكنى» وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك، ثم قال: «تلك امرأة يغشاها أصحابي اعتدي عند أم مكتوم، فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك»⁽³⁾، الحديث وفي رواية لأحمد قالت: فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت إنّ فلانا طلقني ومنعني السكنى والنفقة.

فقال له: «ما لك ولابنة آل قيس». قال: يارسول الله إن أخي طلقها ثلاثاً جميعاً. قالت: فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «انظري يا بنت آل قيس إنّما النفقة والسكنى للمرأة على زوجها ما كانت له عليها رجعة، فإذا لم يكن عليها رجعة فلا نفقة ولا سكنى اخرجي فانزلي على فلانة» ثم قال: «إنه يتحدث إليها انزلي على ابن أم مكتوم فإنه أعمى لا يراك»⁽⁴⁾ وذكرت تمام الحديث، وروى النسائي نحوه.

(1) فاطمة بنت قيس بن خالد الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن فهر القرشية الفهرية أخت الضحاك بن قيس كانت من المهاجرات الأوائل وهي التي طلقها أبو حفص بن المغيرة فأمرها رسول الله: أن تعتد في بيت أم مكتوم وتزوجها أسامة بن زيد. أسد الغابة (400/3).

(2) ينظر: جامع البيان (38/23).

(3) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاث لا نفقة لها، حديث رقم (1480)، والإمام مالك في الموطأ، كتاب الطلاق، باب ماجاء في نفقة المطلقة، حديث رقم (1210) والإمام أحمد في مسنده، (73/6) حديث رقم (27145).

(4) سبق تخريجه.

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٥﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٦﴾ ﴾.

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ أي: شارفن على انقضاء عدتهن وقاربن ذلك ولكن لم تفرغ العدة بالكلية، فحينئذ إما أن يعزم الزوج على إمساكها وهو رجعتها إلى عصمة نكاحه والإستمرار بها على ما كانت عليه عنده بمعروف؛ أي: محسناً إليها في صحبتها، وإما أن يعزم على مفارقتها بمعروف، أي: بلا مقابحة ولا مشاتمة ولا تعنيف بل يطلقها على وجه جميل وسبيل حسن.

وقوله: ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ أي: على الرجعة إذا عزمتم عليها قال عطاء: لا يجوز في نكاح ولا طلاق ولا رجاء إلا شاهد عدل كما قال تعالى: (إلا أن يكون من عذر).

وقوله: ﴿ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ أي: هذا الذي أمرناكم به من الإشهاد وإقامة الشهادة إنما ياتمر به من يؤمن بالله. ومن ههنا ذهب الشافعي في أحد قوليه إلى وجوب الإشهاد في الرجعة كما يجب عنده في ابتداء النكاح⁽¹⁾، وبه قال طائفة من العلماء فلا يصح الرجعة إلا بالقول والإشهاد عليها، وقوله: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ أي: ومن يتق الله فيما أمره به وترك ما نهى عنه يجعل له من أمره مخرجاً ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ أي: من جهة لا يخطر على باله.

وعن أبي ذر قال: جعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتلو عليّ هذه الآية ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٥﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ حتى فرغ من الآية قال (يا أبا ذر لو أن الناس أخذوا بها كفتهم فجعل يتلوها ويردها عليّ حتى نعست)، رواه أحمد⁽²⁾.

(1) جامع البيان (42/23)، تفسير ابن كثير (146/8).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (436/35)، حديث رقم (21551)، وضعفه الألباني في الترغيب والترهيب، حديث رقم (1056).

وعن ابن مسعود قال: إن أجمع آية في القرآن فرجاً، ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ وقال ابن عباس: أي: ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة⁽¹⁾، وقال الربيع: أي: من كل شيء ضاق على الناس⁽²⁾، وقال قتادة: أي: من شبهات الأمور والكرب عند الموت، ويرزقه من حيث لا يرجو ولا يأمل.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من أكثر من الاستغفار يجعل الله له من كل همّ فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب) رواه أحمد⁽³⁾.

قال ابن إسحاق: جاء مالك الأشجعي⁽⁴⁾ إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له: أسر ابني عوف، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أرسل إليه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأمر أن تكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله)⁽⁵⁾ وكانوا قد شدّوه بالقدّ فسقط القدّ عنه فخرج فإذا هو بناقة لهم فركبها وأقبل، فإذا بسرج القوم الذين شدّوه فصاح بها فاتبع أولها آخرها فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادي بالباب فقال أبوه: عوف وربّ الكعبة! فقالت أمه: واسوأته وعوف كيف يقدم علينا لما هو فيه من القدّ؟ فاستبقا الباب والخادم فإذا هو عوف قد ملأ الفناء إبلاً، فقصّ على أبيه أمره وأمر الإبل، قال أبوه: ففأ حتى أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأسأله عنها فأتاه فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «اصنع بها ما أحببت، وما كنت صانعا بمالك ونزل ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾» رواه ابن أبي حاتم⁽⁶⁾.

(1) فيه أقاويل أحدها: أي: ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة، قاله ابن عباس الثاني: أن المخرج من علمه بأنه من قبل الله، فإن الله هو الذي يعطي ويمنع قاله مسروق. الثالث: مخرجاً من الباطل إلى الحق، ومن الضيق إلى السعة. قاله ابن جريج. النكت والعيون (31/6).

(2) ينظر: معالم التنزيل (1519/8)، والدر المنثور (537/14).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (104/4)، حديث رقم (2234)، والنسائي في السنن الكبرى، باب ثواب ذلك، حديث رقم (19290)، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (12249).

(4) عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي، صاحب جليل، يكنى أبا عبد الرحمن، ويقال أبو حماد، أول مشاهده خير، وكان معه راية أشجع يوم الفتح، سكن الشام، روى عنه من الصحابة أبو أيوب الأنصاري، وأبو هريرة، توفي بدمشق سنة (73هـ)، أسد الغابة (381/2).

(5) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (3360)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب، حديث رقم (972).

(6) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (3360)، وابن كثير في تفسيره (147/8).

وقوله: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ عن ابن عباس أنه ركب يوماً خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يا غلام إنني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف» رواه أحمد والترمذي وصححه⁽¹⁾.

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من نزل به حاجة فأنزلها بالناس كان قمناً أن لا تسهل حاجته، ومن أنزلها بالله تعالى آتاه الله برزق عاجل أو بموت آجل» رواه أحمد⁽²⁾.

وقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ﴾ أي: منفذ قضاياه وأحكامه في خلقه بما يريد به ويشاؤه ﴿ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ أي: جعل من كل شيء من الشدة والرخاء أجلاً ينتهي إليه.

﴿ وَالَّتِي يَبْسُنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أُرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾ ﴾.

بين الله عدة الآيسة وهي التي انقطع عنها المحيض لكبرها أنها ثلاثة أشهر عوضاً عن الثلاثة قروء في حق من تحيض كما دلت عليه آية البقرة، وكذا الصغيرة التي لم تبلغ سن الحيض ؛ أن عدتها عدة الآيسة ثلاثة أشهر.

ولهذا قال: ﴿ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ ﴾ وقوله: ﴿ إِنْ أُرْتَبْتُمْ ﴾ فيه قولان: أحدهما:

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (887/4) حديث رقم (2763)، والترمذي في سننه، باب النبي - صلى الله عليه وسلم - يا حنظلة ساعة وساعة، حديث رقم (2706)، وصححه الترمذي، ووافقه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (13917).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (2249/6)، حديث رقم (3693) إسناده (حسن) مسند الصحابة في الكتب التسعة (26/26).

أي: إن رأين دماً وشككتن في كونه حيضاً واستحاضة وهو قول مجاهد والزهري، والثاني: شككتن في حكم عدتتهن ولم تعرفوه فهو ثلاثة أشهر يروى هذا عن ابن جبير⁽¹⁾ وهو اختيار ابن جرير، وهو أظهر في المعنى.

كما قال أبي بن كعب⁽²⁾ يارسول الله إنَّ عِدَّةَ من عِدَّةِ النِّسَاءِ لم تذكر في الكتاب الصغار والكبار وأولات الأحمال، قال فأنزل الله عزوجل ﴿وَالَّتِي يَبْسُنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أُرْتَبِتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ رواه ابن جرير وقوله: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ﴾ أي: ومن كانت حاملاً عدتها بوضعه، ولو كان بعد الطلاق أو يموت الزوج بفوق ناقة في قول الجمهور، كما هو نص هذه الآية، وكما وردت به السنة.

وقد روي عن علي وابن عباس - رضي الله عنهما - أنهما ذهبا في المتوفى عنها زوجها أنها تعتد بأبعد الأجلين من الوضع والأشهر عملاً بهذه الآية والتي في سورة البقرة. وقد روى أبو سلمة⁽³⁾ قال: جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة جالس فقال: أفنتي في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة، فقال ابن عباس: من آخر الأجلين، قلت أنا: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ قال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي يعني: أبا سلمة، فأرسل ابن عباس غلامه كريياً⁽⁴⁾ إلى عائشة يسألها فقالت: قتل زوج سبيعة الأسلمية وهي حبلى فوضعت بعد موته بأربعين ليلة، فخطبت فأنكحها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان أبو السنابل⁽⁵⁾ فيمن خطبها، هكذا في

(1) جامع البيان (49/23)، النكت والعيون (32/6)، وتفسير الإمام مجاهد (663).

(2) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن النجار واسمه تيم اللات، وقيل: تيم الله بن ثعلبة بن عمرو الخزرج الأكبر الأنصاري وأمُّ أبي صهبيلة بنت الأسود بن حرام بن عدي كناه النبي - صلى الله عليه وسلم - بها شهد العقبة وبدراً روى عنه عبادة بن الصامت وابن عباس، (ت 21 هـ). أسد الغابة (30/1).

(3) أبو سلمة بن عبد الأسد هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، اسمه عبد الله بن عبد الأسد، أمه بنت بزة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فهو بن عم النبي وهو أحد الذين هاجروا إلى الحبشة شهد بدراً وجرح بأحد جرحا اندمل فمات منه في جمادى الآخر، (ت 3 هـ). أسد الغابة (190/3).

(4) كريب بن أبي مسلم والد رشدين بن كريب مولى ابن عباس مديني، روى عن ابن عباس ومعاوية وميمونة وأم سلمة (ت 98 هـ). الجرح والتعديل (168/7).

(5) أبو السنابل بن بعكك بن الحارث بن عبد الدار كذا نسبه عمرو، بن الكلبي، هو أبو السنابل بن بعكك بن الحارث بن عميلة بن السباق واسمه عمر وأمها بنت أوس العذرية أسلم في الفتح وهو من المؤلفات قلوبهم وكان شاعراً سكن الكوفة. أسد الغابة (192/3).

(الصحيحين)⁽¹⁾. وفيهما عن المسور بن مخرمة⁽²⁾. أن سبيعة الأسلمية توفي عنها زوجها فلم يمكث إلا ليالي حتى وضعت، فلما تعلت من نفاسها خُطبت، فاستأذنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في النكاح فأذن لها أن تتكح ففكحت.

وقوله: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ أي: يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة، ثم قال: ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي: ما ذكر من الأحكام، ﴿ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ أي: حكمه وشرعه ﴿ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ ﴾ بواسطة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ أي: ويذهب عنه المحذور ويجزل له الثواب على العمل اليسير.

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَكُنَّ لَهُنَّ أَجُورُهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمَ فَسَرِّضُوا لَهُنَّ آخَرَى ۗ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾.

أمر - تعالى - عباده إذا طلق أحدهم امرأته أن يسكنها في منزل حتى تنتقضي عدتها فقال: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ ﴾ أي: عندكم من وجدكم، قال ابن عباس وغير واحد: يعني: سعتكم. حتى قال قتادة: إن لم تجد جنب بيتك فأسكنها فيه⁽³⁾، وقوله: ﴿ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ ﴾ أي: لا تؤذونهن ﴿ لِضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ﴾ قال

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ حديث رقم (4909).

(2) المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهييب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري أبو عبد الرحمن له صحبة وأمه عاتكة بنت عوف أخت عبد الرحمن بن عوف ولد بمكة بعد الهجرة بسنتين وكان فقيها من أهل العلم والدين وأقام بالمدينة إلى أن قتل عثمان ثم سار إلى مكة فلم يزل بها حتى قتل معاوية ثم قتل المسور بحجر منجنيق وهو يصلي في الحجر سنة أربع وستين. أسد الغابة (14/3).

(3) يعني: مطلقاً نساتكم أي: أسكنوهن حيث سكنتم، وإذا كان موسراً يوسع عليها في السكن والنفقة، وإن كان فقيراً فعلى قدر الطاقة. والمعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى ما دامت في العدة ونعني بالسكنى مؤنة السكنى، فإن كانت الدار التي طلقها فيها ملكاً للزوج يجب على الزوج أن يخرج ويترك لها مدة عدتها، معالم التنزيل (154/8). وتفسير ابن كثير (152/8).

مقاتل بن حيان⁽¹⁾: يعني: لا تضاجرها لتقتدي بما لها أو تخرج من مسكنه⁽²⁾.

وقال الضحاك: هو أن يطلقها فإذا بقي يومان راجعها وقوله: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ﴾ قال ابن عباس وغير واحد: المرأة البائن إن كانت حاملاً أنفق عليها حتى تضع حملها⁽³⁾، بدليل أن الرجعية تجب نفقتها سواء كانت حاملاً أو حائلاً، وقال آخرون: بل السياق كله في الرجعيات وإنما نصّ على الإنفاق على الحامل، وإن كانت رجعية، لأن الحمل يطول مدته غالباً فاحتيج إلى النص على وجوب الإنفاق إلى الوضع لئلا يتوهم إنما يجب النفقة بمقدار هذه العدة، ثم اختلفوا هل النفقة لها بواسطة الحمل أو للحمل وحده؟ على قولين منصوصين للشافعي.

وقوله: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أي: إذا وضعن حملهن وهنّ طوالق وانقضت عدتهنّ فلها حينئذ أن ترضع الولد وأن تمتنع منه، ولكن بعد أن تغذيه باللبأ، وهوباكورة اللبن الذي لا قوام للولد غالباً إلاّ به، فإن أرضعت استحققت أجره مثلها، ولها أن تعاقد أباه أو وليه على ما يتفقا عليه من أجره، ولهذا قال ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَعَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾.

وقوله: ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: وليكن أموركم فيما بينكم بالمعروف من غير إضرار ولا نقصان ولا مضارة كما قال في سورة البقرة: ﴿لَا تَضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدَيْهِ﴾⁽⁴⁾.

وقوله: ﴿وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمُ﴾ أي: واختلف الرجل والمرأة فإن طلبت المرأة في أجره الرضاع كثيراً ولم يجبهها الرجل إلى ذلك أو بذل الرجل قليلاً ولم توافقه عليه فليسترضع له غيرها، فلو رضيت الأم بما استوجرت به الأجنبية فهي أحق بولدها⁽⁵⁾.

وقوله: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ أي: لينفق على المولود والده أو وليه بحسب قدرته ﴿وَمَنْ قُدِرَ﴾ أي: ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ من المال

(1) سبق ترجمته.

(2) فيه قولان: أحدهما في المساكن، قاله مجاهد. الثاني: لتضييقوا عليهن في النفقة، قاله مقاتل. النكت والعيون (34/6)،

جامع البيان (61/23)، قال الطبري يعني: لتضييقوا عليهن في المسكن مع وجودكم السعة.

(3) ينظر: جامع البيان (62/23)، وتفسير ابن كثير (153/8).

(4) سورة البقرة الآية/233.

(5) ينظر: جامع البيان (76/23)، والنكت والعيون (35/6).

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَتْهَا﴾ هو كقوله ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾⁽¹⁾، وعن أبي مالك الأشعري، واسمه الحارث قال: سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاثة نفر كان لأحدهم عشرة دنائير فتصدق منها بدينار، وكان لآخر عشر أواق قد تصدق منها بأوقية، وكان لآخر مائة أوقية فتصدق منها بعشر أواق، فقال: رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «هم في الأجر سواء كلُّ قد تصدق بعشر ماله» قال الله: ﴿يُنْفِقُ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ هذا الحديث غريب رواه الطبراني⁽²⁾.

وقوله: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ وعدُّ منه تعالى ووعدُه حقُّ وهو لا يخلفه أي: بعد ضيقٍ وثقَّةٍ غنيٌّ وسعةٌ وهو كقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ﴾⁽³⁾.

وعن أبي هريرة قال: دخل رجل فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى البرية، فلما رأت امرأته ذلك قامت إلى الرحي فوضعتها وإلى التنور فسجرتة، ثم قالت: اللهم ارزقنا، فإذا الجفنة قد امتلأت قالت: وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئاً قال: فرجع الزوج وقال: أصبتم بعدي شيئاً قالت امرأته: نعم من ربنا فأمم إلى الرحي فرفعها واستخرجت المرأة ما في التنور فذكر ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «أما إنه لو لم ترفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة» رواه أحمد⁽⁴⁾.

﴿وَكَايِنٍ مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّ بِنَهَا عَذَابًا نُكْرًا ۖ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۖ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۖ رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنِ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

(1) سورة البقرة، الآية/ 286.

(2) رواه الطبراني في المعجم الكبير (292/3) حديث رقم (3440)، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (452/2) حديث رقم (3449).

(3) سورة الشرح الآية/6

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (513/2) حديث رقم (10709)، وضعفه الألباني في سلسلة الضعيفة والموضوعة، (680/11)، حديث رقم (5406).

خَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿٦﴾.

توعد الله لمن خالف أمره وكذب رسله وسلك غير ما شرعه مخبراً عما حلّ بالأمر السالفة بسبب ذلك فقال: ﴿وَكَايِنٍ مِّن قَرِيْبَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ أي: تمردت وطغت واستكبرت عن اتباع أمر الله ومتابعة رسله ﴿فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَهَا عَذَابًا نُكْرًا﴾ أي: منكرًا فظيماً ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ أي: جزاءه وثقل عاقبة أمرها وتبعته وندموا حيث لا ينفع الندم ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ في الدارين ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أي: في الآخرة مع ما عجل لهم في الدنيا، ثم قال بعد ما قص من خبر هؤلاء: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: الأفهام المستقيمة، لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم. ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: صدقوا الله ورسله ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ يعني: القرآن كقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١).

وقوله: ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ قال بعضهم رسولاً منصوب على أنه بدل اشتمال وملابسة لأن الرسول هو الذي بلغ الذكر، وقال ابن جرير: الصواب أن رسولاً ترجمة عن الذكر؛ يعني: تفسيراً له (2).

ولهذا قال: ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ أي: في حال كونها بيّنة واضحة جليّة ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: من الكفر إلى الإيمان.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنِ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ قد سبق تفسير مثل هذا غير مرّة بما أغنى عن إعادته ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (٣).

أخبر - تعالى - عن قدرته التامة وسلطانه العظيم؛ ليكون ذلك باعثاً على تعظيم ما شرع من الدين القويم فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ كقوله إخباراً

(1) سورة الشرح الآية/6

(2) ينظر: جامع البيان (76/23).

عن نوح أنه قال لقومه: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ (1).
وقوله: ﴿ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ أي: سبعا أيضاً.

كما ثبت في الصحيحين: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوّقه من سبع أراضين» (2) أي: عددا بطبقاتها ومن حمل على سبع أقاليم فقد أبعد النجعة، وخالف الكتاب والسنة، وقد سبق في تفسير سورة الحديد ذكر الأراضين السبع وبعد ما بينهنّ، وكثافة كل واحدة منهنّ، هكذا عن ابن مسعود وغيره، وقال ابن عباس: لوحدثتكم بتفسيرها لكفرتم، وكفركم تكذيبكم بها. رواه ابن جرير (3).

وقال ابن عباس أيضاً: سبع أرضين في كلّ أرض نبي كنبىكم، وآدم كآدم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسى كعيسى، رواه البيهقي (4).

وفي كتاب الأسماء والصفات، وفي كتاب "التفكر والاعتبار" لأبي بكر بن أبي الدنيا مرسلاً أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انتهى إلى أصحابه وهم سكوت لا يتكلمون فقال: «ما لكم لا تتكلمون؟» فقالوا: نتفكر في خلق الله تعالى قال: «فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه، فإن بهذا المغرب أرضاً بيضاء نورها بياضها - أو قال: بياضها نورها - مسيرة الشمس أربعين يوماً فيها خلقٌ من خلق الله لم يعصوا الله طرفة عين أبداً قط». قالوا: فأين الشيطان منهم، قال: «لا يدرون خلق آدم أم لم يُخلق»، قالوا من ولد آدم، قال: «ما تدرون خلق آدم أم لم يخلق» وهذا الحديث غريب جداً (5) والله أعلم .

(1) سورة نوح الآية/15.

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب المظالم، باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض، حديث رقم (2321)، ومسلم في صحيحه، كتاب البيوع، باب تحريم الظلم وغصب الأرض، حديث رقم (1612).

(3) ينظر: جامع البيان (79/23)، والنكت والعيون (36/6).

(4) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (370/2)، حديث رقم (799)، والحاكم في المستدرک (535/2) حديث رقم (3822)، وصححه الذهبي في التلخيص.

(5) رواه ابن كثير في تفسيره، وضعّفه الحافظ ابن كثير، ووافقه الألباني، في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (6220).

تفسير سورة التحريم

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ مُحَرَّمٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتَّغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (1) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَانِكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (2) وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (3) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (4) عَسَىٰ رَبُّهُوَ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَلْنَتٍ تَتَّبِعْتِ عِبَادَاتٍ سَتِيحَاتٍ تُبَيِّتِ وَأَبْكَارًا (5) ﴿﴾

اختلفوا في سبب نزول هذه السورة ف قيل: نزلت في شأن مارية (1)، كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد حرّمها فنزل قوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ مُحَرَّمٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتَّغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ﴾ كما قال أنس (2): أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت له أمة يطؤها، فلم تنزل عائشة وحفصة، فأنزل الله ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ مُحَرَّمٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾، وعن زيد بن أسلم (3) أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أصاب أم إبراهيم في بيت بعض نسائه فقالت: أي: رسول الله في بيتي وعلى فراشي؟ فجعلها عليه حراما، فقالت: تحرّم عليك الحلال؟ فحلف لها بالله لا يصيبها

(1) مارية القبطية مولاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسرّ بته وهي أم ولده إبراهيم بن النبي - صلى الله عليه وسلم - أهداها له المقوقس صاحب الإسكندرية وأهدى معها أختها سيرين، (ت 16 هـ). أسد الغابة (3/411).

(2) أنس بن مالك بن النظر ابن ضمضم بن عدي بن النجار الخزرجي الأنصاري البصري، خادم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يكنى أبا حمزة، شهد بدرًا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو غلام يخدمه، واختلف في سنة وفاته، قل مات سنة (93هـ)، وهو ابن مائة سنة وثلاث سنين، الإستيعاب (1/35).

(3) زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان بن حارثة بن ضبيعة بن حزم حليف بني العجلان وهو ابن عم ثابت بن أقرم شهد بدرًا وقيل: إنه من بني عمرو بن عوف بن الأوس. الإصابة (1/389).

فأنزل الله ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ رواه ابن جرير (1).

وعن ابن عمر قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لحفصة: «لا تحدّثي أحداً، إنّ أمّ إبراهيم عليّ حرامٌ» فقالت: أتحرّم ما أحلّ الله لك؟ قال: «والله لا أقربها». قال: فلم يقربها حتّى أخبرت عائشة، فأنزل الله: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ وكان ابن عباس يقول: في الحرام يمين يكفرها.

وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (2) والخبران دالّان على وجوب الكفارة على من حرّم زوجته
أو جاريته مطلقاً بلا نيّة طلاق فلو نوى به الطلاق وقع ما نوى (3).

وعند أحمد: عامٌ في كلّ شيء من المباحات (4)، وقيل: نزلت في شأن شرب
العسل عند زينب بنت جحش (5)، كما في البخاري عند هذه الآية.

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فتواطأت أنا وحفصة (6)
على أيتنا دخل عليها فليقل له: أكلت مغافير (7) إني أجد منك ريح مغافير، قال: «لا

(1) رواه ابن جرير في تفسيره (23/83).

(2) سورة الأحزاب الآية/21.

(3) فيه وجهان: أحدهما قد بين الله لكم المخرج من إيمانكم، الثاني: قد قدر الله لكم الكفارة في الحنث في إيمانكم. النكت والعيون (40/6).

(4) ومن هاهنا ذهب من ذهب من الفقهاء ممن قال بوجوب الكفارة على من حرّم جاريته أو زوجته أو طعاماً أو شرباً أو ملبساً أو شيئاً من المباحات وهو مذهب الإمام أحمد. وذهب الإمام الشافعي إلى أنه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية، حرّم عينيها أو أحلف التحريم فيهما. تفسير ابن كثير (160/8).

(5) زينب بنت جحش زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - أخت عبد الله بن جحش وهي أسدية من أسد بني خزيمة وأمها بنت عبد المطلب عمّة النبي - صلى الله عليه وسلم - وتكّت أم الحكم وكانت قديمة الإسلام ومن المهاجرات، وكانت قد تزوجها زيد بن حارثة مولى النبي - صلى الله عليه وسلم -، (ت 20هـ)، أسد الغابة (357/3).

(6) حفصة بنت عمر بن الخطاب زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - وهي أخت عبد الله بن عمر لأبيه وأمه وأمهما زينب بنت مضعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح كانت من المهاجرات وكانت قبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحت خنيس بن حذافة بن قيس وكانت صوّامة قوّامة، (ت 41 هـ). الاستيعاب (584/1).

(7) مغافير: (الغفر) نبات ينبت في السهول والربى كأنه عصافير خضر ومن الكلاء صغاره (المغفار) ضمخ حلو يسيل من شجر العرفط يؤكل أو يوضع في ثوب ثم ينضح بالماء فيشرب. المعجم الوسيط (656/2).

ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش فلن أعود له، وقد حلفت لا تخبري بذلك أحداً»⁽¹⁾ ﴿ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾.

وفي كتاب الايمان والندور، فيه أنها قالت: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً فتواطأت أنا وحفصة إن أيتنا دخل عليها النبي - صلى الله عليه وسلم - فلنقل: إني أجد منك ريح مغاير أكلت مغاير؟ فدخل على إحداهما النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت ذلك له فقال: «بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له»⁽²⁾.

فنزلت ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ إلى: ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ لعائشة وحفصة ﴿ وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا ﴾ لقوله: بل شرب عسلاً، وفيه المغاير شبيه بالصمغ يكون في الرمث فيه حلاوة. «واحدها مغفور ويقال: مغاير، وهو ينضح من شجر العرفط» وقد رواه مسلم أيضاً⁽³⁾.

وفي البخاري أيضاً في كتاب الطلاق حديث مبسوط صريح في أن ساقية العسل كانت حفصة والتواطى كان بين عائشة وسودة وصفية وهكذا أيضاً رواه مسلم. وقد يقال: إنهما وقعتان ولا بعد من ذلك، ولا شك أن عائشة وحفصة كانتا هما المتظاهرتين، والدليل على ذلك ما في الصحيحين.

وأكثر السنن والروايات وطرق عن ابن عباس قال: مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية، فما أستطيع أن أسأل هيبه له، حتى خرج حاجباً فخرجت معه فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له قال: وقفت له حتى فرغ ثم سرت معه فقلت: يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي - صلى الله عليه وسلم - من أزواجه فقال: مالك؟ حفصة وعائشة، قال: فقلت: والله إن كنت

(1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب التفسير، باب ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ حديث رقم (4912).

(2) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب الطلاق، باب ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ حديث رقم (4966)، ومسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته، حديث رقم (3751).

(3) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق، حديث رقم (1474).

لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنةٍ فما أستطيع هيبَةً لك .

قال فلا تفعل ما ظننت أن عندي من علم فاسألني فإن كان لي علمٌ أخبرتك به قال: ثم قال: عمر والله كُنَّا في الجاهلية ما نعدُّ للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهنَّ ما أنزل، وقسم لهنَّ ما قسم .

قال فبينما أنا في أمرٍ أتأمره إذ قالت: أمراني لو وضعت كذا وكذا قال: فقلت لك ما لك وما ههنا فيما يكفيك في أمرٍ أريده، فقالت: لي عجباً لك يا ابن الخطاب ما تريد أن تراجع أنت وأن ابنتك لتراجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى يظلَّ يومه غضبان.

فقام عمر فأخذ رداءه مكانه حتى دخل على حفصة فقال: لها يا بنيَّة إنك لتراجعين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى يظلَّ يومه غضبان، قالت حفصة: والله إنا لنراجعه فقلت: تعلمين إني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله، يا بنيَّة لا تغررك هذه التي أعجبها حسنها حبَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أيها يريد عائشة قال: ثم خرجت حتى دخلت على أم سلمة لقرابتي منها فكلمتها، فقالت أم سلمة عجباً لك يا ابن الخطاب دخلت في كلِّ شيء حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأزواجه فأخذتني والله أخذاً كسرتني عن بعض ما كنت أجد، فخرجت من عندها وكان لي صاحب من الأنصار إذا غبت أتاني بالخبر وإذا غاب كنت أنا آتية بالخبر، ونحن نتخوف ملكاً من ملوك غسان ذكر لنا أنه يريد أن يسير إلينا، فقد امتلأت صدورنا منه، فإذا صاحبي الأنصاري يدقُّ الباب فقال: افتح، فقلت جاءني الغساني، فقال: أشدَّ من ذلك اعتزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أزواجه فقلت: رغم أنف حفصة وعائشة وأخذت ثوبي فأخرج حتى جئت فإذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مشربة له ترفاً عليها بنحيلة.

وغلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسود على رأس الدرجة فقلت له قل هذا عمر بن الخطاب فأذن لي قال: عمر فقصصت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذا الحديث فلمَّا بلغت حديث أم سلمة تبسّم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإنه لعلی حصير ما بينه وبينها شيء وتحت رأسه وسادة من آدم

حشوها ليف وإن عند رجليه قرظاً مصبوراً، وعند رأسه أهب معققة فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت فقال: ما يبكيك فقلت: يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت رسول الله فقال: «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولي الآخرة»⁽¹⁾، وقوله: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: وبين وأوجب أن يكفروها إذا حنثتم كما ذكر في سورة المائدة ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: وليكم وناصركم ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

وقوله: ﴿وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ هو تحريم مارية على نفسه وقوله لحفصة لا تخبري بذلك أحداً ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ﴾ أي: أخبرت به حفصة عائشة، ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي: اطلع الله نبيه على أنها أنبأت به ﴿عَرَفَ بَعْضُهُ﴾ أي: بعض الفعل الذي فعلته من إفشاء سره ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ بَعْضٍ﴾ أي: ولم يعلمها ببعض آخر لئلا ينتشر ذلك في الناس أي: وغضب من ذلك عليها وجازاها بما سبق في الحديث.

﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ﴾ أي: أخبر حفصة بما أظهر الله عليه، قالت: حفصة ﴿مَنْ أَثْبَاكَ﴾ أي: من أخبرك بأني أفشيت سرّك ﴿قَالَ نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾⁽²⁾ إن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: من التعاون على النبي - صلى الله عليه وسلم - بما مضى، والخطاب لعائشة وحفصة، ﴿فَقَدْ صَعَتْ﴾ أي: زاغت ومالت عن الحق ﴿قُلُوبُكُمْ﴾ أي حكمها التوبة، وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - قال: (لما اعتزل نبيُّ الله نساءه دخلت المسجد فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون: طلق النبي - صلى الله عليه وسلم - نساءه وذلك قبل أن يؤمر بالحجاب، فقلت: لأعلمن ذلك اليوم فذكر الحديث في دخوله على عائشة وحفصة ووعظه إياهما إلى أن قال: فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أسكفة المشربة فناذيت فقلت: يا رباح استأذن لي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدخل ثم خرج).

فقال: قد زكرتك له فصمت؟ حتى ردّ مراراً فأذن، قال: فدخلت فقلت: يا

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (349/1)، حديث رقم (222)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (4317).

رسول الله ما يشقُّ عليك من أمر النساء فإن كنت طَلَّقْتَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَكَ وَمَلَائِكَتُهُ وَجَبْرِيْلُ وَمِيكَائِيلُ وَأَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَالْمُؤْمِنُونَ مَعَكَ، وَقَلَّمَا تَكَلَّمْتَ وَأَحْمَدُ اللَّهُ بِكَلَامِ الْإِسْلَامِ رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ يَصْدُقُ قَوْلِي، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ آيَةُ التَّخْيِيرِ ﴿عَسَىٰ رَبُّهُوَ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ﴾.

﴿وَإِنْ تَظَاهَرَ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيْلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ فقلت: أطلقتهن؟ ففقت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي: لم يطلق نساءه) رواه مسلم⁽¹⁾.

قوله: ﴿وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الخلفاء الراشدون وقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُوَ إِنْ طَلَّقَكُنَّ﴾ أي: واجبٌ من الله إن طَلَّقَكُنَّ رسوله ﴿أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ مُسْلِمَاتٍ﴾ أي: خاضعات لله بالطاعة ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ أي: مصدقات بتوحيد الله ﴿قَانِعَاتٍ﴾ أي: طائعات داعيات ﴿تَتَّبِعْنَ عِبَادَاتِ سَيِّحَاتٍ﴾ أي: صائمات قاله غير واحد⁽²⁾، وقال زيد بن أسلم: أي: مهاجرات، والأول أقرب، ﴿تَتَّبِعْنَ وَأَبْكَارًا﴾ أي: منهن ثيبات ومنهن أبكاراً، ليكون أنشط للنفس وهذا في الإخبار عن القدرة لا عن الكون، لأنه قال إن طَلَّقَهُنَّ، وقد علم الله أنه لا يطلقهن فيكون من قبيل.

﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾⁽³⁾، وعن بريرة⁽⁴⁾ في قوله: ﴿تَتَّبِعْنَ وَأَبْكَارًا﴾ قال (وعد الله نبيه في هذه الآية أن يزوجه الثيبات والأبكار، فالثيبات آسية امرأة فرعون والبكر مريم بنت عمران) رواه الطبراني⁽⁵⁾.

(1) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء، حديث رقم (3764).
(2) ﴿تَتَّبِعْنَ﴾ فيه وجهان أحدهما من الذنوب قاله السدي الثاني: راجعات لأمر الرسول تاركات لمحاب أنفسهن ﴿عِبَادَاتٍ﴾ فيه وجهان أحدهما: عابدات لله قاله السدي الثاني: مذلات للرسول بالطاعة ﴿سَيِّحَاتٍ﴾ فيه وجهان أحدهما: صائمات قاله ابن عباس، سمى السائح سائحاً لأنه كالسائح في السفر بغير زاد، الثاني: مهاجرات لأنهن بسفر الهجرة قاله زيد بن أسلم، النكت والعيون (42/6).
(3) سورة محمد الآية/38.
(4) بريدة الأسلمي هو بريدة الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن عدي يكنى أبا عبد الله وقيل: يكنى أبا سهل أسلم قبل بدر ولم يشهدها وشهد الحديبية فكان ممن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان من ساكني المدينة ثم تحوّل إلى البصرة ثم إلى خراسان فمات بها. الإستيعاب (56/1).
(5) لم أقف عليه عند الطبراني.

كما روى أبو أمامة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «أعلمت إن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى، وآسية امرأة فرعون»، فقلت: هنيئاً لك يارسول الله) رواه أبو يعلى (1) والحديثان ضعيفان والله أعلم.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْاً أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدِرُوا آلِيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُبَوِّأُ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُجْرَىٰ اللَّهُ النَّارِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾

قال علي - رضي الله عنه- في قوله تعالى ﴿قُؤاً أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ أي: أدبهم وعلمهم، وقال ابن عباس: اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، وأمروا أهليكم بذلك ينجيكم الله من النار (2).

وقال الضحاك ومقاتل: حق المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه وعبيده ما فرض الله عنهم وما نهاهم عنه (3). وعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: «مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها» رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه (4).

قال الفقهاء: هكذا في الصوم ليكون ذلك تمريناً لهم على العبادة لكي يبلغ وهو مستمرٌ على العبادة، والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر والله أعلم. وقوله:

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير (258/8)، حديث رقم (8006)، وابن الهيثمي في مجمع الزوائد، باب ما جاء من الفضل لمريم وآسية، حديث رقم (15246)، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (3160).

(2) ينظر: جامع البيان (103/23)، ومعالم التنزيل (169/8).

(3) ينظر: تفسير الضحاك (880).

(4) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، حديث رقم (494)، والترمذي في سننه، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، حديث رقم (407)، وصححه الترمذي، ووافقه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (10806).

﴿ وَقُودَهَا ﴾ أي: حطبها الذي يلقي فيها أجساد بني آدم ﴿ وَالْحِجَارَةُ ﴾ التي كانت تعبد كقوله: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ (1) وقال ابن مسعود ومحمد الباقر (2) هي حجارة من كبريت، وزاد مجاهد: أُنْتَنُ من الجيفة (3).

وقوله: ﴿ عَلَيْهَا مَلَكَةٌ غِلَاطٌ ﴾ طبائعهم غليظة قد نزعت من قلوبهم الرحمة بالكفار ﴿ شِدَادٌ أَيْ ﴾ تركيبهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج يدفع الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين ألفاً في النار وهم الزبانية لم يخلق الله فيهم الرحمة وقوله: ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ أي: مهما أمرهم تعالى بشيء تبادروا إليه لا يتأخرون عنه طرفة وهم قادرون على فعله وليس بهم عجز عنه، وهؤلاء كما مر هم الزبانية.

وقوله: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ ﴾ أي: فيقال للكفرة يوم القيامة لا تعتذروا فإنه لا يقبل منكم وإنما تجزون بأعمالكم ثم قال: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾ أي: توبة صادقة جازمة تمحو ما قبلها من السيئات، قال عمر بن الخطاب (التوبة النصوحة أن يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه) رواه أحمد (4).

وموقوفاً صحّ ولهذا قال العلماء: التوبة النصوح هو أن يقلع عن الذنب في الحاضر، ويندم على ما سلف منه في الماضي، ويعزم على أن لا يفعل في المستقبل، ثم إن كان الحق لأدمي يردّه إليه.

وعن ابن مسعود قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «الندم

(1) سورة الأنبياء الآية/98..

(2) محمد بن جعفر الصادق محمد الباقر العلوي بن زين العابدين على بن الحسين العلوي الحسيني المدني أبو جعفر سيد بني هاشم في زمانه يلقب بالدبياج وهو أخو موسى الكاظم لم يكن في الفضل والجلالة بدون أخيه حدث عن أبيه وهشام بن عروة وكان سيداً مهيباً توفي سنة ثلاث ومائتين. سير أعلام النبلاء (86/19).

(3) ينظر: جامع البيان (105/23)، والنكت والعيون (44/6).

(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (299/7)، حديث رقم (4264)، وصححه الحاكم المستدرک (495/2)، ووافقه الذهبي في التلخيص.

توبة؟» رواه أحمد وابن ماجه⁽¹⁾ .

وعن زرّ بن حبيش قال: قلت لأبي بن كعب ما التوبة النصوح؟ قال: سألت النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: «هو الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله بندامتك ثم لا تعود إليه أبداً». رواه ابن أبي حاتم⁽²⁾.

وقال الحسن: هي أن تبغض الذنب كما أحببته، وتستغفر منه إذا ذكرته، فأما إذا جزم بالتوبة وصمم عليها فإنها تجب ما قبلها من الخطيئات كما ثبت في الصحيح: «الإسلام يجب ما قبله، والتوبة تجب ما قبلها»⁽³⁾.

وقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ عسى من الله واجب محقق ﴿وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّسِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ أي: ولا يخزيهم معه يوم القيامة ولا يدخلهم النار ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ كما سبق في سورة الحديد⁽⁴⁾.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قال مجاهد وغير واحد: بقوله: المؤمنون حين يرون نور المنافقين قد طفي⁽⁵⁾.

وعن رجل من بني كنانة قال: صليت خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح فسمعتة يقول: «اللهم لا تخزني يوم القيامة» رواه أحمد⁽⁶⁾.

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (37/6) حديث رقم (3568)، وابن ماجه في سننه، باب نكر التوبة، حديث رقم (4252)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (11748).

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، (374/4)، حديث رقم (5457)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة، حديث رقم (2250).

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (205/2) من طريق يحيى بن إسحاق، وهذا إسناد على شرط مسلم ورجاله ثقات، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (121/5).

(4) سورة الحديد، الآية 12.

(5) ينظر: تفسير الإمام مجاهد (666)، ومعالم التنزيل (70/8).

(6) أخرجه الإمام أحمد في المسنده (234/4)، حديث رقم (18085)، والطبراني في المعجم الكبير (120/3)، حديث رقم (2524).

وعن أبي ذر (1) وأبي الدرداء (2) قالوا: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:
«أنا أول من يؤذن له في السجود يوم القيامة، وأول من يؤذن له برفع رأسه، فأنظر
بين يدي فأعرف أمتي من بين الأمم وأنظر إلى شمالي فأعرف أمتي من بين الأمم»
فقال رجل: يارسول الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم؟

قال: «غرَّ محجلون من آثار الطهور، ولا يكون أحد من الأمم كذلك غيرهم،
وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود،
وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم» رواه محمد بن نصر المروزي. (3)

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ
الْمَصِيرُ ﴿١﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ
مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ
الدَّاخِلِينَ ﴿٢﴾﴾.

أمر - تعالى - رسوله بجهاد الكفار والمنافقين هؤلاء بالسلاح والقتال، وهؤلاء
بإقامة الحدود عليهم.

وقوله: ﴿وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: في الدنيا ﴿وَمَا أُولَهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: في العقبى
﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ هو المرجع، ثم قال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: في
مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم أن ذلك لا يدفع عنهم شيئاً ولا ينفعهم عند الله إن
لم يكن الإيمان حاصلًا في قلوبهم ثم ذكر المثل فقال: ﴿امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ﴾

(1) أبو ذر الغفاري صحابي جليل اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً فقيل: جندب بن جنادة وهو أكثر وأصح ما قيل
فيه وقيل: برير بن عبد الله وبرير بن جنادة والمشهور جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن كنانة بن
مدركة الغفاري وكان أبو ذر من كبار الصحابة وفضلائهم توفي سنة إحدى وثلاثين. أسد الغابة (170/3).

(2) أبو الدرداء صحابي جليل واسمه عوير بن عامر بن مالك بن زيد بن قيس بن أمية بن عامر بن عدي
وقيل: اسمه عامر بن مالك تأخر إسلامه قليلاً كان آخر أهل داره إسلاماً وكان فقيهاً عاقلاً حكيماً شهد ما
بعد أحد من المشاهد واختلف في شهوده أحداً، (ت 62هـ)، أسد الغابة (168/3).

(3) أخرجه ابن المبارك في مسنده (106/1)، حديث رقم (105)، والإمام أحمد في مسنده (66/36)، حديث رقم
(21740)، وابن الهيثم في مجمع الزوائد (622/10) حديث رقم (18361)، وابن ماجه في سننه، باب ثواب الطهور،
(351/1)، حديث (297)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، (42/1) . حديث رقم (178).

كَانَتَا تَحْتِ عِبَادِنَا صَالِحِينَ ﴿١٠﴾ أي: نبين رسولين عندهما في صحبتها ليلاً ونهاراً يؤاكلانهما ويضاجعانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط .

﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ أي: في الإيمان فلم يوافقهما على الطاعة ولا صدقاها على الرسالة، فلم يجد ذلك كله شيئاً ولا دفع عنهما محذوراً.

ولهذا قال: ﴿ فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ أي: لكفرهما ﴿ وَقِيلَ ﴾ أي: للمرأتين ﴿ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴾ ﴿١١﴾ .

وليس المراد بقوله: ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ في فاحشة بل في الدين فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء كما سبق في سورة النور .

قال ابن عباس: ما زنتا قط، وأمّا خيانة امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون، وأمّا امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه.

وعنه أيضاً أنها كانتا على غير دينهما فكانت امرأة نوح تطلع على سرّ نوح، فإذا آمن مع قوم نوح أحدٌ أخبرت الجبابرة من قومه به، وأمّا امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحداً أخبرت به أهل البلدة ممن يعمل السوء وهكذا.

وعن عكرمة وغير واحد واستدلّ بهذه الآية بعض العلماء على أن الحديث الذي يآثره كثير من الناس: (من أكل مع مغفور له عُفِرَ له) ليس بصحيح ولا أصل له، وإنما يروى عن بعض الصالحين أنه رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - في المنام فقال: يا رسول الله أنت قلت: (من أكل مع مغفور له عُفِرَ له؟) قال: لا ولكني الآن أقوله⁽¹⁾.

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٢﴾ وَمَرِيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهَا مِنَّا زَكَاةً وَأَنَّهَا فِي صَفْحَتِنَا مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿١٣﴾ .

(1) رواه ابن القيم في المنار المنيف ص(140)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (326/1)، حديث رقم (315).

هذا مثل ضربه الله للمؤمنين أنهم لا يضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم كما قال: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (1).

قال قتادة: كان فرعون أعتى أهل الأرض وأكفره، فوالله ما ضرَّ امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربَّها ليعلموا أن الله حكم عدل لا يؤاخذ أحداً إلا بذنبه (2).

وعن سليمان التيمي (3) قال: (كانت امرأة فرعون تعذب في الشمس فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها في الجنة) رواه ابن جرير (4).

وروى عن القاسم بن بزرة (5) قال: كانت امرأة فرعون تسأل من غلب فقال: غلب موسى وهارون فنقول آمنت بربِّ موسى وهارون، فأرسل إليها فرعون فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها، فإن مضت على قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فهي امرأته فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء فأبصرت بيتاً في الجنة فمضت على قولها وانتزعت روحها وألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه، فاخترت بقولها ﴿رَبِّ أَبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ الجار ثم الدار وقد ورد بعض هذا في حديث مرفوع.

﴿وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ أي: خلصني منه، فإني أبرأ إليك من عمله.
﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: الكافرين وهذه المرأة هي آسية بنت مزاحم (6)

(1) سورة آل عمران الآية/28.

(2) ينظر: جامع البيان (116/23)، وتفسير ابن كثير (72/8).

(3) سليمان بن سفيان القرشي التيمي أبو سفيان المدني ولي آل طلحة بن عبد الله روى عن بلال بن يحيى بن طلحة بن عبد الله وعبد الله بن دينار روى عنه سليمان التيمي وابنه وأبو داود الطيالسي وأبو عامر، (ت 32هـ). تهذيب الكمال (436/1).

(4) أخرجه الحاكم في المستدرک (496/2)، حديث رقم (3835)، والبيهقي في شعب الإيمان (244/2)، حديث رقم (701)، وصححه الحاكم.

(5) القاسم بن أبي بزرة وهو بن نافع عن مجاهد وسعيد بن جبیر روى عنه عمرو بن دينار وعبد الملك بن أبي سليمان وهو مولى أبي الأحنس النخعي، كنيته أبو عاصم وقد قيل: أبو عبد الله من أهل مكة واسم أبي بزرة يسار، (ت 124هـ)، التاريخ الكبير (233/5).

(6) آسية هي آسية بنت مزاحم امرأة فرعون كانت مؤمنة تخفي إيمانها أنزل الله عليها في كتاب بقوله: (إذ قالت رب نجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين). وكانت من خيار النساء وبنات الأنبياء وقيل كانت من بني إسرائيل وقيل: كانت عمّة موسى - عليه السلام - حسن الاسوة بما ثبت من الله ورسوله من النسوة (174/1).

- رضي الله عنها- وعن أبي العالفة كان إيمان امرأة فرعون من جهة إيمان خازن فرعون، وذلك أنها جلست تمشط ابنة فرعون فوق المشط من يدها فقالت: تعس من كفر بالله فقالت لها ابنة فرعون: ولك رب غير أبي؟

قالت: نعم ربِّي وربُّ أبيك وربُّ كلِّ شيء الله، فلطمتها ابنة فرعون وضربتها وأخبرت أباه، فأرسل إليها فرعون فقال: تعبدين ربًّا غيري؟ قالت: نعم ربِّي وربُّك وربُّ كلِّ شيء الله وإياه أعبد، فعذبها فرعون فأوتد لها أوتاداً فشَدَّ يديها ورجليها وأرسل إليها الحيات، فكانت كذلك، فأتى عليها يوماً فقال: ما أنت منتهية؟ فقالت له: ربِّي وربُّك وربُّ كلِّ شيء الله.

فقال لها: إني ذابحُ ابنك في فيك، إن لم تفعلي. فقالت له: اقض ما أنت قاضٍ، فذبح ابنها في فيها وإنَّ روح ابنها بشرها فقال لها: أبشري يا أمه فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا، فصبرت ثم أتى عليها فرعون يوماً آخر فقال لها مثل ذلك فقالت: له مثل ذلك، فذبح ابنها الآخر في فيها فبشرها روحه أيضاً، وقال لها: اصبري يا أمه فإنَّ لك من الثواب عند الله كذا كذا.

وسمعت امرأة فرعون كلام روح ابنها الأكبر ثم الأصغر فأمنت امرأة فرعون وقبض الله روح امرأة الخازن وكشف الغطاء عن ثوابها ومنزلتها وكرامتها في الجنة لامرأة فرعون حتى رأت فازدادت إيماناً و يقيناً وتصديقاً، فأطلع الله فرعون على إيمانها فقال للملأ: ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟ فأثنوا عليها. فقال لهم: إنها تعبد غيري! فقالوا له: اقتلها فأوتد لها أوتاداً فشَدَّ يديها ورجليها فدعت آسية ربَّها فقالت: ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ فوافق ذلك أن حضرها فرعون فضحكت حين رأت بيتها في الجنة فقال فرعون: ألا تعجبون من جنونها إنَّا نعذبها وهي تضحك، فقبض الله روحها.

وقوله: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتِ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ أي: حفظته وصانته والإحصان هو العفاف والحرية ﴿ فَتَفَخَّنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾ أي: بواسطة الملك وهو جبريل فإنَّ الله بعثه إليها فتمثل لها في صورة بشر سوي وأمره الله تعالى أن ينفخ فيه في جيب درها، ونزلت النفخة فولجت في فرجها فكان فيه الحمل بعيسى - عليه السلام- ولهذا قال: ﴿ فَتَفَخَّنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا السَّلَامُ ﴾

بقدره وشرعه والمراد ما نزل على الأنبياء من الكتب والصحف.

﴿وَكَاثٌ مِنَ الْقَتِينِ﴾^(١٢) أي: من القوم المطيعين لربها لدينه عن ابن عباس قال: خط رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الأرض أربعة خطوط، وقال: «أنتدرون ما هذا؟» قالوا الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون» رواه أحمد⁽¹⁾.

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري⁽²⁾ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «كُمُلُ من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران⁽³⁾، وخديجة بنت خويلد⁽⁴⁾، وإنَّ فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»⁽⁵⁾.

وقد ورد في الحديث المعتمد أنَّ مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، من أزواج نبيِّنا - عليه الصلاة والسلام - في الجنَّة، كما سبق في السورة السابقة في تفسير قوله: ﴿تَبَيَّنَتْ وَأُبْكَرًا﴾⁽⁶⁾.

- (1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (409/4)، حديث رقم (2668)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب المناقب، باب مناقب مريم بنت عمران، حديث رقم (8355)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم (2015).
- (2) أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب الإمام الكبير، صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التميمي الفقيه المقرئ، حدث عنه بُريدة بن الحصيب وأبو أمامة الباهلي وهو معدود فيمن قرأ على النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو قارئ أهل البصرة وفقههم في الدين وولي إمارة الكوفة لعمر وإمارة البصرة وغزا وجاهد مع النبي. سير أعلام النبلاء (336/3).
- (3) مريم بنت عمران الصديقة أم عيسى - عليه السلام - أنها من أولاد سليمان بن داود، بينها وبينه أربعة وعشرون أبًا، واسم أم مريم حَنَّة بفتح الحاء. كانت مريم تصلي حتى ترم قدمها، حيث بقيت مريم بعد رفع عيسى خمس سنين وكان عمرها ثلاث وخمسين سنة، وكان قبرها بالنيرب، وفي الحديث الصحيح كُمُلُ من النساء أربع مريم ابنة عمران. تهذيب الأسماء (619/2).
- (4) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - كانت تدعى الطاهرة أمها فاطمة بنت الأصم والأصم اسمه جندب بن هرم كانت خديجة تحت أبي هالة بن زرارة بن النباش وتزوجها النبي وهي بنت أربعين سنة وتوفيت وهي بنت أربع وستين سنة وولدت أربع بنات كلهن أدركن الإسلام، زينب، وفاطمة، ورقية، أم كلثوم، الإستيعاب (86/2).
- (5) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَأَتٍ فِرْعَوْنَ﴾ (1252/3) حديث رقم (3230) ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل خديجة أم المؤمنين (79/16) حديث رقم (6425).
- (6) سورة التحريم، الآية 5.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومنّ علينا بجوده وبسرّ تمام هذا البحث دراسةً وتحقيقاً واني أرجو من الله أن يكون خالصاً لوجهه الكريم، وأخلص منه بالآتي:

1. حرص المؤلف على أن يصدر تفسيره بالبيان القرآني، وهو منهج مثالي وجعله البيان الأول من أنواع البيان.
2. الرسم القرآني الذي كتب به المفسر هو رسم حفص عن عاصم .
3. هذا الكتاب من كتب التفسير بالمأثور حيث التزم في نقله واستشهاده بالآيات والأحاديث وأقوال الصحابة وأقوال التابعين وأقوال الأئمة .
4. اعتمد المؤلف في تفسيره على النقل من كتب التفسير، كتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، وجامع البيان للطبري، ومعالم التنزيل للبخاري، وتفسير الإمام مجاهد.
5. اعتمد المؤلف على أقوال ابن عباس في كثير من الآثار المروية عن الصحابة.
6. أكثر الأحاديث التي استدل بها المؤلف في تفسيره صحيحة ويأتي بالضعيف والغريب في بعض الأحيان.
7. من أكثر مصادره في الأحاديث التي اعتمد عليها هو مسند الإمام أحمد والكتب الستة.
8. يستشهد المؤلف في تفسيره في بعض الآيات القرآنية بالأبيات الشعرية.
9. تميز المفسر بالسير على مذهب السلف في كثير من المسائل وترجيحه للأقوال الفقهية تترجح عنده دون النظر إلى مذهب محدد ولا نص لإمام معين.
10. كثيراً ما يسرد بعض الكلمات مثل قوله: غيره، بعضهم، كثيرون، وغير واحد، وآخرون.
11. اعتمد المؤلف على كثير من أقوال الصحابة؛ لأن لها حكم الرفع .
12. المؤلف قد سار على طريقة شيوخه وهي تفسير القرآن بالرأي والنقل والسماع، فالمؤلف لا يهتم بالإعراب واللغة كاهتمامه بالرواية، وقد أخذ بهذه الرواية

لأنها هي أساس التفسير وتحت لوائها ينضوي علم أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ والتفسير النبوي، وتفسير الصحابة والتابعين.

وفي ختام هذا البحث أقول إن كان صواباً فمن الله وحده، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس العامة

فهرس الحـديث

فهرس الآثـار

فهرس الأبيات الشعـرية

فهرس الكتب الوارـدة في النص المحقق

فهرس المصـادر والمراجـع

فهرس الموضـوعات

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
117	(ابن آدم اركع لي أربع ركعات من أول النهار)	1
169	(﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾ قال عجائز كن في الدنيا عمشاً)	2
267	(أبايعن على أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن)	3
160	(أتدرون من السابقون إلى ظل الله يوم القيامة؟)	4
108	(أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى)	5
184	(اجعلوها في سجودكم)	6
157	(أجّلوا الله يغفر لكم)	7
155	(أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم، واثنان)	8
305	(إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم)	9
112	(إذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى، فإنه لا يدري)	10
288	(إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل)	11
91	(إذا دخل المؤمن الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده)	12
116	(إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب)	13
287	(إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم بالسكينة)	14
223	(إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه)	15
223	(إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك)	16
92	(إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية)	17
118	(إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: من ولد)	18

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
169	(ارتفاعها كما بين السماء والأرض)	19
110	(ارجع فإنك لم تصنع شيئاً)	20
84	(استطعمتك فلم تطعمني)	21
125	(اشهدوا)	22
180	(أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال:)	23
286	(أضلّ الله عن الجمعة ما كانا قبلنا، فكان لليهود يوم)	24
77	(أطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وافشوا السلام)	25
219	(أعتقها فإنها مؤمنة)	26
195	(أعرّفهم محجلون من أثر الوضوء ولا يكون أحد من الأمم غيرهم)	27
244	(أفضل الصدقة جهد المقل)	28
332	(أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد)	29
71	(أفلا أعلمكم شيئاً إذا فعلتموه سبقتم من بعدكم)	30
102	(اكتب فو الذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق)	31
221	(ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي منه؟)	32
117	(ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليلاً الذي وقى؟ إنه)	33
41	(الإسلام علانية والإيمان في القلب)	34
327	(الإسلام يجب ما قبله، والتوبة تجب ما قبلها)	35
41	(التائي من الله والعجلة من الشيطان)	36
151	(الجن ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنحة يطيرون في)	37
33	(الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله)	38
113	(الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها)	39

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
203	(الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو)	40
157	(أظوا بيا ذا الجلال والإكرام) وفي رواية بذي الجلال)	41
253	(العظمة إزاري والكبرياء رداي فمن نازعني واحد منهما)	42
45	(الكبر بطر الحق، وغمطاناس ويروي - وغمض)	43
157	(اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال)	44
132	(اللهم أشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم)	45
42	(اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر)	46
187	(اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم، ربنا)	47
256	(اللهم عمّ عليهم خبرنا)	48
232	(اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يداً ولا نعمة)	49
327	(اللهم لا تخزني يوم القيامة)	50
93	(اللهم منّ علينا وقنا عذاب السموم إنك أنت البر الرحيم).	51
261	(ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم)	52
44	(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه)	53
177	(المسلمون شركاء في ثلاثة: النار والكأ والماء)	54
44	(المقسطون عند الله يوم القيمة على منابر من نور)	55
192	(المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)	56
44	(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)	57
54	(المؤمنون في الدنيا على أجزاء)	58
326	(الندم توبة؟)	59
190	(أهاكم التكاثر، يقول ابن آدم مالي مالي فهل)	60

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
305	(الولد ثمرة القلب، وأنهم مجبنة منجلة محزنة)	61
43	(إليك عني فوالله لقد آذاني ريح حمارك)	62
70	(أما إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا)	63
316	(أما إنه لو لم ترفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة)	64
37	(أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة؟)	65
323	(أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولي الآخرة)	66
72	(أنا أول من تنشق عنه الأرض)	67
43	(إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين)	68
259	(إن أبي وأباك في النار)	69
202	(أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في)	70
118	(إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه)	71
171	(إن الحور العين ليغنين في الجنة يقلن: نحن خيرات)	72
165	(إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادة مكانها أخرى)	73
61	(إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن)	74
90	(إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن)	75
60	(إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به)	76
297	(إن الله قد صدقك)	77
299	(إن الله لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها، وإنما الزيادة في)	78
222	(إن الله ليدين المؤمن فيضع كنفه ويستتره من الناس)	79
91	(إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول)	80
196	(إن الله يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم ستراً منه على)	81
152	(إن المرأة من أهل الجنة ليرى بياض ساقها بين وراء)	82

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
44	(إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ بين يدي)	83
97	(إن المنافق إذا مرض وعوفي مثله في ذلك كمثل البعير)	84
91	(إن المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإن المشركين)	85
170	(إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبقاراً)	86
202	(إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما)	87
152	(أن أول زمرة يدخل الجنة على صورة القمر ليلة)	88
199	(إن أول ما يرفع من الناس الخشوع)	89
189	(أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)	90
115	(إن تغفر اللهم يغفر جمأً وأبي عبد لك ماألما)	91
172	(إن تكونوا من السبعين فكونوا وإن عجزتم وقصرتم)	92
165	(إن طير الجنة كأمثال البخت نزعى في شجرة الجنة)	93
55	(إن فقهم قليل والشيطان ينطق على ألسنتهم)	94
283	(إن في أصلاب أصلاب رجال ونساء من أمتي)	95
155	(إن في الجنة خيمة من لؤلؤ مجوفة عرضها ستون ميلاً)	96
168	(إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر)	97
167	(إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام)	98
170	(إن في الجنة لمجتمعاً للهور العين رفعن)	99
186	(إن فيهن آية أفضل من ألف آية)	100
270	(أن لا نعصيه في معروف أن لا نخمش وجهاً، ولا ننشر)	101
179	(أن لا يمس القرآن إلا ظاهر)	102
293	(إن للمنافقين علامات يعرفون بها: تحيتهم لعنة وطعامهم)	103

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
254	(إنَّ لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحدة)	104
275	(إنَّ لي أسماء أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي)	105
128	(إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف)	106
181	(أن ملائكة الرحمة تقول أيتها الروح الطيبة من الجسد)	107
157	(إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم)	108
176	(إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم)	109
144	(أن يغفر ذنبا، ويفرج كرباً، ويرفع قوماً ويضع آخرين)	110
124	(أنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي)	111
328	(أنا أول من يؤذن له في السجود يوم القيامة)،	112
195	(أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود، وأول من يؤذن)	113
276	(أنا محمد، وأنا أحمد، والمقفي، والحاشر)	114
52	(أنسابكم هذه ليست بمسبة على أحد كلكم بنو آدم طفئاً)	115
51	(انظر فإنك ليس بخير من أحمر ولا أسود)	116
309	(انظري يا بنت آل قيس إنما النفقة والسكنى للمرأة على)	117
116	(أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقللاً)	118
47	(إنك إذا اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت)	119
68	(إنك لتشتهي الطير في الجنة فيخر بين يديك مشوياً)	120
182	(إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه)	121
106	(أنه رآه بفؤاده مرتين)	122
105	(أنه رأى في منامه جبريل بأجباد)	123
257	(إنّه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعلّ الله اطلع إلى أهل بدر)	124
221	(إنّه يستجاب لنا فيهم، ولا يستجاب لهم فينا)	125

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
134	(أنها نزلت في أناس من أمتي يكونون في آخر الزمان)	126
84	(إني أنا الرزاق ذو القوة المتين)	127
168	(إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً، ولو أخذته لأكلتم)	128
276	(إني عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل)	129
267	(إني لا أصافح النساء، إنما قولي لامرأة واحدة كقولي)	130
102	(إني لا أقول إلا حقاً)	131
161	(إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ثلث أهل الجنة)	132
53	(أني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية)	133
221	(أو ما سمعت أقول وعليكم)	134
211	(أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء)	135
171	(أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر)	136
100	(أول سورة أنزلت فيها السجدة والنجم فسجد فيها)	137
272	(أولئك نفر رجلاً رجلاً، ونزلت فيهم هذه السورة ﴿سَبَّحَ﴾)	138
245	(إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة)	139
47	(إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث)	140
273	(آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوتمن خان)	141
48	(انذروا له بنس أخو العشيرة!)	142
269	(أيما امرأة أدخلت على قوم ما ليس منهم فليست)	143
122	(بالنجم وسجد له المسلمون والمشركون والجن والإنس)	144
124	(بعثت أنا والساعة كهاتين)	145

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
208	(بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده)	146
124	(بعثت في نفس الساعة فسبقتها كما سبقت هذه وأشار)	147
321	(بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له)	148
298	(بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا)	149
36	(بل هو من أهل الجنة)	150
66	(تحاجت الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين)	151
119	(تعلمون أن المعاد إلى الله إلى الجنة أو إلى النار)	152
51	(تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم)	153
120	(تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الخالق فإنه لا تحيط)	154
56	(ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاثة عشرة)	155
242	(ثلاثة أجزاء جزئن بين المسلمين، وجزء نفقة لأهله)	156
274	(ثلاثة يضحك الله إليهم: الرجل يقوم من الليل)	157
212	(ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل)	158
104	(ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين)	159
87	(ثم رفع بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم)	160
106	(جبريل في حلة من رفرق قد ملأ ما بين السماء)	161
103	(جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح)	162
149	(جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب)	163
125	(حتى رأيت الجبل من بين فرج القمر)	164
269	(خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك)	165
290	(خطبتان يقرأ بينهما القرآن فيذكر الناس)	166
141	(خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من نار)	167

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
162	(خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)	168
297	(دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه)	169
276	(دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بن مريم ورؤيا أمي)	170
38	(ذاك الله عزوجل)	171
48	(ذكرك أخاك بما يكره)	172
105	(رأى جبريل - عليه السلام - له ستمائة جناح)	173
104	(رأى محمد ربه بفؤاده مرتين فجعل هذه إحداهما)	174
108	(رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينتثر من ريشه التهاويل)	175
194	(رب نخلة مدلاة عروقها درّ وياقوت لأبي الدحداح في الجنة)	176
274	(رحم الله موسى: لقد أؤذي أكثر من هذا فصير)	177
264	(ردّ ابنته زينب إلى أبي العاص وكان إسلامها قبل إسلامه)	178
99	(ركعتا الفجر خير من الدنيا و ما فيها)	179
62	(سبحان الله إنّ للموت لسكرات)	180
134	(سيكون في هذه الأمة أقوام يكذبون بالقدر)	181
134	(سيكون في هذه الأمة مسخّ ألا وذلك في المكذبين بالقدر)	182
305	(صدق الله ورسوله ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ نظرت إلى هذين)	183
303	(عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له)	184
172	(عرضت على الأنبياء الليلة بأتباعها حتى أتى علي)	185
172	(عرضت على الأمم فجعل يمر النبي معه الرجل والنبي)	186
229	(علام تشتمني أنت وفلان وفلان وفلان)	187

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
216	(فإننا سنعيّنه بعرق من تمر)	188
267	(فقرأ علينا ﴿لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْءٌ﴾ ونهانا)	189
318	(فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه المغرب أرضاً)	190
287	(فلا تفعلوا إذا أتيتم الصلاة فعليكم السكينة فما أدركتم)	191
156	(فلم أر عبقرى يفري فريه)	192
267	(فما وفى منهنّ امرأةً غيرها وغير أمّ سليم ابنة ملحان)	193
78	(قاتل الله أقواماً أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا)	194
84	(قال الله ابن آدم تفرغ لعبادتي أملاً صدرك غنى وأسدى)	195
234	(قتلت رجلين لابد من ديتهما)	196
266	(قد بايعتك على ذلك)	197
290	(قدمت غير مرّة المدينة ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخطب فخرج الناس)	198
149	(قرأ يوماً هذه الآية ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾)	199
164	(قصي رؤياك فقصتها)	200
233	(قلت لأبن عباس سورة الحشر قال: قل سورة النضير)	201
224	(قم يا فلان وأنت يا فلان فأقام من المجلس بقدر النفر)	202
176	(كان إذا شرب قال الحمد لله الذي سقانا عذباً فراتاً)	203
289	(كان النداء يوم الجمعة أوّله إذا جلس الإمام على المنبر)	204
123	(كان يقرأ في العيد بقاف واقتربت الساعة)	205
56	(كان يقرأ في العيد بقاف واقتربت)	206
281	(كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين)	207

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
211	(كان يقول لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم)	208
135	(كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض)	209
206	(كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق)	210
180	(كذبت بل هو رزق الله)	211
48	(كل المسلم على المسلم حرم دمه وماله وعرضه بحسب)	212
51	(كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب ولينتهين قوم)	213
185	(كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن)	214
193	(كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح)	215
332	(كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون)	216
63	(كيف أنعم وصاحب الصور قد ا لتقمه)	217
98	(لا تدعوها وإن طردتكم الخيل)	218
246	(لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها)	219
162	(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم)	220
192	(لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل)	221
175	(لا تقولن: زرعت ولكن قل حرثت)	222
250	(لا خير في قول لا يراد به وجه الله، ولا خير في مال)	223
244	(لا ما أنثيتم عليهم ودعوتم الله - عز وجل - لهم)	224
178	(لا والله ما مست يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يد امرأة قط)	225
321	(لا ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب)	226
225	(لا يحل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما)	227
66	(لا يزال لجهنم يلقي فيها وهي تقول هل من مزيد)	228

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
224	(لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن)	229
244	(لا يكفوننا المؤنة ونشرككم في الثمرة)	230
135	(لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله)	231
320	(لاتحدثي أحداً، إن أم إبراهيم على حرام)	232
270	(لعن النائحة والمستمعة)	233
39	(لقد صدق الله قولك يا زيد)	234
245	(لقد عجب الله - أو ضحك - من فلان وفلانة)	235
137	(لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً)	236
134	(لكل أمة مجوس، ومجوس أمتي الذين يقولون)	237
211	(لكل نبي رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد)	238
205	(للجنة أقرب إلى أحدكم من شرك نعله والنار مثل ذلك)	239
152	(للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين)	240
77	(للسائل حق وإن جاء على فرس)	241
103	(لم ير جبريل في صورته إلا مرتين: أما واحدة فإنه)	242
285	(لو فعل لأخذته الملائكة عياناً، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا)	243
283	(لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال - أو رجل -)	244
101	(ليدخل الجنة بشفاعه رجل ليس بنبي مثل الحيين)	245
307	(ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض فتطهر)	246
309	(ليس لك عليه نفقة ولا سكنى)	247
88	(ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات)	248
270	(ليس منّا من ضرب الخدود، وشقّ الجيوب، ودعا)	249

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
225	(ليليني منكم أولوا الأرحلام والنهي ثم الذين)	250
47	(ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك)	251
296	(ما بال دعوى الجاهلية؟ دعوها فإنها منتنة)	252
227	(ما ترى ديناراً؟)	253
218	(ما حملك على ذلك)	254
168	(ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب)	255
50	(ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً ينتهك فيه حرمة)	256
229	(ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام)	257
300	(ما من مولود يولد إلا مكتوب في تشبيك رأسه خمس)	258
245	(ما أبقيت لأهلك؟)	259
212	(مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوماً يعملون له عملاً)	260
162	(مثل أمي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره)	261
212	(مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالاً)	262
121	(مثلي ومثل الساعة كهاتين)	263
107	(مرّة عند سدرة المنتهى، ومرّة في أجياد وله ستمائة)	264
224	(من أحبّ أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ)	265
183	(من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء)	266
288	(من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثمّ راح في الساعة)	267
288	(من اغتسل يوم الجمعة، ومسّ من طيب إن كان عنده)	268
311	(من أكثر من الإستغفار يجعل الله له من كل همّ فرجاً ومن)	269
194	(من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبيين وصنعاء)	270

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
223	(من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة)	271
98	(من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له)	272
284	(من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار)	273
50	(من حمى مؤمناً من منافق بغيبة بعث الله ملكاً يحمي لحمه)	274
149	(من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل)،	275
290	(من دخل سوقاً من الأسواق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له)	276
118	(من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه)	277
278	(من رجل يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي فإن قريشاً)	278
42	(من سرته حسنته وساءت سيئته فهو مؤمن)	279
318	(من ظلم قيد شبر من الأرض طوّقه من سبع أراضين)	280
184	(من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة)	281
158	(من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً)	282
312	(من نزل به حاجة فأنزلها بالناس كان قمناً أن لا تسهل)	283
306	(من يقرض غير ظلوم ولا عدوم)	284
40	(منعت الزكاة وأردت قتل رسولي)	285
202	(مؤمنو أمتي شهداء)	286
177	(ناركم التي توقد ابن آدم وفيها عليها وكلها بدل)	287
177	(ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، قيل)	288
286	(نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب)	289
133	(نزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - بمكة وإني لجارية لعب. ﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ﴾)	290

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
165	(نهر أعطانيه ربي في الجنة أشد بياضاً من)	291
179	(نهى أن يسافر القرآن إلى أرض العدو)	292
237	(هذا أول الحشر وأنا على الأثر)	293
97	(هذا في ابتداء الصلاة)	294
77	(هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفرله)	295
172	(هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتون)	296
244	(هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر)	297
171	(هما جميعاً من أمتي)	298
67	(و رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)	299
134	(واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك)	300
117	(وفى عمل يومه بأربع ركعات من أول النهار)	301
224	(ولكن افسحوا يفسح الله لكم)	302
107	(ويحك ذاك إذا تجلى بنوره، الذي هو نوره وقد رأى ربه)	303
115	(ويحك قطعت عنق صاحبك - مراراً - إذا كان أحدكم)	304
310	(يا أبا ذر لو أن الناس أخذوا بها كفتهم فجعل يتلوها)	305
169	(يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز)	306
68	(يا جبريل وما يوم المزيد؟)	307
136	(يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالبا)	308
312	(يا غلام إنني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ)	309
55	(يا معشر الأنصار ألم نجدكم ضلالاً فهداكم الله)	310
49	(يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه)	311

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
164	(ياعكراش هذا الوضوء مما غيرت النار)	312
146	(يبعث الناس يوم القيامة والسماء يطيش عليهم)	313
134	(يخاصمونه في القدر فنزلت ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ﴾)	314
65	(يخرج عنق من النار يتكلم يقول وكنت اليوم بثلاثة)	315
171	(يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مردأً بيضاء جعاداً مكحلين)	316
188	(يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل)	317
149	(يسير في ظل الفتن منها الراكب مائة سنة - أو)	318
158	(يصلي الصلوات كنحو من صلواتكم التي تصلون اليوم)	319
86	(يصلي إلى جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور .)	320
71	(يصلي على أثر كل صلاة مكتوبة ركعتين إلا الفجر)	321
170	(يعطى المؤمن قوة كذا وكذا في النساء، قلت: يارسول)	322
167	(يفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام ما فيها)	323
182	(يقرأ ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ يرفع الراء)	324
128	(يقرأ: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ١٥﴾ دالاً أي: متذكر متعظ خائف)	325
153	(يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة)	326
182	(يكون النسم طيراً يعلق بالشجر حتى إذا كانت يوم القيامة)	327
66	(يلقي في النار وهي تقول: هل من مزيد حتى)	328
263	(يمتحنهن بالله ما خرجت من بعض زوج، وبالله ما)	329
241	(ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال)	330
60	(يؤذيني ابن آدم يقول لن يعيدني كما بدأني)	331
286	(يوم الجمعة جمع الله فيه أبواكم أو أبوكم)	332

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
99	(على شيء من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتي)	333
288	(غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم)	334
51	(فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا في)	335
115	(لا تزكوا أنفسكم إن الله أعلم بأهل البر منكم)	336
123	(ما أعماركم في أعمار من مضى إلا كما بقي من النهار)	337
199	(ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية)	338
325	(مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها)	339
98	(من جلس في مجلسه فكثرت فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم)	340
254	(من قال حين يصبح ثلاث مرّات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم)	341
81	(نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور)	342
327	(هو الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله بندامتك ثم لا تعود إليه أبداً)	343

فهرس الآثار

الصفحة	الأثر	ت
250	(أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم)	1
245	(أبقيت لهم الله ورسوله)	2
38	(إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها)	3
326	(التوبة النصوحة أن يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه)	4
230	(حين جعل أمر الخلافة شورى بعده) .	5
304	(رأوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا أن يعاقبوا، فأنزل الله)	6
159	(الساعة خفضت أعداء الله إلى النار ورفعت فأسمعت البعيد)	7
212	(فحمد الله عمر على أنه أعطانا كفلين) .	8
262	(فأمرها أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها)	9
267	(قل لهن إن رسول الله يبايعكن على أن لا تشركن بالله)	10
113	(اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا)	11
35	(لا أكلمك إلا كأخي السرائر)	12
46	(لا تظننّ بكلمة خرجت من المؤمن على محل سوء وأنت تجد لها في الخير محلاً)	13
323	(لمّا اعتزل نبيّ الله نساءه دخلت المسجد فإذا الناس يكتفون بالحصى)	14
88	(ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات)	15
87	(مسجد في السماء يقال له الضراح بجبال الكعبة)	16
193	(هو الإنفاق في سبيل الله)	17
243	(وأوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف)	18

فهرس الأبيات الشعرية

الصفحة	البيت
قافية الألف	
64	فإن تزجراني يا ابن عفاف أنزجر ** وإن تتركاني أحم عرضاً ممنوعاً
136	لا تحقرن من الذنوب صغيراً ** إن الصغير غداً يعود كبيراً
136	إن الصغير ولو تقادم عهده ** عند الإله مسطراً تسطيراً
136	فازجر هواك على البطالة لا تكن ** صعب القياد وشمرن تشميراً
136	إن المحب إذا أحب إليه ** طار الفؤاد وألهم التفكير
136	فاسأل هدايتك الإله بنية ** فكفى بربك هادياً ونصيراً
قافية الباء	
69	لقد نقبت في الآفاق حتى ** رضيت من الغنيمة بالإياب
189	إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل ** خلوت ولكن قل علي رقيب
189	ولا تحسبن الله يغفل ساعة ** ولا أن ما تخفى عليه يغيب
قافية الراء	
239	أدام الله ذلك من صنع ** وحرّق في نواحيها السعير
239	سيعلم أينما منها بنزه ** ويعلم أي أرضينا نضير
239	وهان على سارة بني لؤي ** حريق بالبويصرة مستطيراً
239	لقد خزيت بغدرتها البحور ** كذاك الدهر ذو صرف يدور
239	وذلك أنه مكفر وبرزب ** عظيم أمره أمر كبير
239	وقد أوتوا معافهما وعلمما ** وجاءهم من الله النذير
62	لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى ** إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
قافية السين	
145	يضئ كضوء سراج السليط ** لم يجعل الله فيه نحاساً

فهرس الأبيات الشعرية

الصفحة	البيت
قافية الضاء	
146	ألا من مبلغ حسان عني ** مغلغلة تدب إلى عكاظ
146	أليس أبوك فينا كان قينا ** إلى القينات فسلا في الحفاظ
146	يمانيا يظل تشب كبيراً ** وتنفخ ذا يبالهـب الشواظ
قافية القاف	
62	من لا يزال دمعه مقنعاً ** فإنه لا بد مرة مدفوق
قافية الهاء	
109	رأى جنة المأوى وما فوقها ولو ** رأى غيره ما قدر آه لتأها
قافية الياء	
140	وقولا له من ينبت الحب في الثرى ** فيصبح منه البقل يهتز رايبا
140	ويخرج منه حبه في رؤوسه ** ففي ذاك آيات لمن هو واعيا
261	وقد يجمع الله الشّتين بعدما ** يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

فهرس الكتب المذكورة

الصفحة	اسم الكتاب	ت
318	الأسماء والصفات للبيهي أحمد بن الحسين أبوبكر.	1
318	التفكر والإعتبار لأبي ابن أبي الدنيا القرشي.	2
210	سنن النسائي لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب الخرساني النسائي.	3
157	شعب الإيمان للبيهقي	4
97	صحيح مسلم	5
43	صحيح البخاري	6
53	كتاب الإيمان في شرح صحيح البخاري	7
234	كتاب المغازي للبخاري في صحيح البخاري	8
276	كتاب شرح السنن للبخاري	9
68	كتاب الأم للشافعي	10
179	الموطأ للإمام مالك	11
39	مسند الإمام أحمد	12

فهرس المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم بن أبي النجود .
2. سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبعث والمغازي، تأليف: محمد ابن إسحاق ابن يسار (ت، 50هـ).
3. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، المؤلف: محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم أبوالعلاء، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء عشرة.
4. العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسى، دار إحياء التراث العربى، بيروت - لبنان، 1420هـ - 1999م.
5. معالم السنن شرح سنن أبي داود، أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابى البستى، الطبعة الأولى، المطبعة العلمية، حلب، 1351هـ - 1932م.
6. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبرانى (ت، 360هـ)، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفى، عدد الأجزاء 25، مكتبة الزهراء، الموصل، 1404هـ - 1983م.
7. صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، عدد الأجزاء 1، محمد ناصر الدين الألبانى، المكتبة الإسلامية.
8. الاستيعاب في معرفة الأصحاب المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت، 463هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوى، الناشر: دار الجيل بيروت، الطبعة: الأولى 1412هـ 1992م
9. أسد الغابة في معرفة الصحابة، المؤلف: عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزرى، تحقيق: عادل أحمد الرفاعى، الناشر دار إحياء التراث العربى، سنة النشر 1417هـ، 1996م مكان النشر بيروت / لبنان.
10. إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، المؤلف: سالم السيابى .
11. الإصابة في تميز الصحابة المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلانى (ت 852هـ) تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى - 1415 هـ.

12. الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي
الدمشقي (ت 1396هـ) الناشر: دار العلم للملايين. الطبعة الخامسة عشر - مايو
2002 م.
13. الأغاني، المؤلف: أبو الفرج الأصبهاني (ت 356هـ) تحقيق علي مهنا
وسمير جابر، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، مكان النشر لبنان.
14. الأم، المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان
بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي (ت 204هـ) الناشر:
دار المعرفة - بيروت - بدون طبعة، سنة النشر: 1410 هـ، 1990 م.
15. أنساب الأشراف، المؤلف: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري،
تحقيق: سهيل زكار، ورياض الزركلي، الناشر: دار الفكر - بيروت - الطبعة
الأولى.
16. الأنساب، المؤلف: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني
المروزي، أبو سعد (ت 562هـ) تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني،
الناشر: مجلس دائر المعارف العثمانية، حيد آباد، الطبعة الأولى، 1382هـ.
17. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن
محمد الشيرازي البيضاوي (ت 685هـ) تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي،
الناشر: دار - إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الأولى، 1418 هـ.
18. البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري
ثم الدمشقي (ت 774هـ) تحقيق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث
العربي، الطبعة الأولى 1408 هـ، 1988 م .
19. تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق
الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين
الناشر: دار الهداية .
20. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد بن
عثمان الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، دار النشر:
الكتاب العربي، مكان النشر: لبنان، سنة النشر: 1407هـ - 1987 م.

21. التاريخ الكبير، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري الجعفي، (ت 256هـ) تحقيق: السيد هاشم الندوي، الناشر: دار الفكر، تاريخ النشر: 1986م .
22. تاريخ دمشق لابن القلانسي، المؤلف: حمزة بن أسد بن علي بن محمد، أبو يعلى التميمي المعروف بابن القلانسي (ت 555هـ) تحقيق سهيل زكار، الناشر: دار حسان للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1403هـ، 1983م.
23. تذكرة الحفاظ، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن الذهبي (ت 748هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - الطبعة الأولى، 1419هـ، 1998م .
24. الترغيب والترهيب، المؤلف: عبد الله بن أسعد اليافعي، (ت 768هـ) تحقيق: محمد فارس، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - الطبعة الأولى 1417هـ، 1996م.
25. تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين بن محمد الشنقيطي (ت 1393هـ) إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد. الناشر: دار علم الفوائد للنشر والتوزيع .
26. تفسير البحر المحيط، المؤلف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت 745هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - الطبعة الأولى 1413هـ، 1993م .
27. تفسير البيضاوي، المسماة عناية القاضي وكفاية الرازي على حاشية الشهاب، المؤلف: أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي، الناشر: دار صادر - بيروت - .
28. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار التونسية للنشر .
29. تفسير التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد الكلبلي، (ت 741هـ) ضبطه ك: محمد سالم هاشم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - الطبعة الأولى 1415هـ، 1995م.
30. تفسير السدي الكبير، المؤلف: أبي محمد إسماعيل بن عبد الرحمن السدي

- الكبير (ت 128هـ) جمع ودراسة: محمد عطا يوسف، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1414هـ، 1993م .
31. تفسير الضحاك، (ت 105هـ) تحقيق: محمد شكري أحمد الزويتى، الناشر: دار السلام لطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1419هـ، 1999م .
32. تفسير الطبري، المسمى جامع البيان في تفسير القرآن، لابن جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - الطبعة الثالثة 1420هـ، 1999م .
33. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت 327هـ) تحقيق أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية - الطبعة الثالثة 1419هـ.
34. تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت 774هـ) تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت لبنان - الطبعة الأولى 1419هـ.
35. تفسير الماوردي المسمى النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت 450هـ) علق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان-.
36. تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المؤلف: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت 710هـ) تحقيق: يوسف علي بديوي، الناشر: دار الكلم الطيب - بيروت-.
37. تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت 127هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت لبنان-.
38. تفسير مجاهد، بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج، (ت 102هـ) تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة الطبعة

- الأولى 1410هـ، 1989م .
39. تقريب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت852هـ) تحقيق: محمد عوّامة، الناشر: دار الرشيد - سوريا - الطبعة الأولى 1406 هـ، 1986 م .
40. تهذيب الأسماء واللغات، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، الناشر: دار الفكر - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، (1996م).
41. تهذيب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852هـ) الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند الطبعة الأولى 1326هـ.
42. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المؤلف: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزركلي أبي محمد القضاعي الكلبى المزى (ت724هـ) تحقيق: بشار عوّاد، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت لبنان - الطبعة الأولى 1400هـ، 1980 م .
43. جامع الأحاديث المسمى الجامع الصغير وزيادته، المؤلف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت911هـ) جمع وترتيب: عباس أحمد صقر، أحمد عبد الجواد، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
44. صحيح مسلم المسمى الجامع الصحيح ، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الأولى 1427هـ.
45. جامع المسانيد والسنن، المؤلف: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي (774هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1415هـ، 1994م .
46. الجامع المسند الصحيح المختصر، المؤلف: محمد إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، الناشر: دار طوق النجاة الطبعة الأولى 1422هـ.

47. الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت 671هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة.
48. جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد، محمد بن سليمان المغربي (1094هـ) تحقيق: أبي علي سليمان بن دريع، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة الأولى 1418هـ، 1998م .
49. جمهرة اللغة، المؤلف: ابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين، سنة النشر: 1987م. مكان النشر: - بيروت لبنان-.
50. جمهرة أنساب العرب، المؤلف: محمد بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت 456هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار المعارف، الطبعة الخامسة .
51. حسن الإسورة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق بن حسن بن علي الحسيني البخاري القنوجي، (ت 1307هـ)، تحقيق: مصطفى الخن، ومحي الدين مستو، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان، الطبعة: الثانية (1401هـ / 1981م).
52. الدر المنثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) الناشر: دار الفكر - بيروت لبنان-.
53. الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852هـ) تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر آباد الهند- الطبعة الثانية 1392هـ، 1972م .
54. دلائل النبوة، المؤلف: أبو نعيم الأصبهاني (ت 430هـ) تحقيق: محمد رؤاس عبد البر عباس، الناشر: دار النفائس، الطبعة الثانية 1406هـ، 1986م.
55. ديوان أبي العتاهية، المؤلف: إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كبسان مولى عنزة، كنيته أبو العتاهية، الناشر: دار بيروت للطباعة والنشر، 1406هـ، 1986م .

56. ديوان النابغة الجعدي، قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب، تحقيق: واضح الصمد، الناشر: دار صادر - بيروت - الطبعة الأولى 1998م.
57. ديوان أمية بن أبي الصلت بن عوف بن عقدة بن عنزة، تحقيق: سجع جميل الجبيلي، الناشر: دار صادر - بيروت - الطبعة الأولى 1998م .
58. ديوان حاتم الطائي، المؤلف: حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشر الطائي القحطاني، شرحه وقدمه أحمد رساد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى 1406هـ، 1986م.
59. سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت 273هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي -.
60. سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت 275هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة المصرية، صيدا - بيروت لبنان -.
61. سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى سَوْرَة بن موسى بن الضحاك، الترمذي أبو عيسى (ت 279هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر (ج 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3) إبراهيم عطوة عوض (ج 4، 5) الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر - الطبعة الثانية 1395هـ، 1975م .
62. السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخرساني النسائي (ت 303هـ) تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت لبنان - الطبعة الأولى 1421هـ، 2001م .
63. السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخرساني، أبو بكر البيهقي (ت 458هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - الطبعة الثالثة 1424هـ، 2003م .
64. سنن النسائي الكبرى، المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، (203هـ) تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - الطبعة الأولى 1411هـ، 1991م.

65. سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت 748هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة 1405هـ، 1985م.
66. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحمري المعافري أبو محمد (ت 213هـ) تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: دار الجبل، سنة النشر 1411هـ مكان النشر - بيروت لبنان-.
67. شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد، المؤلف: الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي (ت 1089هـ) تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ومحمود الأرنؤوط، الناشر: دار ابن كثير - دمشق، بيروت - الطبعة الأولى 1406هـ، 1986م .
68. شرح السنة، المؤلف: محيي الدين أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت 516هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاوش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق - بيروت، الطبعة الثانية، 1403هـ 1983م.
69. شرح صحيح البخاري، المؤلف: ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت 449هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار الناشر: مكتبة الرشد - السعودية - الرياض، الطبعة الثانية 1423هـ، 2003م .
70. شعب الإيمان، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - الطبعة الأولى 1410هـ تحقيق: محمد السعيد .
71. صحيح ابن حبان، المؤلف: أبي حاتم بن حبان البتي (ت 354هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى 140هـ 1988م .
72. صحيح البخاري المسمى الجامع الصحيح المسند المختصر، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت 256هـ) تحقيق: مصطفى ديب، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - الطبعة الثالثة، 1407هـ، 1987م.
73. ضعيف الترغيب والترهيب، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1421هـ، 2000م.

74. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت 902هـ) الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت لبنان.-
75. طبقات الحنابلة، المؤلف: أبو الحسين بن أبي يعلى محمد بن محمد (ت 526هـ) تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت.-
76. طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت 771هـ) تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1413هـ.
77. طبقات الفقهاء، المؤلف: إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق (ت 476هـ) تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي - بيروت لبنان - تاريخ النشر 1970م، الطبعة الأولى .
78. طبقات المفسرين، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الناشر: مكتبة وهبة - القاهرة - تحقيق: علي محمد عمر، الطبعة الأولى (1396هـ).
79. عقد الدرر في أخبار المنتظر، المؤلف: يوسف بن يحيى بن علي الشافعي.
80. غاية النهاية في طبقات القراء، المؤلف: شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن علي بن الجزري الدمشقي الشافعي (833هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - الطبعة الأولى، سنة الطباعة 2006م .
81. الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، المؤلف: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي السيوطي، تحقيق: يوسف النبهائي، الناشر: دار الفكر - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، (1423هـ - 2003م).
82. القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت 817هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان - الطبعة الثامنة 1426هـ، 2005م .
83. كتاب الثقات، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حاتم التميمي البستي (ت 354هـ) الناشر: دار المعارف، الطبعة الأولى 1393هـ، 1973م.

84. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المؤلف: مصطفى بن عبد الله الشهير بحاج خليفة (ت 1067هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت لبنان -.
85. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المؤلف: أبو الحسن علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين بن القاضي عبد الملك (ت 975هـ) الناشر: دار بيت الأفكار الدولية.
86. لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار صادر - بيروت - الطبعة الأولى.
87. مختار الصحاح محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق محمود خاطر، الناشر: مكتبة لبنان، سنة النشر 1415هـ، 1995م. مكان النشر - بيروت -.
88. المستدرک علی الصحیحین، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدوية بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت 405 هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى 1411هـ، 1990م .
89. مسند أبي يعلى، المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي (ت 307هـ) تحقيق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق - الطبعة الأولى 1404هـ، 1984م .
90. مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1421هـ 2001م .
91. مسند البزار، المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (ت 292هـ) تحقيق: محفوظ عبد الرحمن زين الله (حقق الأجزاء من 1- 9) وعادل بن سعيد (حقق الأجزاء من 10، 17) وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء 18) الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - الطبعة الأولى 1988هـ، 2009م .
92. مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي التميمي السمرقندي (ت

- 255هـ) تحقيق: حسين سليم الداراني، الناشر: دار المغني - الرياض-، دار ابن حزم - بيروت- الطبعة الأولى 2000م .
93. مسند الشاميين، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت 360هـ) تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: موسوعة الرسالة - بيروت- الطبعة الأولى 1405هـ، 1984م.
94. مسند الفردوس، المؤلف: أبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي، (ت 445 هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان- الطبعة الأولى 1406هـ، 1986م.
95. مشكل القرآن الكريم، المؤلف: عبد الله بن حمد المنصوري، الناشر: دار بن الجوزي، الطبعة الأولى 1426هـ.
96. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي المقرب الفيومي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت- الحسين بن مسعود البغوي (ت 50هـ) تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرة، سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الرابعة 1417هـ، 1997م.
97. المعجم الأوسط، المؤلف: أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، (ت 360هـ) تحقيق: طارق بن عوض الله بن عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة- 1415هـ.
98. معجم البلدان، المؤلف: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، الناشر: دار الفكر - بيروت-.
99. معجم المؤلفين، المؤلف: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (ت 1408هـ) الناشر: مكتبة المثني - بيروت-، دار إحياء التراث العربي بيروت .
100. المعجم الوسيط، المؤلف: إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات، حامد عبد القادر، ومحمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.
101. موطأ الإمام مالك، المؤلف: مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي (ت 179هـ) تحقيق: تقي الدين الندوي، الناشر: دار القلم - دمشق- الطبعة الأولى

1413هـ، 1991م.

102. ميزان الاعتدال، المؤلف: أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت 806هـ) تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار

الكتب العلمية - بيروت - سنة النشر: 1416هـ، 1995م .

103. الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت 764هـ) تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء

التراث - بيروت - سنة النشر: 1420هـ، 2000م .

104. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي (ت 681هـ) تحقيق:

إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت -.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	ر.م
أ	الآية القرآنية	1
ب	الإهداء	2
ج	الشكر والتقدير	3
1	المقدمة	4
2	أهمية الموضوع	5
2	أسباب اختيار الموضوع	6
2	هيكلية الرسالة	7
3	منهجي في التحقيق	8
القسم الأول: نبذة عن ابن كثير ودراسة حياة المؤلف		
7	نبذة مختصرة عن الحافظ ابن كثير - رحمه الله -	9
7	ولادته ونشأته وعائلته	10
7	طلبه للعلم	11
9	دراسة لحياة المؤلف	12
9	اسمه	13
9	مولده	14
10	شيوخه	15
11	تلاميذه	16
11	مصنفاته	17
12	وفاته	18
دراسة المؤلف		
14	اسم الكتاب	19
14	نسبة الكتاب للمؤلف	20

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	ر.م
14	سبب تأليف الكتاب	21
14	منهجه في كتابه	22
15	أولاً: الاستدلال على تفسيره بالقرآن	23
18	ثانياً: الأحاديث الشريفة	24
22	ثالثاً: تفسير الصحابة - رضي الله عنهم -	25
23	رابعاً: تفسير التابعين	26
24	خامساً: التفسير اللغوي	27
24	سادساً: المصادر التي اعتمد عليها	28
26	وصف المخطوط	29
26	المؤلف	30
26	نوع الخط	31
26	الناسخ	32
26	تاريخ النسخ	33
26	عدد الأسطر في كل صفحة والكلمات	34
26	عدد اللوحات المراد تحقيقها	35
26	حالة المخطوط	36
القسم الثاني: تحقيق الجزء المختار من المخطوط		
33	تفسير سورة الحُجُرَاتِ	37
56	تفسير سورة ق	38
73	تفسير سورة الذاريات	39
86	تفسير سورة الطور	40
100	تفسير سورة النجم	41
123	تفسير سورة اقتربت	42

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	ر.م
137	تفسير سورة الرحمن	43
158	تفسير سورة الواقعة	44
186	تفسير سورة الحديد	45
214	تفسير سورة المجادلة	46
233	تفسير سورة الحشر	47
256	تفسير سورة الممتحنة	48
272	تفسير سورة الصّف	49
281	تفسير سورة الجمعة	50
292	تفسير سورة المنافقون	51
300	تفسير سورة التغابن	52
307	تفسير سورة الطلاق	53
319	تفسير سورة التحريم	54
333	الخاتمة	55
الفهارس العامة		
336	فهرس الأحاديث	56
353	فهرس الآثار	57
354	فهرس الأبيات الشعرية	58
356	فهرس الكتب المذكورة	59
357	فهرس المصادر والمراجع	60
369	فهرس الموضوعات	61